الى القارئ

انعقد في غضون شهر ديسمبر بدمشق المؤتمر الثامن للادباء العرب وقد ضم من كل بلد عربي ثلة من الكتاب والشعراء أتيحت لهم فيه الفرصة ليتدارسوا قضايا الادب والفكر تحت شعار : الأديب العربي في معركة المصير.

وإنه ليس بخاف على أحد أهمية هذه اللقاءات بين الادباء والكتاب من مختلف البلاد العربية إذ بها تزداد اللحمة الفكرية متانة ، وفيها تنصهر أواصر الأخوة الحضارية ليتم التلاقح والاثمار ولتبرز العائلة الفكرية العربية الاسلامية قوية يانعة ، خصبة ، جبارة ، أمام عالم ما يزال يدين بالتفرقة الحضارية والعنصرية الفكرية ويبني عليهما أسسا لقهر الشعوب واستعبادها وتشتيتها ومسخها .

كما أن القارىء الكريم منتبه أشد الانتباه للفترة العصيبة التي يمر بها العالم العربي تجاه التحديات المختلفة المتنوعة اليومية التي تتعاور كيانه باغتصاب أرضه وتحطيم معنوياته . وإن لقاء مثل هذا لمن شأنه ان يوحد الكلمة بين الأدباء والكتاب العرب ليشتد الوعي وتشحذ العزيمة وتجدد الرسالة وتجرد الأقلام وتتجرد لايقاظ الهمم وبلورة الواجب الفكري نحو جماهيرنا التائقة الى العزة والكرامة والمناعة .

وعلى هذا الاساس كانت مشاركة تونس في المؤتمر الثامن للادباء العرب بوفد هام ساهم في كل اوجه نشاط هذا اللقاء سواء بالبحوث المعروضة على أعضاء المؤتمر أو في نطاق المداولات التي تناولت بالنقاش الموضوعات الرئيسية أو بالقصائد التي ألقيت في مهرجان الشعر العاشر أو باللقاءات الجماعية والفردية .

وجريا على عادتنا فى إطلاع القارىء الكريم على مثل هذه المؤتمرات فاننا خصصنا هذا العدد من المجلة لابراز أهم ما دار فى المؤتمر الثامن للأدباء العرب وإعطاء فكرة ولو تقريبية عما احتواه هذا اللقاء . وإذا كان من العسير نشر كل البحوث والقصائد نظرا لكثرتها وللسرعة التى توخيناها فى إبراز أعمال المؤتمر فاننا آثرنا علاوة على المشاركات التونسية اختيار البعض منها على أساس أن تكون جميع البلدان العربية المشاركة ممثلة فى هذا العدد وبقطع النظر عن احترازنا فى شأن ما أتى فى بعض الموضوعات من آراء ومواقف .

كما أننا آثرنا نشر التوصيات التى أسفر عنها المؤتمر وهى تبرز بوضوح مدى إيمان الأدباء والكتاب العرب بقداسة المعركة ووعيهم بضرورة توخى السبل الناجعة المجدية وأكثر من هذا اعتدالهم فى آرائهم ومواقفهم ، وعزمهم على توحيد كلمتهم ، وأملهم فى جمع صفوفهم تحت لواء اتحاد عام ، يلم الشتات ويوفق بين النظريات من دون هيمنة ولا وصاية .

وختاما فاننا بقدر ما نشكر سوريا على احتضانها للمؤتمر وتنظيمها له وتوفير جميع وسائل العمل والراحة للاخوة الأشقاء بقدر ما نعتز بما قرره رؤساء الوفود من انعقاد المؤتمر التاسع المقبل فى تونس .

فالى اللقاء مع مؤتمر الأدباء العرب التاسع فى بلادنا .

البشير بن سلامة

كلمة الوفد التونسي في المؤتمر الثامن للادباء العرب

ايها الاخـــوة ،

اذا كان المؤتمر الثامن للادباء العرب ينعقد تحت عنوان « الاديب العربي في معركة المصير » فانه من حسن طالعه ان ينعقد بمدينة دمشق ، دمشق المناضلة في سبيل الاصالة العربية وصمودها ، وفي سبيل مصير عربي مشرق حفاظا على تلك الاصالة وتركيزا لعزتنا القومية ، هذه العزة التي لا تكتفي باصالة التراث ، وقدسية الماضي ، بل هي تتطلع وتعمل ، وتناضل وتكدح من اجل وجود عربي اصيل يأخذ باسباب التطور الحديث دون ذوبـان او تفســخ ، ويتمسك بالتراث الاصيل دون جمود او تحجر • وان اي مصير لا يعتمد تلك الاسس يكون مصيرا ابتر ، مقطوع الصلة ، مهلهل النسيج ، متآكل الجذور لا يجد في نفسه الحصانة التي تحول بينه وبين شخصيته المتميزة ومقوماتها الذاتيـة الاصيلـة •

وان الاصالة الحضارية لا تتمثل في التراث الذهني والوجداني ، ولا في محفوظ الخزائن والمعالم فقط بل تتمثل كذلك في الارض التي كانت قاعـدة للانتاج وميدانا للاخصاب • ومن ثمة فان معركة المصير تـوجب على الاديب العربي ان يناضل في سبيل تلك الارض حتى تبقى بايدي ورثة ذلك التراث وتلك الاصالة • وهكذا تتمثل مساهمة الاديب العربي في المعركة على اوسـع ميدان ، لانه بجانب معركة التربة والارض توجد معركة الذهن والوجـدان • وهي اشد خطرا واصعب مراسا •

ومن هذا وذاك تتضح المسؤولية الكبرى التي نتحملها ـ نحن حملة الاقلام وبناة الكلمة ـ في الواقع العربي المعاصر • اذ بقدر وعينا للموقف ، وصدق تعبيرنا فيه ، وبعدنا عن الانحراف به يكون تحملنـا لرسالتنـا بحـق ، وفي مستوى المسؤولية التاريخية المناطة بعهدتنا ، ما دام انتاجنا يتصل مباشـرة

بعقول وعواطف امتنا العربية ، وبالتكوين الذهني والوجداني للاجيال الصاعدة هذه الاجيال التي تتطلب منا ان نهيء لها مناخا فكريا ونفسيا وترابيا يدعوها الى الابداع ، ويدفع بها الى الابتكار مع توفير العزة وضمان الكرامة ، لانه لا شرف لحياة بدونهما • وهذا كله يتطلب منا المزيد من التعاون والتساند حتى تتضافر الجهود وتتجمع الطاقات للخلق والابداع على صورة اشمل واساس امتن

وعزما على تحقيق كل ذلك انبعث اتحاد الكتاب التونسيين سنة 1970 ، وكان انبعاثه استجابة حتمية لمطامح الكتاب التونسيين انفسهم ، وتلاقيا مع توصيات المؤتمر السادس للادباء العرب ، وتنفيذا لما دعا اليه المؤتمر الاول لادباء المغرب العربي الذي انعقد بمدينة طرابلس سنة 1969 • وقد بادر اتحاد الكتاب التونسيين اثر تكوينه مباشرة بمكاتبة الامانة العامة لمؤتمر الادباء العرب ، وبكافة الاتحادات الموجودة في البلاد العربية • وانه ليسعده اليوم ان يكون ممثلا في اول مؤتمر للادباء العرب ينعقد بعد انبعاثه •

وان الوفد التونسي ليحدوه الامل الاكيد ، والعزم الصادق على التعاون والتساند مع كافة الادباء العرب في سبيل مصير افضل ، يجمع الشمل ، ويوحد القوى ، ويحقق الوحدة متى استطعنا التحكم في اسباب النجاح وطرق الوصول حسب مقتضيات العالم المعاصر ، والظرف الحاسم الذي نعيشه •

وانه ليسره بهذه المناسبة ان يكون انعقاد المؤتمر الثامن للادباء العرب في تونس • وهو ـ اذ يعلمكم بشوق كافة الادباء التونسيين الى اللقاء بكم والتحاور معكم ـ لموقن بان نفس الشوق يحدوكم الى الاستجابة وتحقيق الرجاء •

والوفد التونسي ـ في ختام كلمته ـ لا يسعه الا ان يتقدم بالشكر الى حكومة الجمهورية العربية السورية على دعوتها المضيافة ، وعلى الجهود والاعمال التي بذلتها في سبيل عقد هذا المؤتمر وانجاحه •

والسلام عليكم ورحمة الله •

محمد العروسي المطوى

جئتكم ساعيا..!

شعر : أحمد اللغماني

جئتكم ساعيا ، اسابق ركبي   وجوازي شوقي اليكم وحبي
افسحوا لي قلوبكم ، فكلامي   نابع من قرارتي ، من قلبي
لم أكيف ألفاظه ، لم احدد   من مراميه ، لم أنله بشطب
لم أقيده بالظروف ولم   ارغمه أن يستجيب لي ويلبي
حسبه أن يكون حرا طليقا   مثلما اشتهي ، وذلك حسبي

* * *

جئتكم ساعيا ، بأحلام نفس   ومنى أمة ، وآمال شعب
جئت من تونس امدد جسرا   يصل الاهل بين صوب وصوب
من حنيني مددته ولكم طال حنيني لاخوتي ولصحبي
كلما عاقت العوائق سيري   للقاكم ، مددت في الحلم دربي
نحن رغم «الاشياء» اصحاب ارث   شائع بيننا وأبناء صلب

* * *

جئتكم ساعيا بافضل ما عندي ، بصدقي ، والصدق أثمن كسبي
بوفائي ، بغيرتي ، وبشعر   مثل طعم الحياة مر وعذب
جئت من تونس بنفحة عطر   من رباها ، أرشها في المهب
وقليل منكم تنشق نفحا   تونسيا ، والذنب ليس بذنبي
بيد أني لم أرو غلي من منهلكم رغم فيضه ، رغم عبي
جئت من تونس لاسمع أهل الشرق بعضا من صوت أهل الغرب
ذلك الصوت يعرف البعض منكم   فيه صدق المجيب ، عزم الملبي
ذلك الصوت ظل دهرا كرجع   في فلاة ، أو صرخة في جب
فكأنا منكم على أبعد البعد ، وأنتم منا بأقرب قرب
ونادي بأننا اخوة في اليسر   والعسر ، في الهنا والكرب

ثم تجرى مياهنا كل مجرى   لم توحد فى النبع أو فى المصب

* * *

ألف عذر، يا اخوتى، لا تثوروا   لملامى ولا تضيقوا بعتبى
انما المحنة التى نحن فيها   جمرة فى دمى ، وجرح بقلبى
كيف ترجون أن يكون كلامى ؟   والسكاكين جائلات بجنبى
نحن أولى بأن نحاسب ، أولى   أن نزيح الحجاب عن كل عيب
مجدنا ذلك الذى ملأ الدنيا   بما يذهل العقول ويسبى
صار ضربا من الاساطير يروى   للتاسى ، ولاحتمال الخطب
نتحدى بالوهم واقعنا المر ، ونخفى قصورنا ونخبى
نتغنى بمجدنا فى انتشاء   ونباهى بأمسنا فى عجب
ومحاصيلنا كلام بليغ   وكثير ، يكال « بالاردب »
التفاعيل خبزنا وكسانا   والقوافى سلاحنا فى الحرب

* * *

ألف عذر ، فان ما نحن فيه   من أسى فوق هامنا منصب
وهوان يسومنا كل خسف   وحياة تسبنا أى سب
وانقسام صرنا به فرقا شتى فكل لفرقة أو لحزب
وانهزام فى الحرب أضحك منا   كل ذى نقمة وكل محب
كل هذا يحيد بى عن صوابى   واتزانى ، يصيبنى فى لبى
ألف عذر ، فلم اجئكم بشعر   يتغنى بمقلة أو بهدب
لا ، ولا جئت كى أثير اندفاعا   وحماسا بالمدح أو بالثلب
فانا لست قيس ليلى المعنى   لا ، ولا البحترى ، ولا المتنبى
انما جئتكم بما فى ضميرى   دون زيف ، ودون مين وكذب
فاذا قلته بدون التواء   واحتراز فذاك طبعى ودأبى
حسبه أن يكون حرا طليقا   مثلما اشتهى ، وذلك حسبى

أ. ل.
(تونس)

الاداء والتعبير الفني في معركة المصير

بقلم : البشير بن سلامة

كان دور الادب والادباء والمصلحين والمفكرين فى النهضة الاولى وما تبعها من نهضات ، سواء بالمشرق العربى أو المغرب العربى دورا عظيما وكانت فى الواقع يقظة تحسس فيها العالم العربى وجوده تجاه العالم الاوروبى وحاول ان يجابه تحدياته ويقف على قدميه خوفا من التداعى والسقوط • لذلك لم ينشأ عن هذه النهضة ما أكسب الشعوب العربية المناعة والقوة بواسطةالقدرة على الخلق فى ميادين الحياة كلها بل كانت خاتمة المطاف افلاس النهضة من جهة ووعى خطير بالمصير من جهة اخرى •

نحن فى الجولة الثانية من يقظة الامة العربية ، وفى الفترة التى تضاعفت فيها تحديات العصر لنا وقد تجسمت فى غزو اراضينا وتوطينها واكتساح مقوماتنا الاصلية نسفا وتشتيتا • وان وعينا بهذا الخطر فى ازدياد ومجابهتنا لمتطلبات المعركة تشتد كلما تبصرنا الى مواطن ضعفنا واهتدينا الى مدى ما يتهددنا من آفات فى جميع مجالات الحياة •

وان الاخطاء التى وقعنا فيها فى نهضتنا الاولى أو على الاصح يقظتنا ما ثلة اليوم أيضا ، وأفدحهذه الاخطاء اتكالنا على الكلمة واعطاؤها القوة السحرية التى تنكب على مشاكلنا فتحلها وتنقض على الاخطاء فتبددها • ولقد نتج عن هذا أن حل الاديب محل السياسى والشاعر محل المصلح والصحفى وتفاقمأمر الادب لتتضاءل امامه خلايا الحياة الاخرى ، أمام العلم أمام الصناعة وغيرذلك من الوان النشاط •

لقد آن الاوان اذن فى عالمنا العصرى أن يقوم كل بوظيفته وأن يركز الاديب والكاتب والشاعر وبالاحرى كل خلاق للكلمة وكل فنان جهوده على نوعية عمله فلا يتعداه ولا ينحرف به عن كنهه وماهيته وهو فى الواقع مضطر الى ذلك أشد الاضطرار لما انضم اليه من وسائل اخرى للابلاغ والاداء كالاذاعة والسينما والتلفزة والصحافة •

ولعل موضوعنا الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير يدفعنا الى التفكير مليا فى نوعية الخلق الفنى وطبيعته ويحثنا على ضبط دوره من حيث الاداء والابلاغ فى مجتمع يخوض معركة مصيرية تتهدده فيها اخطار تتمثل فى الغزو والمسخ ٠

وكان التقاء الاقانيم الثلاثة الاداء والتعبير الفنى ومعركة المصير فيه ما فيه من تضارب ومن اشعار باشتعال نار عنترية عصرية أو انطلاق جولة دونكيشوتية معاصرة أساسهما الكلمة وسلاحهما القلم العصرى طبعا ٠ وكأن ما طوق عبارة التعبير الفنى من سلاسل ـ معدنها الاداء وطوقها معركة المصير ـ ينبىء برعونة الكلمة وجموحها ويؤكد ضرورة رياضتها وسياستها والحد من غلوائها بين الجد واللعب ويذكر بما قاله الشاعر العربى عن الصعلكة والصعاليك رمز الروح الفنية وانموذج الفنان فى المجتمع العربى القديم قال :

« وسائلة أين الرحيل ؟ وسائل ومن يسأل الصعلوك : أين مذاهبه
مذاهبه ان الفجاج عريضة اذا ضن عنه بالفعال أقاربه

لذلك يتعين ان نضبط قبل كل شىء معنى الاقنوم الثانى أى التعبير الفنى ونستشف طبيعته وكنهه ونستدرجه وقد فككنا عنه السلاسل والاطواق واطمأن الينا واطمأننا اليه ٠

ان التعبير الفنى فى الواقع أوسع من أن نقصره على الادب والكتابة اذ هو ينفتح لميادين أخرى من الفن هى اسمى من ان تحصى وهى تتناول الوانا من الرسم وضروبا من النحت واشتاتا من فن العمارة والسينما والتلفزة وغيرها ولكننا ونحن فى مجال الادب وبين رحابه مدفوعون الى الاقتصار على الكلمة فى اشرف وانبل وجه منها الا وهو ميدان الخلق الادبى ٠

واذا كان الخلق الادبى او الكتابة عندما تشرف بالفن ، ميدانا يتبارى فيه الشعر قديمه وحديثه ، حره ومعتقه ، وتجول فيه القصة بجم فروعها طاغية على فنون الادب بأكملها ابتداء من الخبر الى القصيدة ، ويتخبط فيه المسرح بين الواقعية واللامعقول ، ويجهد فيه النقد والمقالة أن يشارفا الكتابة فان الذى يمكن ان يتفق عليه كل العارفين هو اجتماع ضروب الخلق الادبى فى نمط من التعبير هو التعبير الفنى ٠

واذا كان التعبير الفنى يتغير فى لغته بحسب تغير الكتاب ويتلون بضروب من الاشكال راجعة الى كنه أداة الابلاغ ٠٠ واذا كانت اساليبه تختلف

باختلاف اصحابه فانه يبقى ذاك النمط من اللغة الذى يعتمد التأثير على العقول والحواس فيعلق بالاذهان وينفذ الى شغاف القلوب بقطع النظر عن الفكرة التى اعتمدها والصورة التى ارتضاها والخيال الذى ركبه ·

وانه لمن المجازفة أن يتصدى الباحث الى تصنيف مختلف الوان التعبير الفنى لانه بذلك يقحم نفسه فى مغامرة تؤدى به الى استعراض انماط اللغة التى سنها كل الحلاقين فى الادب العربى وهو عمل لا يمكن ان تقوم به الجماعة بله الفرد رغم الدراسات والبحوث العديدة التى تناولت أفذاذ أمتنا منذ انبثاق النهضة الاولى ·

ذلك ان التعبير الفنى ـ اذا استقام لخلاقوصحجوهره ـ واحد اوحد بالنسبة اليه لا يشبهه تعبير آخر اللهم الا اذا انفسح المجال للمقلدين والسلاطين الغاصبين والجائلين فى املاك الغير · وبطبيعة الحال فان درجةالخلق تتفاوت عند الناحتين للكلمة بتفاوت قوة شخصيتهم الفنية فيطبع العبقرى الفذ أثره بطابع لا ينازعه فيه احد وتشعربانه ملك عليك نفسك ومنعك من ان تذكر غيره وانساك كل الخلق الاه · وانك لترتاح كذلك للكاتب القدير والشاعر الحاذق ولكنك ، وان سلمت بفضل من الشخصية عندهما لا تمنع نفسك من التفكير فى غيرهما من الكتاب والشعراء · وسبب ذلك هو التفاوت فى القدرة على التعبير علاوة على اختلاف المشارب ·

ولو كنت من ذوى الاختصاص فى العلوم الصحيحة ، وحبذا لو خضعت آثارنا الادبية الى المقاييس العلمية فى المخابر وحلقات التجربة ، لمضيت استنطق الخطوط البيانية واوثق الكتاب وآثارهم والشعراء وقصائدهم على الواح عمودية وافقية حسب اختلاف المشارب والقدرة الفنية ولكننى اشفق على نفسى وعليهم فى هذا المقام ، من ان يحنطهم العلم بجفافه وأن يقسو عليهم العلماء بحد الآتهم ، ومفلول موضوعيتهم ·

غير ان الذى يمكن ان يتفق عليه الجميع ولا يختلف فيه اثنان هوانالتعبير اذا شارف الفن وسما اليه تحدى الزمان والمكان·اذ الزمان هو الغربالالنصوح والناخل الصادق الذى لا يظلم أحدا ، ولا يتجنى على أحد والزمان هذا الذى يأكل الاخضر واليابس ويفنى القوى والضعيف ويقف صامدا إمام الموت ، لا يستنكف من ان يصرح بالواقع والحقيقة عندما تسكن العواطف وتزول الاهواء · هذا الزمان الذى يتحول لكل الحلاقين بعد رحيلهم حاضرا واحدا

لا يتبدل ولا يتغير حاضرا رواقيا ، اذ كان الرواقيون يقولون : « وليس لنا الا الحاضر نتحمله • فلا الماضي ولا المستقبل يمكن ان يرهقانا لان الماضي غير موجود والمستقبل لم يوجد بعد » •

وحبذا لو ان الخلاقين كانوا مثل الاباطرة الصينيين القدامى الذين ينظمون امر المكان والزمان فى حفلات مشهودة • فيسطرون للعام المقبل ويوهمون شعبهم بقدرتهم على التحكم لا فى الرقاب والمساحات فقط ، بل فى اعظم قوة تفلت من بين اصابع البشر : الزمان • وقديما قال المتنبى فى سيف الدولة :

ان كان قد ملك القلوب فانه ملك الزمان بأرضه وسمائه

والزمان هو أبو الهول المتتبع لسقطات الخلق وهناتهم وهو كلما قال فيه شوقى :

ابا الهول انت نديم الزمان نجى الاوان سمير العصر

لذلك فانه ليس اعظم ناقد ومقيم للتعبير الفنى من الزمان ، ومن تخطاه من الكتاب والشعراء وقدر على ان يثبت امام تحدياته فان ذكره خالد باق على مر الدهور •

ولكن الزمان وحده لا يكفى ، وخاصة فى عصرنا هذا الذى تقاربت فيه الامم واختصرت المسافات ورضيت فيه البشرية بتباينها واختلافها اذ تخطى المكان اصبح شرطا أساسيا فى الخلود وعنصرا من عناصر البقاء وهو لربما يكون أيسر منا لا من الزمان لانه لا يدعو الى الانتظار ولا يمر من غربال الدهر ويكفى ان تستسيغ الاثر الفنى امة من حضارة اخرى فى لغة متغايرة ليكون الخلود •

وهكذا يكون التعبير الفنى بهذه الصورة عزيز المنال يخرج عن المتداول من الكلام ويصح فيه ماقاله ابن الاثير فى الفاظ الكتاب وهو يعنى فى الواقع اللغة التى ارتضاها الكاتب قال : « من الاركان التى لابد من ايداعها فى كل كتاب بلاغى ان تكون الفاظه غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ولا اريد ان تكون بذلك الفاظا غريبة ، فان ذلك عيب فاحش بل اريد ان تكون الالفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا يظن السامع انها غير ما فى ايدى الناس وهى مما فى أيدى الناس •• وهذا الموضع بعيد المنال كثير الاشكال يحتاج الى لطف

ذوق وشهامة خاطر وهو شبيه بالشىء الذى يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذى يستعمل وليس بالذى يستعمل : أى ان مفرداتالفاظه هى المستعملة المالوفة ، ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب » ٠

وانه ليس من المجازفة فى شىء أن يشبه التعبير الفنى بالذهب فى المعادن الذى يثبت امام تحديات الزمان وينفق فى كل مكان لا تذهب بريقه وحدته كثرة الاستعمال وهو فى حصانة تامة من تنوع الانطباعات وتقلب الافكار ٠

ولكن لقائل ان يقول ما هى طبيعة التعبير الفنى وما هى نوعيته التى تخول له هذه القدرة وتمكنه من ان يثبت امام اقوى التحديات ؟ هل هى المعانى التى يحملها للغة والصور التى يخرجها والخيال الذى يستنبطه لها ام هو سر من الاسرار يجعل هذا التعبير فنيا صادرا عن روح خلاقة وذاك التعبير الآخر كلاما عاديا متداولا بين الناس ٠ نعم هو ما اسميه بالايقاع أى هذا التوتر الذى يبثه الخلاق فى لغته فيسرى فيها كالكهرباء ويشيع فى جنباتها حياة لا كالحيوات ويفرض عليها نبرات جديدة تكون مثل الاكسير فى صناعة الكيمياء تحول الالفاظ المستعملة والتراكيب الشائعة الى « الوان مختلفة من جوهر وذهب » على حد تعبير ابن الاثير ٠ هذا الايقاع الذى لا يبرح يلازم الاثر حتى فى الترجمة وهو الذى يجعل المعنى الواحد مقبولا من اديب وغير مقبول من آخر ويضفى على صورة الاول روعة لا نجدها فى نفس الصورة بالنسبة للثانى **هذا الايقاع او الاكسير هو الاصل فى سن نمط** جديد من اللغة يتجاوز مادرج عليه الكتاب والشعراء قبل ذلك وهو ما سميته اللغة التجاوز * وهو دفق الحياة المنبثق من الخلاق المتكون من تيارين اثنين : أحدهما ينبع من الرصيد المشترك الذى يشد الخلاق الى شعبه والى امته ويؤصله فيها بما يرثه من مقومات يهضمها ويكيفها ويصهرها لتصبح ملكا له والثانى هو أناه المرتبط بشخصه ومزاجه وطبعه وهو ما عرف بالاسلوب ٠

واذا كان الاسلوب هو الذى ينم عن شخصية الخلاق ويعرف به فليس هو فى الواقع الذى يضفى على الاثر الادبى الروعة ويجعله مستساغا مفهوما من القراء ، متجاوبا مع مشاعرهم وأحاسيسهم واهتماماتهم لانه لو كان الاسلوب وحده هو الطاغى لكان الانغلاق والفردية المطلقة ٠ وان فى الادب العربى

---

* راجع الفصل الثالث من الباب الثانى من كتاب لى بعنوان ، اللغة العربية ومشاكل الكتابة ، من ص ٠ 119 ــ 128 الدار التونسية للنشر ٠

قديمه وحديثه ضروبا من الكتابات التى ليس فيها الا الاسلوب وهى تعتمد انماطا من اللغة الفنية الحق مثل لغة القرآن التى استند اليها فحول من عباقرة العربية وطبعوها باسلوبهم ولكنهم لم يأتوا بشىء جديد وكذلك لغة المقامة التى سنها بديع الزمان الهمذانى وأخذها عنه الحريرى فأضفى عليها اسلوبه ولكنها ، وان عرفناه من خلالها ، لم تستقم له مثلما استقامت لخالقها •

وان طغيان الاسلوب فى معظم الادب العربى شعرا ونثرا ، قديمه وحديثه ، أى طغيان الانا هو الذى كان سببا فى تدهور الادب والفن وفى حصر الكتابة فى نوع من البرعاجية المقيتة وهو الذى نزع عن كثير من الآثار الادبية مسحة الفن • وهنا أؤكد أن التعبير لا يكون فنيا بأتم معنى الكلمة الا اذا استند علاوة على الاسلوب الى الوجه الاول النابع من الرصيد المشترك والا بقى مجردا معلقا بين السماء والارض • وليس من باب الصدفة ان نسب هذا النوع من التعبير فى ميدان الخلق الى الفن لان طبيعة الفن تقتضى اولا وبالذات الارتباط بالواقع وقديما قال سقراط : « ان الفن هو تقليد لمخلوقات الطبيعة» وبعده قال ارسطو : «عندما يرسم الفنانون الصور منفصلة عن اصلها فانهم يخلقون شبها لصيقا بالحياة ولكنه شبه اجمل مما هى عليه • » وحتى فى أيامنا هذه فانك لن تجد أى فنان يرفض ان ينطلق من الواقع ليرى الدنيا وما فيها بمنظاره الخاص ويعبر عنها مازجا ما رآه بما استنبطه •

وخلاصة القول فان هناك جدلية متشعبة فيما ينتجه الفنان بين الجانب الشخصى البحت وبين ما يربطه بالمجتمع والعالم وان ما قاله « فلوبار » فى رسالة من رسائله ليعبر عن هذه الجدلية التى تفضى الى نوع من الغموض فى العمل الفنى قال : « تسألنى لمن كتبت هذه الاسطر ؟ لم اكتبها لشخص معين شأنى فى كل ما كتبته • وانى قد ما نعت نفسى من أن أضمن تآليفى شيئا من نفسى غير انى قد ضمنتها الشىء الكثير • وقد حاولت الا أحقر الفن لارضاء شخص بمفرده • فكتبت صفحات رقيقة بلا حب وصفحات صاخبة من دون حماس • وتخيلت وتذكرت وألفت • » *

وليس من السهل اذن ان نتحدث عن حرية الخلاق اذا كان هو بالذات يجد نفسه مضطرا بحكم طبيعة الفن ، الى الحد من حريته وتجاوز أنانيته

---

* قوستاف فلوبار ، مجموع آثاره (بالفرنسية) طبعة ، س • ف، فروت ، باريس 1926 ج I ص 254

وربط نفسه بواقعه القريب أو البعيد قصد ذلك ام لم يقصد وانه لمن الانسب ان نتحدث عن مسؤولية الفنان ونؤكد هذا المعنى اذ هو اقرب الى واقع الاشياء ، كما ان النظر الى عنصر الجمال والجمالية يفرض نفسه عند التعرض الى الفن ولكن المقام لا يدعو الى التوسع فى هذين الغرضين ٠

واذا كان الفن على هذه الصلة بالمجتمع وكان التعبير الفنى مربوطا أشد الارتباط فى عنصر من عناصره بالواقع ، فانه ليس من شك فى أن يكون تلقائيا مشدودا الى الاقنوم الاول الا وهو الاداء ٠ وهذا امر طبيعى اذ بدونه لا يتأتى للاثر الفنى أن يرى الوجود بين الناس ٠ لانه لافائدة فى خلقه اذا هو لم يخلق من جديد ، يخلقه القراء بتجاوبهم معه ونقدهم له او اعراضهم عنه لهذا فان عنصر الابلاغ كامن فى التعبير الفنى الاصيل بدونه لا يكون الخلق الحق ولا الكتابة الفذة ٠

بهذا ينتفى ذلك الخوف الذى يساور كثيرا من المثقفين من ان الادب يمكن أن ينفصل عن الحياة وهو خوف لا تبرره طبيعة الخلق الادبى اذ الادب مع الحياة وفى صلب الحياة او لا يكون ٠

غير ان هناك قضية اخرى تتعلق بالاداء وهو صعوبة التعبير الفنى فى ان يؤدى رسالته بين الناس ٠ ذلك ان لغة الخلق تتطلب مستوى من الثقافة تتعلق بفهم النصوص وتذوقها وتصور الاشياء وربطها بالحضارة المعاصرة وهذا بطبيعة الحال يستدعى ان تكون الجماهير قد بلغت حدا ادنى من المستوى وهذاليس عسير المنال اذا تضافرت وسائل اخرى للابلاغ والاداء لتبسيط العلوم والآداب وعمت بين الناس القراءة والكتابة ٠

وليس من الانصاف فى شىء أن نطلب من التعبير الفنى ان يتحول عن ماهيته وينحرف الى أبواب اخرى من الابلاغ أعدت لها وسائل بعيدة عن هذا النوع من التعبير غير انه يمكن للفنان أن يستعملها ويسخرها ليبلغ رسالته ويعممها ويقهر صعوبة الاداء ٠ على أن هذه الصعوبة يجب الا تكون ناشئة عن غرابة فى الالفاظ ولا تعقد فى التركيب لان ذلك ليس من طبيعة الفن بل تتأتى من مفاهيم لا يمكن ان يتصورها من لم يقرأ ومن لم يكتب ومن لم تخالج نفسه اهتمامات المجتمع المثقف ٠ لهذا فانه كتب على الخلق الادبى أن يقتصر على الطبقة القارئة ذات المستوى المرضى ٠ وليس لنا من أمل بالنسبة لشعوبنا التى ما زال جزء منها غارقا فى الامية الا ان يعم فيها التعليم ونرفع بها الجهالة وتشيع الثقافة٠

ولكن ذلك لن يكون منقذا لمصير المكتوب فى عصر الوسائل السمعية البصرية اذ نحن نشاهد بلدانا بلغت مستوى من الحضارة والثقافة كبيرا تشكو من قلة القراء نظرا الى ظروف احاطت بعصرنا الحاضر ليس هذا مجال التبسط فيها رغم سهولة قراءة المكتوب عندهم وصعوبته عندنا لفقدانه الشكل • وعلى كل فان صعوبة الاداء فى التعبير الفنى تتفاوت بين الخلاقين حسب طبائعهم ونمط تكوينهم وهدفهم من الكتابة •

غير ان الذى ييسر من مهمة الاداء بالنسبة للتعبير الفنى هو ما ذكرناه من وجوب ارتباط الخلق الادبى بواقع المجتمع وهذا يفرض على الخلاق ان تكون اغراضه منبثقة من مشاغل امته نابعة منها وهو امر لا يمكن ان يحيد عنه الخلاق الحق • لذا فانه من واجبه رفع التحديات والخروج بمعركة المصير الى النصر الكامـــل •

وانه ليس من المبالغة فى شىء اذا قلنا ان كل قصاص وشاعر وكاتب مسرحية وناقد قد وعى الخطر الاكبر الذى يتهدد العالم العربى من اقصاه الى ادناه • واذا كان هذا الخطر قد تجسم ، اواخر القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين ، فى استعمار لم تكن له من الوسائل الا القوة الغاشمة والحضور الفعلى فان استعمار النصف الثانى من هذا القرن أشد حيلة لانه يعمل بدهاء ومكر على طمس شخصيتنا وصهرنا ، فى حضارة أجنبية عنا لو انسقنا الى تقليدها كالببغاوات لمسخت معالم ذاتيتنا وذبنا فيها ذوبانا •

وان هذا ليبرز فى ظاهرتين اثنتين :

الظاهرة الاولى تتمثل فى تحد استعمارى من ابشع التحديات وهو وجود اسرائيل الصهيونية واغتصابها لاراضينا وكان الاستعمار التوطينى الغربى الذى حكم عليه العصر بالزوال قد تجمع فى فلسطين الجريحة ليمنع كل نهضة حقيقية بالعالم العربى ، ولكن ذلك قد حفز امتنا على ان تتجه نحو النهضة الحق فبدأت تتصدى لهذا التحدى بما يماثله •

والظاهرة الثانية هى اكثر تسترا واخطر لانها برزت فى قالب تحديات العصر لنا ، هذا العصر الذى استولت عليه حضارة غير حضارتنا وفرضت علينا ان نعيش ونتصور العالم بمنظارها لما اكتسبته من قوة أساسها العلوم والتقنية والتكنولوجيا ولئن شعرنا بأنه لامناص من أن نأخذ من أسباب هذه

القوة المادية بنصيبنا فان شعورنا أعظم بوجوب تمسكنا بشخصيتنا واصالتنا لننظر الى هذا العالم بمنظارنا ونتصوره حسب مقومات حضارتنا ٠

لذا فان فرس الرهان فى هذه الحلبة هو ان نكون نحن فلا نأخذ العلم لنقلد ولا نستعير أسباب الحضارة لتكون طلاء براقا ولا نقبل قيم الغير لنلبسهـا للزينة والبهرج بل من واجبنا أن نهضم حضارة العصر لنخلق ولنقدم للعالم غذاء انسانيا بفضله يقدر قيمة حضارتنا ويسمع كلمتنا ولا يستهين بنا ٠

معركة المصير اذن هي بالنسبة للخلاق منا وعي بهذا كلـه : وعي بشرف الكلمة التى لا يرضى لها أن تنحط الى مستوى الدعايـة السخيفـة ، ووعي بمسؤوليته فى امة تكافح من أجل مصير أفضل ، ووعي بأن يكون انتاجـه الفنى انسانيا آخذا بأسباب العصر نافذا بايقاعه الى قلوب وعقول اهل حضارة اليوم ولكنه فى كل هذا يعبر عن الروح العربية الاسلامية أى عن حضارتنا فى مختلف اوجهها بصورة يكون معها محببا مفهومها لا بالنسبة لنا فقط بل لاجزاء اخرى من العالم ٠

واننا ــ فى تونس العربية المسلمة القريبة جغرافيا قربا كبيرا من العالـم الغربى ، والتى ناءت طيلة سبعين سنة تحت كلكل استعمار توطيني محطم وعرفت الغربة اللغوية فى ابشع اطوارها ــ لشاعرون حاد الشعـور بهـذا المنعـرج الخطيـر فى حياة أمتنا ولقد وعينا هذا كلـه وكشفنا عـن الاخطار التى تهددنا من تفسخ ومسخ وطمس « للذات الامينة » فتصدينا الى رواسب الاستعمار نستأصلها والى تحديات العصر نجابهها وذلك بالتمسك بأصالتنا ومقوماتنا الاساسية وبالانصهار فى حضارة العصر حتى نخرج من طور الاخذ الى طور العطاء ونقدر على المساهمة فى صلب العالم العربى عـلى اثراء الانسانية بنوعية الخلق فينا وطرافة الابداع الكامنة فى نفوسنا ٠

وان المتتبع لانتاجنا الادبى والفكرى فى تونس ، ليلمس هذا العزم عـلى التمسك باصالتنا ومعانقة العصر والامتزاج به وذلك فى كل فنون الادبوفى مختلف الاتجاهات قديمها وحديثها رائدنا هو الابقاء على شرفالكلمةوسموها والحرص على الرفع من شأن أمتنا فى معركتها المظفرة من أجل ان نكون نحن : طرافة وخلقا وقوة ومناعة ٠

لهذا فان الاقانيم الثلاثة التى ظهرت لنا فى أول هذا العمل متنافرة شيئا ما محفوفة بالمخاطر من حيث تلاؤمها وتجانسها أصبحت لا تحتاج الى أى تخوف

ما دام التعبير الفنى أصيلا والاديب شاعرا بمسؤوليته ازاء أمته فى معركة المصير وانه ليس أفضل من أن أختم هذه الكلمة بمثل ما بدأتها بأبيات لعروة ابن الورد لا تمثل الاصالة العربية فقط بل تترجم عن كنه ما نخوض فيه فى الواقع وهى رسالة الفنان فى أمته اذ قال :

« وسائلة اين الرحيل ؟ وسائل ... ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه
مذاهبه أن الفجاج عريضة ... اذا ضن عنه بالفعال أقاربه
فلا اترك الاخوان ما عشت للردى ... كما أنه لا يترك الماء شاربه

البشير بن سلامة

كلمات جديدة

شعر : جعفر ماجد

من قديم طيفها ساحر ... لم يعانق مثله شاعر
عاش فى أحلامنا خاطرا ... قبل أن يدركه الخاطر
كم سمعنا خفقه كلما ... حام فى آفاقنا طائر
وهفا من حولنا طالما ... عن دمشق حدث السامر
عن بلاد مجدها خالد ... نافس الماضى بها الحاضر

* * *

يا رفاقى ها أنا بينكم ... جرح قلبى نازف ناغر
لم يكن فى دارنا منكم ... أولنا فى داركم زائر
نحن جسم واحد إن شكا ... منه عضو سهر الآخر
يا ربوع الشام لا تجزعى ... قربانا زهرها ناضر
وشموس الشرق لا تنطفى ... وسناها أبدا غامر
ها هنا التاريخ يحكى لهم ... كيف دار الفلك الدائر
هذه الارض التى فوقها ... رام أن يستشرى الكاسر
كلما مات بها ثائر ... قام فى آثاره ثائر

* * *

يا بلادى لست مغلوبة ... شعبنا سلطانه قاهر
غير أن الغدر أودى به ... كيف يبقى بيننا الغادر
هذه الايام شاهدة ... سترى من حظه خاسر
لن يغيم النور فى أفقنا ... ما شدا فى أمتى شاعر
شعرنا لم يبق تهويمة ... فى كهوف ليلها عاهر
لا ولا نرضى به مدحة ... يشتريها حاكم جائر
كل حرف من دواويننا ... غضب ملتهب هادر
وقوافينا اذا صودرت ... مات فى أقفاصها الكافر
نحن سرنا فى دروب الردى ... حيث لا ينتظر السائر
وعلى هاماتنا آية ... كل جلاد لها ذاكر

حينما كنا لنا قصة ... ولنا تاريخنا الباهر
فاسألوا كم إخوة عذبوا ... واسألوا كم إخوة هاجروا
وطغاة الارض لن يهدؤوا ... طالما لاحقهم شاعر
فكأنا لهم لعنة ... أو ضمير قلق حائر

* * *

من ربى الخضراء يا بردى ... لى هوى مثل الندى طاهر
صغته من أحرفى باقة ... كل قلب حولها طائر
غير أن الحر فى صبره ... ضيمه مهما يكن ظاهر
لكم فى تونس إخوة ... كل جفن منهم ساهر
فى رحاب القدس أكبادهم ... داسها مَن ذلها الحافر
وإلى الجولان أنظارهم ... شدها حزنهم الآسر
وعلى سيناء أنفاسهم ... مازجت أنفاس من غامروا
يشعلون الحرب فى وهمهم ... حين لا يشعلها قادر

* * *

يا صلاح الدين ماذا بنا ؟ ... أين منا النصر والناصر ؟
إنما أعداؤنا إخوة ... سيفهم فى نحرنا باتر
أكلوا من لحمنا حيه ... ورواهم دمنا الفائر
واستراحوا فوق أشلائنا ... مثلما يبتهج الظافر
وعلى أعتابنا خصمنا ... ضاحك مما يرى ساخر
هذه يا أمتى حالنا ... وأنا فى حالنا سادر
أينما أنظر أجد قطعة ... من بلادى مسها ضائر
وقوانا استنزفت كلها ... حيث لا غدر ولا غادر
فاذا آمالنا تهمة ... واذا فارسنا عاثر
واذا مصلحنا خائن ... واذا تفكيرنا بائر
وكأنا لم نكن أمة ... بالهدى تاريخها عامر
يقبس العميان من نورها ... يوم لم يصدق لهم ناظر
هل يعيد الدهر أيامنا ... ويجلى مجدنا الغابر
وترى أعلامنا حرة ... نجمنا من بينها زاهر
ويصفى الشعب اعداءه ... إنه الناهى هنا الآمر

ج. م.
(تونس)

البلاد العربية وحقوق التأليف

بقلم : مصطفى الفارسي

مقـــدمـــــة :

أتيحت لي طيلة الاثنى عشرة سنة الاخيرة أكثر من فرصة للدفاع عن حقوق المؤلفين على الصعيدين القومي والدولي وكان لي شرف المشاركة في اعداد القانون التونسي لرعاية حقوق المؤلفين وبعث جمعية المؤلفين والملحنين التونسيين · كما كان لي الشرف أن اتقدم الى الجلسة العامة لمنظمة اليونسكو في دورتها الرابعة عشرة اكتوبر 1966 بلائحة خاصة برعاية حقوق التاليف في البلاد النامية طالبت فيها بمراجعة سياسة الدول المتقدمة في هذا الميدان الحيوي الذي يتوقف عليه التبادل الثقافي بين الدول والتفاهم المنشود بين البشر على اختلاف اجناسهم واوطانهم ولغاتهم ومذاهبهم السياسية وأساليبهم التربوية · كانت اللائحة عدد 5I22 هذه تدعو الى توحيد الانظمة الدولية الخاصة برعاية حقوق المؤلفين وتهدف بالذات الى مراجعة اتفاقيتي « اتحاد بارن »و « الوثيقة العالمية » التي تشرف عليها منظمة اليونسكو · وصادقت الجلسة العامة على اللائحة بالاجماع وكلفت المدير العام للمنظمة بالسعي لتحقيق محتواها في أقرب الآجال ·

وعلى اثر هذا الحدث الهام دعى الى جنيف مقر « اتحاد بارن » في ندوة استشارية مجموعة من الخبراء الاوروبيين والافارقة والاسيويين للنظر في امكانية اعداد مشروع لمراجعة وثيقة « اتحاد بارن » وحضر الندوة مندوبون عن المغرب الاقصى ولبنان وتونس · وسمع الاوروبيون صوت العرب بخصوص هذه القضية وتم الاتفاق على ضبط خطوط « بروتوكول » صادقت عليه الدول المنضوية تحت لواء « اتفاقية اتحاد بارن » في مؤتمر ستوكهولم الذي تمت اثناءه مراجعة هذه الاتفاقية والمصادقة على « البروتوكول » الذي الحق بها لصالح الدول النامية وتيسير التعاون بينها وبين الدول المتقدمة المصدرة للآثار الفكرية ·

ومازالت الندوات والاجتماعات تتوالى حول هذا الموضوع على الصعيد الدولى وآخرها اجتماع عقد بباريس فى شهر جويلية المنصرم 1971 وكان موضوعه الدعوة الى مراجعة الوثيقتين الدوليتين مراجعة اخرى على ضوء مداولات مؤتمر ستوكهولم 1967 الذى لم يكتب لقراراته أن تدخل حيز التنفيذ . وترمى مراجعة الوثيقتين الى تمكين أكثر عدد ممكن من البلاد النامية من التمتع بالآثار الفكرية العالمية على اوسع نطاق وبايسر السبل وباقل التكاليف الاقتصادية .. خاصة فيما يتعلق بحاجة هذه البلاد النامية الملحة والمتزايدة الى نقل هذه الآثار الى لغاتها القومية والى جلب اكثر عدد ممكن من نسخ هذه الآثار الفكرية الى اوطانها بما فى ذلك الاسطوانات والتسجيلات والاشرطة السينمائية ذات الصبغة التربوية .

ومعلوم ان الترجمة والاستنساخ كانت ولم تزل موردا لايستهان به من العملة الصعبة التى تتحملها الدول النامية رغم ضيق ما باليد للحصول على الرصيد الثقافى الذى تستعمله فى برامجها التربوية والتثقيفية ان عن طريق الكتاب المطبوع أو عن طريق الصوت المسجل أو عن طريق الشاشة التلفزية أو السينمائيــة .

حاجتنا الى التفتح على الثقافات الاجنبية تدفعنا الى الدخول فى حوار مع الدول المتقدمة صناعيا واقتصاديا لنطالب أكثر فأكثر بالتخفيض من معلوم النقل والترجمة والاستنساخ دون المس من حقوق المؤلفين المشروعة ودون حيف أو تنطع أو تجاهل لمسائل يعتبرها غيرنا فى الدول المتقدمة جوهرية حيوية ومازال البعض منا ـ مع الاسف الشديد ـ لا يقيم لها وزنا اما عن جهل أو تعنت أو تكبر أو عدم اكتراث .

1 ـ دور الكاتب فى المجتمع :

العمل الفكرى ينطلق من مجهود فردى ليتصل مباشرة بالمجتمع ويخدم الصالح العام . فهو تجاوز للفردية . ولهذا السبب كان للمؤلف دور .

وان دور المؤلف فى مختلف شعب الثقافة والعلم والمعرفة دورروحانى سواء بالنسبة الى قومه ومنطقته الجغرافية ودائرته الحضارية أو بالنسبة الى ماوراء حدود وطنه وما وراء حدود عصره . فالثقافة تجاوز للزمان والمكان... وعمل

المؤلف فى أى شعب واى زمان مساهمة الفكر البشرى فى تطور المجموعة الانسانية قاطبة ٠

ولخطورة هذا الدور ولايجابيته وفعاليته أصبح من واجب الدولة أن تضمن للمؤلف العيش الكريم وأن ترعى حقوقه الشرعية على الاثر الفكرى الذى هو قطعة من ذاته ٠

لكن كثيرا ما نتحدث عن واجب المؤلف وعن مسؤوليته فى المجتمع ٠٠٠ وكثيرا ما نطالبه بخدمة قضايا شعبه والقضايا العادلة بصورة أعم ولكننا نتحدث فى نفس الوقت عن حقوق المؤلف ٠ **فما هى هذه الحقوق ؟**

2 ــ حقوق الكاتب المشروعة :

1 ــ **من حقوق** المؤلف ان تتوفر لديه حرية التعبير وحرية **الخلق الفكرى ٠** ولا يتوفر له ذلك الا اذا كان **الاعلام** حرا بموجب حق افراد الامة جميعهم فى العلم والمعرفة ٠

وحرية الخلق والتعبير تعنى اولا وبالذات حرية المؤلف المطلقة فى البحث والاستقصاء والاستنباط وبالتالى فى ترويج نتائج عمله والاتصال بالجمهور وبث افكاره فيه واحاطة الناس علما بما يختلج فى صدره من مشاعر واحاسيس وما حصل له من معرفة عن طريق التجربة والخبرة والتطلع والاستكشاف ٠

فالمؤلف الحق المطلق فى نشر مصنفاته الفكرية وتوزيعهاواذاعتهاوترويجها على أوسع نطاق ٠

2 ــ ومن حقوق المؤلف تنمية شخصيته الفنية والفكرية فى حرية ليس للدولة ان تخنقها أو تحد منها باسم الردع أو الزجر او بعنوان الدفاع عن كيان وشعارات هو فى طليعة من يحرسونها وينودون عنها اذا كانت فىخدمة العدل والسلام ٠ **فالمؤلف مسؤول ٠**

3 ــ يتعين التمييز بين امرين : الاول وهو مبدأ رعاية المصالح العامة بنقل الاخبار ونشر الثقافة وتوزيع الافكار على افراد الشعب ٠ والثانى وهو يتمثل فى الدعوة الى رعاية مصالح رجال الصناعة والتجار وبصورة أعم من يستغلون المصنفات الفكرية على حساب اصحابها المؤلفين ٠

فمن صالح المؤلف ان تذاع افكاره وتروج آثاره .. لكن على ان لا يكون ذلك على حسابه او بالرغم منه او بتشويه تلك الآثار او بتوجيهها وجهة لم يقصد اليها صاحبها .

ولا يمكن لاى شعب أن يتثقف ويتطور الا اذا وجد أرباب الفكر فيه كل التشجيع وكل الرعاية وكامل الاعتبار من قبل الدوائر المسؤولة . فللمؤلف حق فى الحياة الكريمة .

4 ـ لاحق للمؤسسات الموكل اليها نشر الآثار الفكرية وترويجها أن تتدخل فى شؤون الخلق المتصلة بالمؤلف اتصالا عضويا . وما هذه المؤسسات الا وسائل اعلام . ويمكنها أن تحمى نظمها وقوانينها وترتيباتها كما ترتضيه لكن شريطة الاتمس هذه النصوص التنظيمية حقوق المؤلف الشرعية .

فللمؤلف وحده حق ممارسة سلطانه المطلق على اثره الفكرى فى جميع وجوه استعماله من قبل مؤسسات الترويج وفى شتى مراحل الاستهلاك .

3 ـ طبيعة حقوق التأليف وفحوى هذه الحقوق :

يتصل حق المؤلف بعملية الخلق الفكرى ذاتها فهو متصل الجذور بطبيعة الاشياء لانه يتمثل فى فعل الخلق ولان اساسه ومبرره ذات المؤلف كشخص مادى .

لذلك لا يجوز لاى شخص معنوى مهما تكن مكانته ومنزلته فى الدولة ان يبتز من صاحب الاثر حقه على اثره وان يحل مكانه فى التمتع بهذا الحق . وبهذه الصورة يتعين ان ندحض الدعاوى الرامية الى اعتبار المؤلف مجرد عامل اجير تستخدمه مؤسسة صناعية أو تجارية تنفرد بحق التأليف لاغراضها ومصالحها وتستغل الآثار الفكرية حسب هواها كما تفعل بأى بضاعة مادية عادية معروضة فى سوق البيع والشراء . **فالاثر الفكرى اسمى من ان يكون بضاعة مادية .**

6 ـ الاثر الفكرى تعبير صادر عن ذات المؤلف . وهو فى نفس الوقت مورد مادى لا استغناء للمؤلف عنه . لذلك لا يجوز ان ينتقل حق التأليف من

مصدره الى مستعمله الا فى حالة موت المؤلف فينتقل الحق من المصدر الى فرعه عن طريق الميراث وبحكمه • فلا فرق هنا بين الاثر الفكرى وبيـن ما يدخره الانسان فى دهره من مال أو متاع يعود بعد وفاته الى اهل بيته وذوى القربى ارثا طيبا حلالا •

فالمؤلف بنشره آثاره الفكرية مدة حياته يشرك الناس لا فى ملكيته بل فى التمتع بالثمار التى تجود بها تلك الملكية فنفع الاثر الفكرى وحده هـو الذى يصبح شيعة بين الناس أى المحتوى المعنوى فحسب • اما الاثر ذاته فيبقى على ملك صاحبه لا حق لاحد عليه سواه •

ولذلك فان استعمال الآثار الفكرية لصالح المجتمع وتوعيته وتثقيفه مـن شأنه أن يخضع للشروط التى يضبطها المؤلف بصفته المالك الاوحد لافكاره والمسؤول الاوحد عنها • عن طواعية وبالمختار • **فلا اكراه فى ميدان الفكر •**

ولا يحق ـ والحالة هذه ـ لاى مجتمع من المجتمعات أن يفرض على المؤلف سلطانه بالرغم منه • باسم الصالح العام أو أى شعار من هذا القبيل بقطع النظر عن قيمة الشعار وعدله وتساميه وانسانيته • بحيث لا يجوز استعمال الاثر الفكرى لاى غرض من الاغراض دون الترخيص الصريح مـن مؤلفـه وموافقته المكتوبة التى يمكن أن تقوم حجة عليه عند الاقتضـاء وفى حالات النزاع بالخصوص وبهذه النظرة تختلف الآثار الفكريـة عـن المخترعـات الصناعية • فالآثار الفكرية تتابع فى الزمان وهى استنباط اشكال تتكامـل ولا يمحى لاحقها سابقها او يحل مكانه باية حال اما الاختراعات الصناعيـة فعبارة عن مجموعة من درجات فى سلم التقدم التقنى •• كل درجة تعوض الدرجة التى سبقتها وتحل محلها الى ان تاتى درجة لاحقة فتنسيها •

فالتطور الفكرى والتطور التقنى لا يخضعان لنفس المقاييس •

4 ـ ممارسة حق التأليف ومدى حمايته :

7 ـ وانطلاقا من هذا الاعتبار يتعين التمييز بين الاثـر الفكـرى وبيـن البضاعة المادية فذاك لا يباع ولا يشترى وانما هو يستعار ويعاد الى صاحبه وتلك اذا بيعت سقط حق بائعها واتصل بذات المشترى بمجرد انتقالهـا من حوزة الاول الى حوزة الثانى •

ولذلك فحقوق المؤلف على اثره الفكرى مختلفة عديدة لانهامتصلة باستعمالات مختلفة عديدة منها النقل بالطباعة والصورة والاسطوانة والشريط بنوعيه السمعى والمرئى ، ومنها الاقتباس والتمثيل والعزف والاخراج والاذاعة والتلفزة والعرض على الجمهور بصورة أعم • وكل استعمال منهذهالاستعمالات وجه من وجوه الاستهلاك مقيد بموافقة المؤلف موقوف على ترخيص صريح صادر عنه دون اى احد سواه • **فالمؤلف هو صاحب الامتياز** فى كل عملية من هذه العمليات وهو شريك فى نجاح الاثر الفكرى لرجال الصناعة والمستغلين لاثره بصورة اعم • ويجب ان تعود آثاره عليه بالنفع المادى الناتج عن ذلك الاستغلال فى صورة نسب مئوية تخصم من المداخيل الحاصلة من العرض على الجمهور على اختلاف العروض وانواعها • ولذلك يتعين أن يقرأ لكل استعمال حساب • **فلكل عمل اجر يناسبه** وقد تتفاوت مقادير الاجر لكن بعد اتفاق الطرفين المؤلف ومن يستغل اثره الفكرى •

8 ــ على انه يمكن استعمال الآثار الفكرية دون ترخيص من مؤلفها فى حالات معينة يضبطها القانون منها استعمال تلك الآثار من قبل الخواص وفى نطاقهم المحدود • ومنها استعمال الآثار الفكرية لاغراض اخبارية او لاسباب تربوية أو تثقيفية محض لا تعود بالنفع المادى على من يستغلها ولا تلحق ضررا بالاستهلاك التجارى الذى هو من حق المؤلف وحده بصفته مالك الاثر لذلك لا يجوز للخواص ان يستنسخوا الاثر الفكرى لغايات تجارية فيبيعون هكذا ما ليس لهم حق عليه ويغبطون حق المؤلف المشروع •

وينبغى أن تأخذ الدول كل هذه الاحوال بعين الاعتبار فتشرع للاستعمال وتضبط حدوده وان تقر قبل كل شىء مبدأ رعاية حقوق المؤلفين الذين هم فى كفالتها حتى لا يبيح التجار لانفسهم حقا راجعا لغيرهم • فلا فرق بين سارق الفكر وسارق المال ••• ولكل سرقة عقاب

9 ــ وحق المؤلف ينتقل عند وفاته الى خلفه او ذوى القربى من اهله • لذلك يتعين ان تشرع الدولة لحقوق ورثة المؤلفين ليمكنهم ممارسة حقهم والتمتع بموارد الآثار الفكرية بعد وفاة اصحابها او تكليف من يستخلصها باسمهم ولصالحهم من مستغليها •

ومعلوم ان حق التاليف يسقط عن اصحابه بعد مرور سنوات معدودات على وفاة صاحب الاثر الفكرى • وقد تختلف آماد الاستحقاق من قطر الى قطر ومن

تشريع الى تشريع · لكن الاثر لا يصبح ملك المجموعة الا بعد مرور سنوات على وفاة صاحبه على كل حال · وفى اقرار هذا المبدأ فى كل التشريعات احترام المجموعة البشرية لروح المؤلف ورعاية لاهله من بعده وان فى زمن محدود · (من خمس الى خمسين سنة)

وما مبدأ اسقاط الحق المادى مع ابقاء الحقوق المعنوية بعد وفاة المؤلف الا بدافع تعميم الفائدة وتمليك العامة حقا من وراثه خدمة الثقافة واشعاع الفكر ورواج الآثار الفنية والادبية والعلمية والفكرية على اوسع نطاق واشمله ·

5 ـ مؤسسات رعاية حقوق المؤلفين ومشمولاتها :

10 ـ ولتعقيد المسائل المتصلة بحقوق التاليف ولتشعبها وتنوعها وجب على الدول ان تتولى التشريع لها وضبط القوانين لرعاية من تعود عليه بالنفع ماديا ومعنويا · والى جانب هذه القوانين والتشريعات وجب ايضا بعث مؤسسات خاصة موكول اليها السهر على هذه المصالح المشروعة وليست هذه المؤسسات او الجمعيات أو الشركات ذات صبغة تجارية وليس من غاياتها الاثراء على حساب اصحاب الحقوق بل ان دورها يقتصر على استخلاص المحاصيل الراجعة الى المؤلفين وتوزيعها عليهم توزيعا عادلا يضمن لهم العيش الكريم ويرعى ابناءهم واهليهم من بعدهم الى حين ·

11 ـ ويتعين على الدول ان تمد لهذه المؤسسات ذات الصبغة الانسانية يد المساعدة لتمكنها من القيام بواجبها على الوجه الاكمل · وتتمثل هذه المساعدة فى اعفاء هذه المؤسسات من الضرائب والاداءات فى نطاق قانون يحمى حقوق المؤلفين ويضبط ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات وينظم العلاقات بينهم وبين من يستغلون آثارهم الفكرية ·

ومن مشمولات مؤسسات الدفاع عن حقوق المؤلفين تمثيل هؤلاء امام السلط القضائية فى حالات النزاع كما ان من واجبها الاسهام فى اعداد القوانين الوطنية لرعاية حقوق التأليف والمشاركة فى اعداد القوانين الدولية التى تدعم هذه الرعاية وتقرها كمبدا يجب احترامه والدفاع عنه على اوسع نطاق تيسيرا للتبادل الثقافى بين الدول وتعميما للثقافة وخدمة للفكر والتفاهم البشرى ·

12 ـ وان ايجاد قوانين تضمن حقوق الممثلين فى الدول العربية وبعث مؤسسات يوكل اليها الدفاع عن هذه الحقوق قد أصبح اليوم امرا ضروريا يحتمه العصر وتمليه علينا جميعا سنة التطور .

6 ـ رعاية حقوق المؤلفين على الصعيد الدولي :

ونحن فى عصر قربت فيه الاقاصى وقصرت المسافات وقد دخل التبادل الثقافى فى طبيعة البشر فاصبحنا نشاطر الناس فى ثقافتهم ونشاركهم فى افراحهم واتراحهم من خلال الشاشة الكبيرة والصغيرة وعن طريق السلكى واللاسلكى وكل الوسائل السمعية والبصرية المتنقلة على البسيطة او السائرة مع الافلاك فى الفضاء الفسيح .

ثم اننا لم نزل نستورد من الشرق والغرب الآثار الفكرية التى تثرى رصيدنا الثقافى وتطعمه وتطوره وتنميه فتلك حقيقة لا يجدر بنا ان نطمسها او ان نتجاهلها فنكون كالنعامة التى ترغم انفها فى التراب عندما يداهمها الخطر لئلا ترى الزاحف عليها .

كنا فى عهود النهضة من المصدرين للفكر والثقافة والعلم واعترف لنا الا جانب بذلك ومازالوا يعترفون ولكننا اليوم فى حاجة الى توريد الآثار الفكرية اللازمة لنهضتنا التربوية والثقافية ولثورتنا التقنية العلمية والفنية.. نحن فى حاجة الى نقل الآثار الفكرية الاوروبية والامريكية الى لغتنا والى الاستنساخ والاقتباس والاستيحاء والمحاذاة فان نحن لم نرع حقوق الغير فمن يرعى حقوق مواطنينا على قلتهم ؟

لذلك يتعين ان نبدأ برعاية حقوق مؤلفينا فى مرحلة اولى ثم ندخل فى حوار مع الغير على قدم المساواة وعن طواعية وبالمختار فنشاركهم فى نهضتهم لا من خلال ثقب مفتاح بل من باب مفتوح المصراعين ينفذ منه الهواء والنور ذهابا وايابا فينعشنا وينعش غيرنا فى طلاقة وحرية ... وهذه مرحلة ثانية واجبة هى أيضا وهى تحتم علينا الانضمام الى المنظمات الدولية الساهرة على رعاية حقوق المؤلفين على الصعيد الكونى .

ونعلم ان المؤسسات الوطنية لا بد لها ان تتعامل مع مثيلاتها وان تكون هكذا حلقة من سلسلة حلقات تقوم بواجبها في صالح المجموعة • في صالح المؤلفين قبل كل شيء••وفي صالح المستغلين لآثارهم أيضا • ذلك انه كثيرا ما يتعذر على مستغلي الاثار الفكرية الاتصال المباشر بصاحب الاثر وبالتالي بصاحب الحق المادي والادبي فيعسر لذلك السبب الحصول على الترخيص من المؤلف قبل استعمال اثره الفكري كما يعسر ايصال المكافأة العادلة لمستحقيها فيضيع هكذا حق المؤلف عن قصد او عن غير قصد • وتكثر المظالم والسرقات الادبية واختلاس افكار الغير •

فبهذه النظرة يتحتم علينا اذا اردنا أن نفتح لمؤلفينا آفاقا جديدة ان نعمل على رعايتهم على الصعيدين : الصعيد الوطني بسن قوانين كفيلة بحماية حقوقهم في اوطانهم والصعيد الدولي بالانضمام الى احدى الاتفاقيتين « اتحاد بارن » و « الوثيقة العالمية » او اليهما معا : كما هو الحال بالنسبة الى لبنان وتونس •

ونعلم ان البلاد العربية التي سنت قوانين وطنية تحمي حقوق المؤلفين لا يتجاوز عددها الآن الستة وهي المغرب وتونس والجزائر (وان كان القانون الذي ورثته عن الاستعمار الفرنسي نافذا الى حد اليوم) وليبيا ومصر ولبنان•

كما نعلم ان من بين هذه الدول دولتين عضوتين في اتفاقية « اتحاد بارن » هما المغرب وتونس • ودولتين انضمتا الى « الاتفاقية العالمية » التابعةلليونسكو وهما لبنان وتونس •

اما الدول الاخرى فقد احجمت عن الانتماء لاي وثيقة من الوثائق الدولية الخاصة برعاية حقوق التاليف لاسباب نعرفها او لاسباب نجهلها •

اما ما نعرف من هذه الاسباب فيتلخص فيما يلي :

1 ـ ترى بعض الدول انه يكفي الاقتصار على سن قانون وطني يرعى حقوق مؤلفيها دون سواهم تحاشيا لما قد ينجر عن انضمامها للاتفاقيات الدولية من تصدير العملة الصعبة •

2 ـ وترى بعض الدول انه لاحاجة لها قطعا بسن قانون وطني لضمان حقوق المؤلفين اذ يكفيها ان تشترى الآثار الفكرية من اصحابها وتستعملها ما طاب لها الاستعمال •

3 ـ وترى بعض الدول ان المؤلف مسخر لخدمة المجموعة مجند ابدا وانه اذا اراد ان يعيش مكرما فما عليه الا ان يتوظف ويعيش براتبه ٠

4 ـ اما الصنف الرابع من الدول العربية فلا تعير للقضية اى اهتمام فهى لا تعترف رسميا بضرورة سن قانون يرعى حقوق المؤلفين بدعوى ان الجاحظ فى عصره لم يتمتع بأية رعاية ولم يكن يخطر بباله انه صاحب حق ٠ ويمكننا ان ندحض هذه المزاعم بما اوردنا من الحجج فى مستهل هذا البحث مع اضافة النقـاط التاليـة :

1 ـ مسألة رعاية حقوق المؤلفين متصلة بالاخلاق العامة فلكل مالك حـق التصرف فى ملكه خاصة وان المؤلف منصنف الملاكين الـذين لا يستغلـون عرق جبين غيرهـم ٠

2 ـ لكل دولة من الدول الحق فى سن قانون وطنى يرعى حقوق مواطنيها اكثر من غيرهم ٠

ولها ان تحدد من تصدير العملة الصعبة بوضع الموارد المتأتية من حقـوق التأليف الراجعة للاجانب على ذمة هؤلاء على ان تصرف هذه المبالغ داخل حدودها الجغرافيـة ٠

3 ـ الآثار الفكرية لاتباع ولا تشترى ٠٠ وانما تستعار بمقابل وليس مـن الاخلاق الكريمة ان يسلب من المؤلف حقه عن طريق الاكراه ٠

4 ـ المؤلف مسخر لخدمة المجموعة حتما ٠٠ لكنه فى حاجة الى الخبز ٠ فمن اشبع مطيته لم يخش موتها فى وسط الطريق وشعوبنا فى حاجة الى من يدافع عن قضاياها باستمرار وطول نفس وتفان واخلاص ٠ ولا تكون المثابرة بفراغ البطون اما الوظيف فمرتبه لا يكون الا فى مقابل عمل ادارى ٠٠ وكثيرا مـــا يقعد هذا العمل المؤلفين عن الخلق ٠ وان هو لم يقعدهم فكثيرا ما يطبعهم بطابع الازدواجية وهو مرض عضال يصيب الكثير من ارباب الفكر عندناعندمايشعرون انهم فى نفس الوقت « الحاكم » والمحكوم عليه « لسان الدفاع » و « نائـب الحق العام » ٠ وقد كتب « كورتلين » من المسرحيات المرحة ـ المرة فى هذا المرض ما يشفى الغليل ٠

5 ـ وبه نرد على من لا يعير القضية اى اهتمام ؟ من نسيته تغافل عنك ومن لم يلبس عصره ظل على اطلال ما ضيه يبكى ويستبكى ٠٠ اما البكاء فمن حقه واما الباكون الذين يستجيبون لندائه فى عصرنا فقد تقلصت ظلالهم وشغلهم عن البكاء الطموح لتحقيق الغد الافضل ٠٠ ونحن فى عصر احتل فيه الحوار محل النواح والندم على مافات ٠

وخلاصة القول ان التعاون الدولى ولقاح الثقافات ووجوب الاتصال والتفتح على الآفاق الجديدة واجب علينا يخرجنا من الانكماش على انفسنا والانـزواء والعزلة ويبوئنا فى الدنيا المكانة التى نستحق ومنا من هو جدير بهذه المكانة ·· لكل عراقيل كثيرة تحول دونهم ومايستحقون ومن هذه العراقيل تجاهل الدول المتقدمة لثقافتنا وحضارتنا ولغتنا ولكل قضايانا بصورة اعم ·· هذا صحيح · لكن ماذا فعلنا لنعرف بانفسنا ونفرض وجودنا فى عالم متحجر لا يعترف الا بمن يسطع نجمه فى ميادين الصناعة والتقنية والعلم ؟ هل يجدر بنا ان نتجاهل من يتجاهلنا او هل يتعين علينا ان ندخل فى حوار مع الغير لنسمع صوتنـا فى مرحلة اولى لنشعر بوجودنا ثم نرغم الغير على الاعتراف لنا بما نستحق ·· ثم نشوقه الى معرفة المزيد عنا ثم نفرض وجودنا عليه فيعترف لنا بالمساواة ويبادلنا الاحترام والتقدير ·

على هذا الاساس يقوم التعاون الدولى البناء ·· بتبادل الآثار الفكرية واشعاع الثقافات وتظافرها وتماسكها فى خدمة الانسان ·· وفى تسطير مصير البشرية

7 ـ توحيد الجهـود العربية بازاء حقوق التاليـف :

1 ـ يجب أن نقر اولا بمبدأ ضرورة ايجاد تشريع وطنى يضمن حق المؤلف على اثره الفكرى فى كل دولة عربية على حدة ·

2 ـ ان نحن اقررنا بهذه الضرورة وجب تنسيق اعمالنا لتكون هذه النصوص مستوحاة من واقعنا معتمدة تجارب السابقين منا فى هذا الميدان · مستمـدة روحها من مبدا الاعتراف بالفضل لذويه ·

3 ـ ان يقع هذا التنسيق عن طريق الجامعة العربية (ولست ادرى لماذا لم تقدم عليه الجامعة الى حد اليوم) ـ او اى هيئة عربية يوكل اليها النظر فى اعداد مشروع قانون مثالى تتفق عليه الدول العربية بعد المناقشة والتمحيص والاستقصاء واعتبار كل الظروف والملابسات الخاصة بكل بلد على حدة ·

4 ـ يمكن لاى دولة عربية لا تشمل قوانينها الآن رعاية حقوق المؤلفين ان تستعين بدولة عربية اخرى لها تلك القوانين ولها مؤسسات خاصة برعـاية حقوق المؤلفين · بصورة ثنائية · واعتقد ان لا دولة تبخـل عـلى شقيقتهـا بالوثائق او الخبراء فى هذا الميدان الحيوى الـذى يتعلـق بحـاضر الانسـان العربى ومستقبله ·

5 ـ ان نتقدم فى صف موحد الى المنظمات العالمية الموكل اليها ضمان حقوق المؤلفين · وان نطالب بمراجعة النصوص الدولية على ضوء مـا اتفقنا عليـه · وعندها وعندها فقط تسمع كلمتنا ويخشى خطرنا · ونعلم ان لنا فى العـالم

الثالث انصارا يعيشون محنتنا ولا ينتظرون منا الا جمع الكلمة معهم للوقوف صفا موحدا ضد كل تعسف او تجاهل او سيطرة من الدول المتقدمة تقنيا ٠

يجب ان نثبت للعالم ان تخلفنا ليس تخلف فكر وذهنية وليس من عدم قدرتنا اليوم على التفاعل مع الثقافات الاخرى وهضم ما طاب لنا منها وطبع ما تقبل منها الطابع العربى ٠٠ تخلفنا ليس من احجامنا على الاخذوالعطاءوليس من انكماش وليس من قعود وانما هو من ضيق ذات اليد ٠٠ مادى لا دخل للمعنويات فيه ٠ وهو تخلف تتحمل الدول المتقدمة قسطا وافرا من المسؤولية فيه ٠ لقد كنا ولم يزل البعض منا نهبا للمستعمرين وعرضة للامبريالية العالمية وللصهيونية البغيضة وللميز العنصرى ولكل الساحقات والماحقات ولم تزل قوى الشر تعرقل مسيرتنا الثقافية وتحول دوننا ودون نور المعرفة الساطع الشامل ٠ وخير حجة لنا على ذلك ان الدول المتقدمة تبدى كل الاستعداد لمدنا بالسلاح نفتك به ويفتك بنا بواسطته لكنها تتحجر كلما طالبناها بحقنا المشروع فى العلم والمعرفة والثقافة فلا تسمع اصواتنا ولا تسعى الى حل مشاكلنا التربوية لانها تستصغرنا جاهلين وتخشانا عارفين ٠

وقد لاحظنا هذا التحجر منذ اول جلسة طرحت فيها قضايا حقوق التاليف على الصعيد الافريقى فى برازافيل (من 5 الى 10 اوت سنة 1963) وشارك فيها نواب عن البلاد الاوروبية ٠ فكان موقف هؤلاء متسما بالابوة والعطف ونوع من التفهم المتصنع لكن اقناعهم بضرورة ادخال تحويرات جوهرية على تشريعاتهم القديمة لتلائم هذه النصوص اوضاع العالم الثالث كان امرا عسيرا ولولا تدخل منظمة اليونسكو وتبنيها لمقترحات البلاد النامية هو الذى ارغم المتحجرين على قبول مبدا مراجعة القوانين الدولية على اساس العدل والمساواة ٠

واختم هذه الدراسة ـ التى لا يمكن ان تكون الاسطحية تغلب عليها العموميات لما للموضوع من منعرجات لا يسمح بالتعرض لها جميعا ضيق المجال ـ اختم هذه الخواطر اذن باقتراح :

يتعين الا نخرج من هذا المؤتمر الابتوصية صريحة ندعو فيها دولنا الى تعيين من يمثلها فى ندوة علينا ان نحدد موعدها من الآن ٠ وتكون هذه الندوة بمثابة الاجتماع الاخبارى يتبادل خلاله ذوو الاختصاص منا او على الاقل من يهمهم امر رعاية حقوق التاليف وجهات النظر ويطلعون على آخر ملفات هذا الموضوع الشائك ليكون عملنا بعد ذلك مركزا لا مجازفة فيه ولا ارتجال ٠ لان الموضوع دقيق وعليه يتوقف فى نظرنا اشعاع الثقافة العربية ورواج اللغة العربية والآثار الفكرية العربية ٠

دمشق

شعر : نور الدين صمود

ملكت قياد القلب يا شوق ، فانبرى　　يحن الى هذى الربوع ويخفق
ويمضى اليها فى الخيال كأنه　　شراع كليل فى مدى اليم يطلق
بلوح له الميناء فى الشرق كلما　　رأى الشمس من خدر المفاتن تشرق
وتمضى به الأهواء فى كل وجهة　　تسابقه الأرياح دوما فيسبق
ويرهقنى إذ ينبرى بى طائرا　　يغرد فى هام العلى ويحلق
وأعيانى الشوق المكين كأننى　　شراع بأسواط الرياح يمزق
إلى أن رسا، فى مرفا الشرق، مركبى　　وقادت خطاه للهداية (جلق)
وفى ربعها ألفيت أهلى ومعشرى　　قلوبهم بالحب تطفو وتفهق
تفيض بألوان الوداد كأنما　　رأت (بردى) من مائة العذب يغدق
رأيت بها للسحر منهل فتنة　　وللشعر نبعا رائعا يترقرق
رأيت بها أحباب قلبى وإخوتى　　إلى الشام ، من أقصى البلاد ، تدفقوا
يوحدهم حب العروبة مذهبا　　ويدفعهم للعز عزم محقق
ويحدوهم للمجد مجد (أمية)　　يشع كنجم فى السما يتألق
وتعلو بهم كالنسر وثبة طامح　　وأعلامهم فى مفرق النجم ترشق
تسامت بهم نحو المعالى عزائم　　ومد لهم ، فى مدرج المجد ، نمرق
وجيشهم يختال شرقا ومغربا　　وراياتهم فى الجو تسمو وتسمق
وتمضى بهم أحلامهم فى رحابها　　كنسر جرىء فى الجواء يحلق
وعزمهم ماض مضاء قلوبهم　　تحن إلى الهيجاء كالسيف يمشق
فلا غرو أن يغزوا الزمان فانهم　　كعزمهم فى حلبة النصر سبق
ونحن غفاة حالمون بأمسنا　　وأمجادنا يسطى عليها وتسرق

* * *

ويحلو لنا أن نلتقي كل مرة ... فننظم شعرا رائعا وننمق
ونشتم أعداء العروبة والحمى ... ونخطب أحيانا وحينا نصفق
نهددهم بالمحق حتى كأننا ... نرى دمهم فى ساحة الموت يهرق
ويملأ ارجاء السماء كلامنا ... ولكنما أعمالنا ليس تصدق
ونغرق فى الاشعار حتى كأنما ... يسير بنا فى أبحر الشعر زورق
ألا إنما الأقوال لا بد أن ... يساندها فعل جرىء محقق
يبدد عنا ظلمة العار مثلما ... يمزق جلباب المغارب مشرق
رثيت مواثيق السلام لأنها ... بمخلب أعداء السلام تخرق
وعفت أغانى الحب لما سمعتها ... بأظفار بوم البغض فى الليل تخنق
وقبلتنا الأولى تهان ويعتدى ... عليها ، وفى ساحاتها المجد يشنق
ومسجدنا الأقصى وما ضم من تقى ... بنيران أعداء العروبة يحرق
ومصحفنا فيه يداس بأرجل ... وتلهو به أيدى العدى ويمزق

* * *

فلسطين يا ارض النبوة والتقى ... ويا مشعلا فيه الهدى يتألق
ويا كعبة الأديان عفوك إننا ... رأينا ديانات السما فيك تمحق ...
ولم تنتفض فينا الرجولة والابا ... ولكن ظللنا مثل بله نحدق
ظللنا غفاة حالمين بمجدنا ... وأمجادنا يسطى عليها وتسرق
وأزرى بنا صهيون حتى تطاولت ... يداه إلى راياتنا ، وهى تخفق
وقد كان قزما بيننا فاذا بنا ... نرى القزم أضحى بيننا يتعملق
تنمر ذاك الهر وسط ديارنا ... وأضحى بنصر زائف يتشدق
وأبواقه ظلت تردد جرمه ... كغربان كفر فى حمى الله تنعق
تفرزن ذاك البيدق القزم واعتلى ... وما هو إلا ، فى يد الغرب ، بيدق
يحركه فى رقعة الشرق كلما ... رأى الشرق أضحى وحدة لا تفرق
وقد شابه التمثال فى الزرع واقفا ... تحاذر منه الطير حينا وتفرق
ولكنها إن أدركت كنهه اغتدت ... تحط على أكتافه وتحلق
أأحباب قلبى إن قلبى لمخبرى ... بما فى قلوب الاصدقا حين تخفق

أأحبـاب قلبـى عفـو أعينكـم ففـى ... ءيـونكـم ضـوء الاخـا يتـالـق
يلـوم عل هـذى الصـراحة احـرفى ... لأنى نكـأت الجـرح والجـرح مطبـق
ءيـونكـم باللـوم تلجـم خـاطـرى ... ولكنهـا مثـل تـقـول وتنطـق
وتـؤمـن أن الـقـول لا بـد أن ... يسـانـده فعـل جـرىء محقـق
وتـؤمـن أن الـقيـد لا بـد أن ... يكسـره إيماننـا ، فهـو مـرهـق
قفوا يا أباة الضيـم فالضيـم قاتـل ... ووطأته تضنـى القلـوب وتـزهـق
قفـوا وحدوا منـا الصفـوف فاننـا ... نكـاد من الصـوت المفـرق نصعـق
فيا مهرجان الشعر قل لى ؛ متى متى ... نقـول كـلامـا رائعـا ونحقـق ؟ !
فنحـن كتبنـا للمعـالى سجلهـا ... وأقلامنـا فـى نصـرة الحـق فيلـق

ن. ص.

(تونس)

الاديب العربى ومشكلات الالتزام

بقلم : الدكتورة سهير القلماوى

كنا يوم اجتماعنا فى مؤتمرنا السابع فى بغداد من اكثر من عامين ونصف متلهفين لان نعرف هل يؤدى الاديب العربى دوره فى المعركة وما هى العوائق او الصعاب التى تعترض طريقه ومن هنا جاءت نداءاتنا بحرية الاديب وبضرورة التمكين لتراثنا العظيم من ان يؤدى دوره الضخم الفعال ويحل مشكلات النشر والتوزيع اى مشكلات التقاء الاديب بجمهوره • وكان قربنا النسبى من النتائج الاولى للمعركة يتحكم فى كثير من مرئياتنا وافكارنا ويحكم تصورنا وما قدرناه آنذاك ممكن العمل سهل التحقيق •

ولقاؤنا فى هذا المؤتمر الثامن هو الدليل على هذه اللهفة المتجددة والبرهان على ان ضمير الادباء العرب ينوء بمسؤولية ضخمة لا يكفى ازاءها ان يدرك الاديب انه ملتزم بالقضية قد نذر قلمه وفعله للمعركة حتى النصر ، وانما هو يريد ان يلقى رفقاء سلاح الكلمة ليتدارس ما فعل وما يمكن ان يفعل • ذلك ان الايام قد اثبتت ان المعركة ليست طويلة شاقة فحسب ولكنها ايضا مراوغة لا تتحكم فيها معطيات علم السياسة كما عرفناه حتى اليوم ولست اقول منطق الحق او العقل لان السياسة الدولية لا تعترف بحق ولا بعقل •

وكنا فى مؤتمرنا السابق حريصين على ان نستعرض نتاجنا الادبى وخاصة بعد الخامس من حزيران لنرى من خلال العرض ماذا استطاع الاديب ان ينجز فى هذه الفترة • ولقد استعرضنا هذا النتاج فى جملة دراسات لاحقة للمؤتمر فدرسنا شعر المعركة وقصصها ورواياتها ومسرحها وحللنا هذا النتاج فى مجلاتنا الادبية واستطاع كثيرون ان يشيروا الى تطلعاتهم فى هذا المجال •

وباستعراض هذه الابحاث وقد اطلعت عليها قدر المستطاع خرجت بنتائج اجملها فى مستهل بحثى لمقدمة موضوعى الذى ارى انتهاز فرصة تجمعنا لنفكر فيه جميعا ونخرج منه بعلامات هادية على طريق نضال الادباء فى المعركة • ان اهم هذه النتائج هى ان ادب المعركة لم يولد مع الهزيمة فى الجولة الاولى يوم 5 حزيران (يونيو) وانما كان هناك ادب قبل المعركة يتنبأ ،

كما يجب لكل ادب ان يتنبأ ، بان المجتمع العربي يجتاز فترة انحلال وتجزؤ وتفسخ داخلي حتى داخل القطر الواحد لا بد مؤدية الى كارثة وشيكة • لقد نقد الاوضاع كثيرون من الادباء حتى الذين كانوا يوافقون على الخطوط العريضة او العامة • ذلك انهم كانوا يرون خيانة ما في طريقة التنفيذ او عبثا واضحا ببعض القيم الاساسية• ومع كثير من الاحداث الخطيرة المؤسفة مثل حدث تحطيم اول صورة تنفيذية للوحدة العربية سطعت الاضواء أمام نظر الاديب ليرى امراض المجتمع العربي وان لم يوفق في كثير من الاحيان الى استشفاف المستقبل الكفيل بازالتها او الوسائل المؤدية الى تغيير المجتمع تغييرا جذريا •

كذلك استطاعت هذه الدراسات ان تبين المراحل المختلفة التي مر بها ادب المعركة قبل الهزيمة وبعدها عند شاعر خاص مثلا كالشاعر محمود درويش ودراسة الناقد الدكتور عبد القادر القط له (مجلة المجلة مارس ١٩٧١) او في المسرح والقصة مثلما فعل الناقد غالي شكري في بحثه في المؤتمر السابع او في الرواية وحدها في آخر بحث له في مجلة الطليعة (اغسطس سنة ١٩٧١) او في الادب عامة كما نجد في بحث الدكتور شكري عياد في المؤتمر السابع او في الشعر خاصة كما نجد في بحث الاستاذ خيري حماد للمؤتمر السابق • وهذه المراحل تبين اختلاف موقف الاديب من التنبؤ بالمأساة مثلما نجد في شعر ابراهيم طوقان والخطيب وأبو سلمى الى البكاء على حدوث المأساة واقامة دولة اسرائيل على تل أبيب من جماجم كل القيم الانسانية وكل القوانين الدولية ثم الى الايمان بضرورة المعركة الطويلة والحث على الثورة حتى جاء الخامس من حزيران المشؤوم فهب الشعراء خاصة يعذبون الذات يصرخون ويلطمون الخدود وفي لسعة الحزن العميق يتهمون ، حتى افقنا من الهول على واقع صلد جامد يحتاج منا الى عزيمة الصمود ولهيب الفداء لتغييره •

ولست استطيع ان اعرض لكل هذه الدراسات ولم اشر الا الى بعضها ولا ان اغمطها حقها في مواكبة آنية لأدب هو في نظري آني ايضا ولكنه كله علامة على الطريق • فهذه الدراسات الجادة قد حاولت ان تستلهم واقع هذا الادب وان تشير في وضوح وربما في بساطة ايضا الى الدور المنتظر لهذا الادب ما دامت المعركة مستمرة وما دمنا ما نزال نتطلع الى نصر حاسم فيها•

واننا جميعا قد قرأنا وسمعنا الكثير من هذه الاعمال الفنية منها ما اثار فينا فكرا او انفعالا ومنها ما خرجنا من معاناة تجربته بشيء من الفتور او

السخط احيانا اخرى وكنا بعد ان نعود الى انفسنا في كل مرة نحاول الاجابة على سؤال ما يزال يتردد كيف يمكن للادباء والشعراء فعلا ان يقوموا بدور أقوى وأشد فعالية في سبيل النصر في معركة المصير ٠

اما ان الاديب الحديث ملتزم بقضايا قومه وعصره فهذه بديهية لم يعد يناقشها احد ومنذ ان افاق العالم الغربي على حالة التفسخ التي قادته الى حرب عالمية ثانية خرج فيها المنتصر والمنهزم مهزومين والنقاد شرقا وغربا قد قتلوا هذه القضية بحثا ٠ واخذت جمعياتهم ومؤسساتهم وافرادهم يعملون من اجل ما سموه بالسلام ، وعلى قبر الضحية الرامز لمأساة هيروشيما ونكازاكي التي عرت الامبريالية الاميركية وفضحتها نقش اليابانيون هذه العبارة « حتى لا يحدث هذا مرة اخرى » نعم حتى لا يموت ملايين البشر في سبيل اطماع الاستعمار والامبريالية يجب ان نذكر دائما ان علينا واجبا مقدسا ٠ ولقد وضعت منظمة اليونسكو التابعة لهيئة الامم هذا القول شعارا لها ما دامت الحروب تنبت اصلا في عقل الانسان ففي عقل الانسان يجب ان تبنى معاقل السلام » ٠

ونسأل انفسنا في مرارة ماذا فعلت هذه الاقوال وهي ما زالت شعارات انسانية رفيعة في سبيل السلام في سبيل الا يحدث هذا مرة اخرى ٠

اذا كنا نحاسب على سياسة او اقتصاد فان الحساب عسير ولكنا اذا كنا نحاسب على دور الفن والادباء خاصة فاننا ولا شك نستطيع ان نتطلع الى المستقبل في تفاؤل نسبي ٠ ولهذا فان ادباءنا يستطيعون الكثير لو ان جهادهم بالكلمة فتح لهم آفاقا جديدة لا لمجرد الاخذ عن الغير ولكن للمساهمة بدورهم في سبيل السلام ٠ السلام العادل في الوطن العربي اولا ثم في العالم كله ٠ فليست هناك امكانية انعزال هنا وهناك حرب فيتنام حرب الهند وباكستان الاستعمار في افريقيا ومشكلات التفرقة العنصرية احتلال ايران لجزر الخليج العربي كل هذه وغيرها وجوه متعددة لنشاط اعداء السلام وكلها بلا استثناء تعكس اوضاعها وتأخذ وتعطى من قضيتنا العربية ومن حربنا مع اعداء السلام ٠

وهكذا نجد ان عالمية الجهود من اجل السلام لا بد ان تكون نبراسا يستعين به الاديب العربي حتى لا تفقد قضيتنا بانحصارها او محدوديتها ثقلها الدولي سياسيا او ثقلها الانساني فنيا ٠ واقصد بثقلها الانساني فرصة الانفتاح على

نماذج متعددة من كفاح الانسان اينما كان فى سبيل ان يتخطى بارادته الحرة الثائرة واقعا لا يرضاه لانسانيته وفرصة الانفتاح على الفكر الحر والاراء الخصبة بل فرصة الانفتاح ايضا على التجارب الفنية شعرا ونثرا مسرحا وقصة فى سبيل تليين القوالب وتطويع الاشكال لتحمل اشواق الاديب وتطلعنا الى الجماهير العريضة التى يعبر عنها وينطق بلسانها ٠

ولكن النقاد شرقا وغربا خارج الوطن العربى ان كانوا قد انتهوا من حسم قضية الالتزام فانهم ما يزالون يختلفون فى كيفية القيام بدور الملتزم ما هذا الذى يلتزم به الفنان وكيف يلتزم به بل كيف يطوع الاشكال الفنية لتعبر عن هذا الالتزام ٠

وفى سبيل الرد عما يلتزم به الاديب والفنان لا يكفى ان نقول انه يلتزم بقضايا المجتمع او الناس او الجمهور اذ اننا نتساءل من الذى يبلور هذه القضية ، والاهم من ذا الذى يرسم الجهاد فى سبيلها ويضع الهدف القريب والبعيد لهذا الجهاد ٠ مرة أخرى انهم المفكرون فى كل أمة وكل عصر والادباء من هؤلاء المفكرين دون ريب ٠ صحيح انه عندما تختفى من حياة الناس القوة التى توحد فيما بينهم وعندما تبدو متناقضات المجتمع وكأنما لها كيان مستقل يتضخم بمرور الزمن وبسلبية افراد المجتمع فتنشأ الحاجة فعلا الى فلسفة تستهدف التغيير ولكن هذه الفلسفة ليست من صنع فلاسفة بالمعنى القديم انها من صنع المفكرين بل ليس المفكرين وحدهم وانما هم المفكرون المتفاعلون مع الجمهور الصاحب الاول لكل قضية اجتماعية والمجاهد الاصلى فى كل جهاد فى سبيل التغيير الجذرى الذى من دونه لا يمكن ان تقوم معركة٠

ومجتمعنا العربى مملوء بالمتناقضات المتضخمة ولا بد لنا من فلسفة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة هى خلاصة فكر المفكرين العرب وجهاد الامة العربية العريضة بحيث تتضح لنا معالم القضية العربية العامة الشاملة ٠ ان معركة المصير المحتومة مع العدو ليست بداية المطاف ولا نهايته وحتى النصر واسترداد الارض السليبة ليس هو نهاية المطاف انه خطوة اساسية على الطريق ولكن طريق العرب ممتد الى آفاق اوسع وارحب ٠

ان قضية العرب هى تحقيق وجود الانسان العربى بكل امكانيات العمل الخلاق فى سبيل عيشه وفى سبيل تحقيق ذاته وفى سبيل مساهمته الفعالة فى الاحداث التى تصنع بها الانسانية مستقبل البشرية كلها ٠ ان للعرب

تاريخهم وفلسفتهم وواقعهم وكيانهم الانسانى المتميز من جهة والمتحد مع سائر الكائنات الانسانية من جهة أخرى • وكل هذا يحتاج الى جهود فلسفية وعلمية لاستبيان حقيقته واستخراج خصائصه وايجاد فلسفة او ايديولوجية عربية حقة • ايديولوجية لا تهدف الى مجرد الرفاه المادى او التقدم العلمى وانما هى تستهدف تحقيق الذات الانسانية عن طريق العمل الخلاق والثورة المتجددة والارادة الحرة •

والتراث والواقع فى العالم العربى لا بد من أن يتفاعلا فى عقل المفكر العربى المعاصر لاستخراج هذه الايديولوجية الجديدة التى سترفع راياتها فى الجهاد وبعد الجهاد لتكون لنا نبراسا على هديه يتحقق الوجود العربى الكريم • ولا يمكن لاية ايديولوجية مستوردة ان تقوم مقام الايديولوجية المستوحاة من واقعنا المبنية على ما يجب ان يبقى من تراثنا والتى يمكن ان ترسم لنا من خلال تطلعاتنا ماذا سيكون عليه التطور العربى فى الغد •

ان شعارات الكفاح فى معركتنا المصيرية والهاب الحماس الجماهيرى لخوض معركة التحرير ليست على اهميتها وخطرها كل شيء • بل انها ليست وهذا ما أحب ان أؤكده مما يترفع عنه الاديب او المفكر ولكنها وحدها لن تؤدى الى اعمال موقوتة محددة وانجازات صغيرة مشكوك فى فعاليتها • ولا بد من فلسفة عربية تصنع كل هذه الاعمال الآنية فى سلسلة البطولات المطلوبة التى من حصيلتها نصل الى البناء الشامخ المحقق لتطلعات الشعب العربى فى المستقبل الفسيح الآفاق •

ولست بحاجة الى القول بان تاريخنا الحديث والوسيط مختلف اختلافا كليا عن تاريخ اوروبا الحديث والوسيط وان العامل العربى او المصرى لم يمر بنفس التجارب التى مر بها العامل الاوروبى عندما غزت الآلة عندهم كل مرافق الحياة وتضخم الانتاج وانعدمت الصلة الروحية بين المنتج والسلعة والمستهلك وتجاربهم الاخرى الكثيرة ، بل ان الفلاح العربى لم يشهد بعد عصر المكننة فى العمل الزراعى كل هذا يحتاج منا الى دراسة الواقع العربى تفصيلا حتى نصل مستفيدين بكل الفلسفات العالمية والايديولوجيات المختلفة الى فلسفتنا العربية ، صحيح ان هذا لن يؤجل معركتنا او يخفف من سرعة خطاها وصحيح ان هذا لا يمنع من ان نصب جهودنا فى سبيل تحرير الانسان الحديث من الاستعمار والامبريالية الدولية ولكننا ما دمنا نؤمن باننا لا بد ان نحارب ونبنى معا وفى وقت واحد فان البناء يكون ارسخ قدما واوضح خطة

لو اننا عرفنا كيف نبنى وبهدف ماذا نبنى وكذلك فان حربنا ستزداد قوة وحرارة وحيوية لو عرفنا اننا انما نحارب فى سبيل غايات قريبة واخرى بعيدة وانها كلها تحقق تطلعاتنا شعبا وافرادا التى شكلناها على نحو بعيد. واخيرا لا بد ان نذكر دائما ان ثورتنا متجددة ابدا وان تطلعاتنا لا نهاية لآفاقها .

تأتى بعد ذلك المشكلة الفنية الحقة وليس كيفية التعبير عن فلسفتنا العربية . اننا على مدى تاريخ طويل قد اوجدنا تقاليد فنية وصقلنا ادوات موروثة ، كما طوعنا ادوات واشكالا مستوردة . ولكنا فيما ازعم نواجه مشكلات تعبير خاصة تحتاج منا الى اعمال فكرنا الخاص فى سبيل ان نتغلب عليها . لنا من تقاليدنا مثلا ان الفن كان دائما فى خدمة الجماعة حتى وان انحرف فى بعض عصور الانحراف فقد كان الفن الرسمى ينحرف احيانا ولكنه الفن الشعبى ظل معبرا عن الشعب حاملا اشواقه واحلامه وتطلعاته. لذلك قد نفيد من دراسات تصور دور الفنان فى حضارات غربية ولكنا لا نستطيع ان نطبقها كما هى على حالنا . دور المنشد الشعبى كان عندهم شاعرا ممتازا او رئيسا للجوقة او الى غير ذلك من صور ، والمنشد الشعبى كان عندنا شعبيا بكل معنى الكلمة لا يمتاز الا بموهبته المحدودة التى تبعده عن جمهوره لقد ظل من صميم الشعب طوال العصور وعلى مدى الازمان اتصال الفن بالسحر وبالاديان ودور الاسطورة موضوعات رئيسية فى الفن الواقعى بل فى الواقعية الاشتراكية فى الفن ايضا فهل يمكن ان نقارن هذا الاتصال كما تجلى عندهم بصورته التى تجلت عندنا قد نستفيد من الدراسات ولكنا لا نستطيع ان ننقلها من بيئتها ونلون لها لنؤقلمها عندنا. نجد فى تاريخ المذاهب الفنية مثلا مجموعة من المحاولات التى قصد بها احياء الفن والادب بعد ان انهارت انظمة قديمة بقيمها الثابتة واخذت انظمة جديدة بقيمها الثورية المتجددة تحل محلها ، وبتغير العلاقات الاجتماعية كلها ، علاقة العامل بحركة الانتاج اداة وسلعة ومستهلكا وبحركة انحسار البرجوازية امام الفكر الاشتراكى الجديد . هذه المحاولات التى تسمى اسماء عديدة واقعية او وجودية او رمزية او مصطلحات اخرى من دنيا الفن التشكيلى او من دنيا الفلسفة كالعدمية والتفتت واللا إنسانية والشيئية لا شك انها درست دراسات مثمرة لذيذة واثارت حولها جدلا عنيفا واثارت السبيل اما كثير من المبدعين كتابا وشعراء وفنانين وفتحت الآفاق للتجديد المستمر وللتعبير المستحدث ولكنا ننسى فى غمرة التفكير فيها انها لاتمت الى واقع ادبنا الا بصلات محدودة حقا كانت عندنا مذاهب ادبية تتبنى الفن

البرجوازي وتدافع عنه · هل كانت عندنا ثورة برجوازية على الاقطاع اوجدت رومانسية ثائرة ثم تداعت القيم البرجوازية امام واقع جديد فأدى ذلك الى حيل فنية او مستحدثات في سبيل البقاء ، بقاء الاشكال البرجوازية في الفن · اذا لم يكن عندنا هذا بتفصيلاته فهل كان موجودا في عمومياته · كل هذه امور لا تحتاج الى نفي ثم اخفاء رأس النعامة في الرمال انها تحتاج منا الى دراسة جادة قبل النفي او الاثبات دراسة لواقع المجتمع وللتغيرات التي حدثت فيه ولانعكاس هذا كله على الادب ولدور الادب في احداث التغيرات الثورية التي تمت في العالم العربي · كذلك موقف الدين وعلماء الدين من حركاتنا الوطنية ودور الدين في فلسفتنا وتغلغله في حياتنا اليومية واثر النص القرآني الكريم وهو ذروة في الروعة الفنية ، ولقد يقرأ مرات ومرات يوميا وتعتاده الاذن العربية حتى الاذن الامية ، ثم اثر كل هذا في الفكر وفي الآراء وفي اللغة ذاتها التي يعبر بها الاديب · هذه كلها مشكلات وقضايا ولا تعارض بين ان نسير قدما في نضالنا ومعاركنا من اجل التحرير وفي الوقت نفسه تتخذ هذه الموضوعات اهميتها ومكانتها من عملنا البناء في سبيل تغيير المجتمع عن طريق الفكر ·

اما مسألة علاقة الفن بالدعاية فهذه ايضا من اهم ، ان لم تكن اهم ، نقاط الرد على كيف يعبر الاديب الملتزم عن فكره وعاطفته ازاء مشكلات المجتمع وقضاياه · ان المباشرة التي ظهرت على اعمالنا الفنية عقب النكسة بل قبلها ايضا مسؤولة ولا شك عن تعطيل دور الادب وفقدانه السحر الذي يجب له ليؤثر في الجماهير · لقد عيبت المباشرة على الاعمال المسرحية على مسرح نعمان عاشور والفريد فرج ويوسف ادريس والشرقاوي ، ولقد حاول كل منهم بطريقته ان يفر من المباشرة اما الى التاريخ او الفانتازيا او الخيال والوهم ولكن ما زالت القضية غير متعمقة بسبب صعوبات التعبير غير المباشر في القضايا الراهنة وكذلك يتسم بالمباشرة المفقدة للجمال الفني كثير من مسرح الادباء الفلسطينيين انفسهم وشعرائهم مثل معين بسيسو في ثورة الزنج وشمشون ودليلة حتى شعراء الارض المحتلة على ما في شعرهم من نفحات الارض الحبيبة وحرارة المعاناة الواقعية ونار الثورة الحقة · لقد كان شعر درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وفدوى طوقان نفحة جديدة ملتهبة صادقة للتعبير عن مأساة الحقائق في نكسة حزيران ولكن المباشرة التي يقتضيها القرب الشديد من التجربة وربما الانفعال المضخم بها قد ازرت بغير قليل من فنية هذا الشعر مما افقده اثره العميق الدائم ·

وهنا يثور السؤال الجوهرى فى موضوع الالتزام وهو موضوع اطلق عليه خطأ اسم الشكل والمضمون وفصل فصلا تعسفيا بين شكل ومضمون فى حين ان الفن يرفض هذا التقسيم رفضا باتا . لا يمكن لمضمون الا ان يفرض نفسه على الشكل فاذا كان المضمون فجا من الناحية الانسانية او الفنية فرض فجاجته على الشكل الفنى . حتى فى الموسيقى عندما يخفت دور المضمون ويكون الفن او يكاد شكلا صرفا نجد الموضوع او المضمون يعرض نفسه ، يستبعد ايحاءات معينة من انواع بعينها من الموسيقى ، ويضرب النقاد لذلك مثلا بمرثية لينين الموسيقية وهل يمكن للحن يوحى بالقداسة الدينية او المارشات الجنائزية الاسطورية ان يدخل فى نسيج لحن رثاء رجل مثل لينين وكذلك هل يمكن للالحان الحربية والاناشيد الحربية ان توحى برثاء رجل ليست عظمته عظمة حربية باى حال . وهكذا نجد الدراسات العديدة التى اثبتت بشتى الطرق كيف ان الشكل والمضمون كل لا يتجزأ.

وجاءت وسائل الاعلام الحديثة ففرضت بقوتها الجبارة تغيرات هامة فى أداة الادب وشكله ، لقد احتضنت اول الامر اشكالا من الادب كالمسرحية والشعر والقصة القصيرة ثم اخذت تنشىء اشكالا جديدة خاصة بها فى هذه النواحى . واكتفت بان تستلهم المسرحية الادبية مؤكدة ضرورة نمو المسرحية الاذاعية باسلوب آخر ، وكذلك الشأن فى القصة . ثم وقفت من الشعر موقفا مختلفا احيته بالانشاد بصوت الشاعر نفسه وما زالت حائرة فى وسائل ايصاله عن طريق مصاحبة اللحن والصور الخاصة ولكنها كلها تجارب . ووقفت اشكالنا الادبية على تخوم هذه المشكلة ولم تدخلها بعد . لقد ترفع الادباء عن ادب الدعاية وهذا موقف لا يتمشى اطلاقا مع متطلبات المعركة . ان الادباء العرب لا بد ان ينزلوا بكل ثقلهم ليطوروا ما استطاعوا اساليب الدعاية واشكالها ، فهى الصلة الواقعية بالجماهير العريضة اى هى الصلة الحقة بالجنود الاصلاء فى المعركة . على ان يعرفوا ويعترفوا ان ادب الدعاية ليس الادب بمفهومه المتعارف عليه وانه وهذا هام جدا لا ضير اطلاقا ان ينشىء الاديب نوعين من الادب مساهمة منه فى الا تترك الجماهير فريسة الاساليب التافهة والمفاهيم المتخلفة التى تلجأ اليها الدعاية فى غياب ما هو افضل فتكتفى بما يستطيعه خبراؤها . ان خبير الدعاية خبير فى اعداد بعض المواد وخبير فى العرض والاداء ولكن محتوى المادة لا بد للادباء من ان يسهموا فيه عن قصد وعمد وبارادة واضحة . لا بد للاديب من ان يحاول اتقان الوسائل والاساليب التى تجعل صوته يصل الى الجماهير العريضة وفى الوقت نفسه لا بد ان يظل امينا لسلاحه الاستراتيجى العميق سلاح

الفن الحق بالاسلوب الخالد على الزمن • معنى هذا اننا مضطرون فى ظروف حياتنا وانتشار الامية بين جماهير الامة العربية من ان تحارب فى جبهتين جبهة الدعاية السريعة الفعل وجبهة الفن الخالد الاثر وفى وقت واحد ان استطعنا وبنظرة واعية الى اهمية الادب الدعائى وضرورته وجلال خطره • اننا يجب ان نتقن لغة الجماهير وان نحيى آدابها وفنونها باسلوب علمى وليس بالاساليب المشوهة المبتذلة التى نتبعها الآن جاعلين كل هابط فلكلورا وكل تافه فنا جماهيريا ان فن الجماهير فن واحد فى نواح عدة علينا ان نتبينها وان نقويها وان ندرس من خلال هذا الفن تقاليد الجماهير وذوقها الذى لا بد ان يؤثر فيما يقدم له من زاد دعائى • لست فى موقف الدفاع او الهجوم وانما انا فى موقف ارى ان متطلبات المعركة تفرض على الاديب اساليب كفاح •

اما الادب الحق الذى لا يستهدف البساطة وان يكن بسيطا ولا المباشرة باى حال فانه لا بد ان يغير من اسلوبه • لقد تغيرت الصلة بين الاديب ومجتمعه ولست اقول ان كان يكتب لقلة واليوم يجب ان يكتب لكثرة فحسب وانما موقفه من العالم كله ومن قضايا الانسان قد تغير ، كان الفنان اذا ما طحنته متناقضات عصره يهرب الى الطبيعة ويدفن غربته فى قمرها ونجومها بل فى نباتها وحيوانها • واليوم اذا اراد هروبا من واقعه فلا بد له من ان يهرب الى الشعب الذى يعانى مثله والشعب الذى لا يملك حتى اليوم وسائل الهروب الى الطبيعة وهو بنظرته السليمة يهرب الى اخيه الانسان يشكو همه ويبثه لواعجه وقد يهرب الى حبيبة واقعية او متخيلة يجد فى دفء عاطفته نحوها عزاء عن برودة الحديد الذى يكبله ويشل ملكاته ويفقده حريته •

كان طاغور شاعر الهند الاكبر يفر من آلام المجتمع حسب اسلوب عصره الى الطبيعة من حوله كان يناجى الليل باسلوبه البارع فيقول : « وقفت ليلة امس وحيدا وسط ظلمة الليل التى سقطت على الكائنات كلها ، وقفت انصت الى صوت مغنى الانغام الابدية ، ولما اغمضت جفنى لانام كان هذا الخاطر يلح على انه حتى عندما اغيب عن وعيى ستظل رقصة الحياة مستمرة على ساحة جسدى الخرساء الصامتة فى ضربات منسجمة مع حركة النجوم سيخفق القلب ، وسيتدفق الدم صاعدا فى عروقى وملايين الذرات الحية فى جسدى ستظل ترتعش رعشة الحياة فى اتساق وانسجام على اوتار القيثار التى تهتز بلمسة الخالق السيد » •

واليوم نريد للشاعر العربي ان يهرب من متناقضات المجتمع الى اخـوانه الذين يعانـون مثله ليشـد من ازرهم وليقـوى ارادة الثـورة والتغيير فيهم ليسير بهم ومعهم الى احداث الثـورة المطلوبة ثـورة متجـددة ثـورة تجعـل الكائنات وقلب الشاعر وقلب الشعب وحركات الثورة كلها سيمفونية جميلة نسمعها فى الليل من قيثارة الخالق السيد الذى انصت الى انغامها طاغور او غيره من الشعراء العظماء ٠

ولكى نجعل ادبنا وسيلة تحريك وثورة ، لا بد من تطوير اسلوبه لا بد من ان نطور الشكل واللغة والصورة والخيال نفسه لان المضمون قد تغير ولان موقف الشاعر من الحياة قد تغير فعلا وبدأنا طريقا جديدا فى ادراك الحيـاة من حولنا ٠

لقد فرضت التغيرات الضخمة التى فرضها عقل الانسان ومكتشفاته ان يتغير شكل المجتمع وان تتغير علاقات الناس بالاشياء وعلاقات الفرد بالجماعة وهذا التغيير الذى فرضه عقل الانسان بعد ان بشر به عقل الادباء والمفكرين لا بد مغير من اسلوب الادب ليظل الادب ابدا وسيلة تقـدم وسـلاح ثـورة واسلوب استشفاف للمستقبل ٠

ان معركة المصير التى يخوضها الشعب العربى تحتاج الى معرفة وادراك لو تعاونت الدعاية مع الادب فى سبيل ايصالها وايقاظها لدى الجماهير لادت الى تعميق دور كل منهما واتقانه ولكن ادب الاستراتيجيـة الثقيلـة الـذى يصنع المستقبل لا بد من ان يتقن اسلوب ربط الماضى بالحاضر ليخرج منهما رؤية متفتحة الآفاق عميقة الغور للمستقبل الذى من اجلـه نعيش اليـوم ، وليس الماضى ولا الحاضر الا بعض من عناصر هذه الرؤية اما اخطر عناصرها فهى موهبة الاديب وحسه كما ان اخطر اسلحتها الاسلوب الجـديد اسلـوب الفن الذى يمكن ان يهز كيان الجماهير كلها ٠

الدكتورة س٠ ق٠

(مصر)

شهيد الفداء

شعر : مصطفى جمال الدين

يبس الجرح ، فانتفض يا شهيد ... نام عن ثارك الكماة الصيد
العيون التى تجمر فيها السهد ... يوما .. قد مل منها الرقود
والسيوف التى تفجر فيها الحقد ... حتى ذابت عليها الغمود
نسيت انها ـ وقد اصحر الثار ـ ... تهاوت عليه وهى جريد
والرماح التى ركزنا على البيد ... نشاوى تتيه فيها البيد
لم تزل فى الثرى الذليل حيارى ... تتغنى بذلها وتميد
وانتشى جذرها فاينع نصل ... اريحى الجنى واورق عود
كذب الوهم ليس يعرف طعم ... المجد رمح مزوق رعديد
الوغى تصطلى حواليه حقدا ... وهو فى غمرة الجحيم جليد
كل احلامه ـ اذا اشتد عصف الريح فى الثائرين ـ كيف يحيد

* * *

يا شهيد الفداء نحن على الدرب ولكن شوطنا مكدود
لم نصل ذروة السرى بعد ، ... فالخيل عطاش،والقفر جهم بليد
ورعيل الفداء بعدك ضاقت ... بخطاه سهولنا والنجود
فتنادت عليه ـ والشوط نشوان ـ ... فلول من الاعاصير سود
وتبارى (ايلولنا) و (حزيران) ... كلا الفارسين شهم نجيد
غير انا ـ والاهل ادرى ـ عرفنا ... كيف نطوى قلاعه ونبيد
فأريناه أن أرضا نما بذرا ... عليها ليست له وهو عود
وجبالا شابت عليها الليالى ... وهو فى جذع كرمها مشدود
سيدور الزمان فيها فيغدو ... وهو عنها بسيفه مطرود
يا لاردننا الجريح اغالت ... ضفتيه عروبة أم يهود ؟ !

* * *

يا شهيد الفداء نحن على دربك والـذل زادنـا والـورود
في متيه جدب تمطى به الليـل وارخى عنانـه التسهيد
وعلى طرة الصباح الذى ننشـد ريـب مـن محنـة وهمـود
والى يمنـة الطـريق ويسراها ربى صلـدة الصخـور عنـود
وشعاب تخادع العين ، فالقصد القريب المنال نـاء بعيد
فمشينا وانت تعلم ان السيـر فـى مثلهـا عسيـر شـديـد
نتملى مصارع التيـه حيث النجم اعمـى والفجـر بعـد وليد
وانتهينا بعد اللغوب الى (سرحة سـرو) مقيلهـا ممهـود
فحمدنا السرى وقلنا سنغـدو والضحى في جباهنـا معقود
ثم هب الصبـاح يملأ برديـه الغد المرتجى.. وتصحو الرقود
فاذا السروة الغريبة اشبـاح ظـلال مـع الريـاح تميـد
واذا نحن فى لظى القيظ حقل اجرد النبت موحش مخضود
يتساوى بسمعـه ناعب الليـل وشـاد علـى الضحـى غـريـد

* * *

يـا لاحلامنا الثكـالى أهـذا الكـالـح الغـر فجـرنـا الموعـود ؟ !
اثمار (الخمس) التى حشدتنا للـوغى : انـنـا قطيـع بديـد
خير ما عندنا حمـاس يشـق الدرب للسـالكيـن وهـو قعيـد
وخطاب كحلـوة الـورد بـاق منـه في كـل سامـر توريـد
وطريق غدر بـه خانـع السلم ونـدرى بـأنـه مسـدود
ثـم مـاذا ؟
مأسـاتنـا ان يقـول البعض : لا بـد للاسيـر القيـود
ويـك ان الاسلام مـا كـان الا نفـرا جاهـم اسيـر طـريـد
ثـم شبت بـه عـزائمه الغـر فرفت في السند منـه البنـود
وترانا والمسجـد القـدس منـا قيد باع لم نـدر كيـف نعيـد
ما لنا من صلاتنـا ــ بعـد هـذا الـذل ــ الا ركوعهـا والسجـود
اين منا ايماننا ، والحفـاظ المـر ، والبـأس ، والظبى ، والصمـود
طوى الفتح واستحـال رمـادا فى الملايين جمهـرة الموقـود

عيرونا على الفخار بماضينا فقالوا : غواية وجمود !
وانطواء على القديم وقد نضر قلب الصحراء هذا الجديد
شفق الامس لن يعود وفي الافق بروق لغيره ورعود
يا دعاة الغد الجديد .. لنا اليوم بما فيه ، والغد المنشود
ولنا الامس : فجره ودجاه وشبوب عليهما وخمود
ولنا بعد ان جمرا صلينا كان منا ضرامه والوقود
وكؤوسا قد رنحتنا وفاضت ليس فيها لغيرنا عنقود
امسنا يا لمشرق الشمس فتح عربي وفيلق محسود
ليس فيه - والحمد لله - سيف فاتك الغدر او سنان حقود
عارنا اننا نسيناه فاربدت سمانا وزاحمتنا العبيد
كيف يقوى على العواصف غرس جذره في ترابه موءود

م. ج.

(العراق)

بين التراث والمعاصرة في معركة المصير

بقلم : الدكتور عباس الجرارى

يكشف الواقع الذى نعيش فى مختلف انحاء الوطن العربى ، ان امتنا تعانى من تخلف عام يسرى سرطانه العميق فى سياستها واقتصادها وحياتها الاجتماعية والثقافية . فالصهيونية تحتل اجزاء من اراضينا العربية، والاستعمار بشكليه القديم والجديد يفرض سيادته ويحول دون تحقيق كياننا الوطنى المستقل ، والرجعية العربية الحاكمة بتعاطفها معه وتحالفها مع الامبريالية تستبد بالجماهير وتقمع طاقاتها وتسلبها حرية التعبير عن نفسها وممارسة حقوقها المشروعة ، والرأسمالية والاقطاع متسلطان متربصان يقاومان كل تيار يتفتح على الاشتراكية ، والمفاهيم البالية والافكار الخرافية تزيد بدورها ربط المجتمع الى اوتاد التقهقر والانحطاط ، وكذلك تفشى الامية والجهل والاعتماد على النقل والتقليد فانهما يمنعان العقل العربى من الانطلاق فى ميدان العلم الحديث ويؤخرانه عن مسايرة تطور العصر .

وقد ادرك الشعب العربى ان الثورة هى الاطار الذى يمكن ان يحقق فيه وجوده الانسانى وانها الاسلوب الجذرى لتحقيق الحرية السياسية والاستقلال القومى والتحرر من السلطة الاجنبية واسترجاع السيادة وبناء مجتمع تقدمى حر كريم ، وخلق نهضة فكرية وحضارية وابتكار صيغ جديدة للحياة المتغيرة التى نسعى الى اعادة خلقها وتشكيلها . وادرك كذلك ان الوحدة هى الحل الطبيعى لامكان مواجهة تحديات العدو واسترجاع اراضينا المغتصبة ولتغيير واقع الشعوب الممزقة والمفصولة بحدود مفتعلة . وادراك فى النهاية ان الفكر العلمى الثورى هو وسيلة الخروج من التمزق الايديولوجى الذى يعيشه ، وبالتالى وسيلة تحقيق كل اهدافه وتطلعاته .

وعلى الرغم من ان الادباء العرب يلتزمون بهذه القضايا المصيرية فى تلقائية وعفوية نابعين من انفعالهم الصادق واحساسهم العميق وتأثرهم المستمد من حياتهم ومن واقع الجماهير ووجدان الامة ومن مواجعها واهتماماتها ومطامعها العادلة ، فان نظرهم الى هذه القضايا غير موحد يختلف ــ فكريا ــ باختلاف رؤاهم وانقسامهم فى تمثل الحلول . منهم من يرى ضرورة الانطلاق من الواقع

ورواح العصر ونبذ التراث عامة ، ومنهم من يعتبر التراث وحده السبيل الى التقدم والخلاص . ويتجلى عند هؤلاء موقفان متشابهان : احدهما يدعو الى الاقتصار على التراث العربى والتمسك الاعمى بروح السلف ، ويتحفظ تجاه ما يقدمه الغرب على انه استعمارى ويشك فيه وفى صلاحيته ، بل يرفضه ويعتبره وبالا وخرابا،والثانى ينطلق من الاعجاب بالغرب ويرى تراثه كل شىء وانه المنجى الوحيد ، فيدعو الى الاقتصار على تقليده فى فكره وحضارته ، وفى الوسائل التى جعلته يتقوى وينتصر . وهو بدوره يرفض التراث المقابل ، اى التراث العربى ، لانه لم يفض فى رأيه الى غير التأخر والانهيار ، وبين هذه الرؤى جميعا يقف نظر الذين يدعون الى المزاوجة بين الاصيل من تراثنا والصالح من تراث الغرب على ان ننظر فيهما من خلال شخصيتنا وفكرنا لا تقليدا لموقف الآخرين منه ، وعلى أن نبدأ انطلاقتنا من الواقع الذى نعيش .

اذا نحن امعنا النظر فى هذه الحلول لاتخاذ موقف واضح منها ، الفينا منذ البدء ضرورة رفض كلا الرأيين القائلين بالاقتصار على التراث . نرفض الاول لانه يقدس التراث العربى الاسلامى ويجمد عنده ولا يحاول التفتح على الثقافات العالمية ، بل يبالغ فيتكلف ارجاع المخترعات والمكتشفات والنظريات العلمية وحتى المذاهب والاتجاهات الاوروبية فى الفكر والادب الى اصول عربية . ونرفض الثانى لانه لا ينظر الى تراث الانسانية ولانه يرتمى فى احضان التراث الغربى ارتماء كليا ومطلقا ، وهو تراث مرتبط بوجود اجتماعى غير وجودنا وبواقع تاريخى غريب سيفصلنا لا محالة عن قضايانا المصيرية والمشاكل النابعة من صميم مجتمعنا ، وسيسلبنا القدرة على مواجهتها كما سيسلبنا مقومات النضال فى المعركة التحررية التى لامناص من خوضها ، وسنظل ان حاولنا المواجهة – ابتداء منه – بعيدين عن المنطلقات المتجذرة فينا ومجرد سابحين فى الاوهام وخاسرين الى الابد . ثم ان اخذ كل ما عند الغرب يفرض علينا ان نقتبس الازمة الفكرية والحضارية التى يتخبط فيها والتى ان كانت ملائمة للبيئة الغربية فهى تختلف كل الاختلاف عن مناخ بيئتنا .

ورفضنا لهذين الحلين لايعنى اننا نرفض التراث مطلقا . ذلك اننا لا نرفضهما لانهما يعتمدان التراث بل لانهما يتعصبان له ويقدسانه ويتحجران متقوقعين داخل حدوده لا يتعديانها لما سواه . اما التراث فى حد ذاته وكمنطلق وحجر اساس فانا لا نرفضه كما سنبين بعد . ولعلنا ان نقف قليلا عند مضمونه لنوضحه ونتفق عليه ثم لنديز الحوار بعد ذلك دون خلاف .

فالتراث الحق ليس هو كل الماضي او ما صدر عن الاجداد دون تحديد ، ولكنه الجانب المضيء منه الذي يكشف عن الظواهر الثقافية والحضارية التي وصلت على مر الاجيال عبر فترات تطورية متعددة كانت تتجذر فيها وتتجدد وتتغير بخصوبة وتلقائية متأثرة بما تعانق او يعانقها من ظواهر ثقافيةوحضارية اجنبية،وهو كذلك الجانب الذي يمثل انماطا من وعي الانسان العربي ومراحل من واقعه ووجوده الفردي والاجتماعي خلال التاريخ ، ويعبر عن الذات العربية وتجربتها ويعطيها مميزاتها ويذكر بوجودها ويبرز ملامح شخصيتها واصالتها الذاتية ويحدد منظورها القومي الخاص • هو بهذا ملك للامة وجزء من وجدانها به نستطيع التعرف الى التغييرات التي طرأت عليها والى الشروط التي يمكن ان تصنع فيها تاريخها او تستمر في صنعه •

واذا كان تراثنا غنيا في فترات ازدهار امتنا فكرا وحضارة ، فانه ناضب في فترات التقهقر والانحطاط ، حيث تعرض لهزات بترت حلقاته بل كادت تقتلع جذوره الضاربة في اعماق التاريخ وفي اعماق الانسان والارض • ومن اخطر هذه الهزات تفكك الامة العربية وانقسامها والتدخل الاجنبي الذي فرض وجوده عليها ، وما نتج عن ذلك من انهيار عام شمل الانسان العربي وطبع فكره بالجمود والسكونية وجعله يعاني من الانفصام وعدم التماسك والتجدد والاستمرار ويجرد من كل ما يجعله مؤثرا حضاريا في وجدان الامة • وقد كان الاستعمار اخطر تلك الهزات اذ عمل على تمزيق الروح القومية وتشتيت الشخصية الوطنية وتبديد ملامحها وتفتيت الوحدة ، كما عمل على تجميد طاقاتنا الخلاقة وقتلها ومحو كل ما ابدعته امتنا واجبارنا على التقليد والنقل وتنمية روحهما واستغلال الدين في تجميد العقول ، وعمل كذلك على تشويه تراثنا وابراز الفاسد منه والترويج له ، فانكر دور العرب الايجابي في تاريخ البشرية حضاريا وثقافيا ، ولجأ الى تاريخنا فطمس الجوانب المشرقة منه وكشف فيه عن الجوانب المظلمة وعزا ظلاميتها لاسباب وعلل سلبية كانحراف وقصور العقلية العربية ذاتها • وبهذا وعن طريق محو تاريخ الامة العربية وتشويهه حاول محو وجودها نفسه وتشويهه •

من هنا يبدأ الذين يدعون للمعاصرة في مفهومها الضيق اي الى مساوقة العصر والتفاعل معه وتجاوز الماضي واعتبار الحاضر وحده البعد الزمني للانطلاق • وهم يرون الا حاجة بالرجوع الى اصول الاشياء ، وانه يكفي الاقتصار

على ماله علاقة مباشرة بالحاضر وما يفيد فيه فحسب ، ويعتبرون التراث شيئا هامدا منتهيا لا قابلية له للتحرك والتطور والتفاعل والتأثير ، وان الاعتماد عليه لا يعنى غير الرجوع الى الوراء ، ويستغلون الهزيمة ذريعة للحكم عليه بعدم الصلاحية ، وينادون بضرورة الدفع الى الامام بتفجير الواقع الثورى وقوى الجماهير النضاليـــة ٠

وفكرة البدء من الواقع لا تعنى فى حقيقتها غير البدء من الصفر فى انطلاق مشتت غير موجه يعتمد الخلق الكلى والابداع المطلق ، طالما انها تنبذ الماضى العربى وكل تراث الانسانية ، اى تصفية النفس تاريخيا وحضاريا ورفـــض الذات الوطنية والقومية ، وهو مالا يتفق مع اتجاه الجماهير فى النضال التحررى القائم على الوعى الوطنى والاحساس بالكيان التاريخى الذاتى والانسية القومية

ثم اى واقــع هــو ؟

انه واقع ملطخ بعار النكبات والهزائم المتتالية والتخـاذل والاستســـلام ، لا يكشف عن غير الانهيار المطلق والانسحاق التام ، يشيــع الـذل والبـؤس والتخلف ، ويقوم على كيانات هشة متمثلة فى اقليات واقليميــات وحـدود مصطنعة تحول دون الوحدة والقومية وتحول بالتالى دون تحقيــق النـصر فى معركة المصـــير ٠

والحق ان الذين يرون ان الانطلاق لا يمكن ان يكون الا من الحاضر مأخوذون بما وصل اليه الغرب من تقدم علمى وتقنى ومعجبون الى حد انهم مبهورون لا يستطيعون ادراك سلبياته وانحرافاته ، ولا يقدرون على التمييز بين ماينفعهم وما يضرهم فى فكره الذى اوشك عصر ريادته على الانتهاء ، وهو فكر يعانى من ازمات وردود فعل ضد العقل والعلم والتجريب والتحليل والمادية والآلية ، ونحن فى نهضتنا الحالية مازلنا بحاجة الى هذه المقومات ولكنا مع ذلك نروج لافكار ومذاهب لاتتفق مع متطلبات هذه النهضة وتطلعاتنا التغييريــة ، وان كانت تتفق مع حياة الغرب لانها وليدة بيئته وظروفه الخاصة ولانها تمثل مرحلة من مراحل تطوره ٠ وهم نتيجة ذلك يستصغرون انفسهم ويحتقرون فكرهم وتاريخهم وشخصيتهم وطبيعتهم،ويشلون بالتالى قدرتهم على التجديد والابتكار٠

وبعض هؤلاء يرجعون فكرة الوطنية وظاهرة القومية الى اوروبا ، ويرون ان العرب لم يعرفوها الا بعد اتصالهم بالغرب ويعتبرون ان ثقافتنا فى الماضى خالية من الاصالة ومن الصيغة القومية ، ويحتجون لذلك بان البراعة كانـت

عند العرب فى التقليد وفى محاكاة اشكال ونماذج ثابتة • وفات اصحاب هذا الرأى ان يعرفوا ان العرب مارسوا الحياة الوطنية والقومية قرونا طويلة ابان ازدهار دولة الاسلام حين كان الغرب نكرة لا يذكر ولا وجود له ، وفاتهم ان يعرفوا كذلك ان الاصالة او الصبغة القومية المميزة تلقائية فى الثقافة نابعة من نفس مضمونها وشكلها العربيين الاسلاميين ، وان التقليد لم يكن طابع كل منتجى الثقافة لانه تم يصدر الا عن المنتجين الاوساط الذين لم تكن لهم قدرة على الثقافة لانه لم يصدر الا عن المنتجين الاوساط الذى لم تكن لهم قدرة على الخلق ، ثم لانه كظاهرة يقتضى وجود انماط ابداعية ممتازة تتخذ نماذج ينسج على منوالها • ولم يتسع نطاق هذه الظاهرة الا بعد ان تجمد الفكر العربى وبدأ يميل الى الانهيـار •

وكثيرا ما نسمع من بعض القائلين بالمعاصرة الدعوة الى العالمية ، واعتبار القومية او الاصالة انغلاقا وانعزالا وتعصبا لم يعد له مبرر بعد ما انفتحـت الآفاق واسعة امام الانسانية وبحكم ظروف التقدم التكنولوجى وما ترتب عنها من تحويل فى القيم والمفاهيم •

ولكن اية عالمية هاته التى يدعون لها ؟ انها لا تخرج عندهم عن نطـاق « الاوروبية » فى حين ان العالمية الحق هى التى تستقى من الفكر الذى انتجته كل الامم والشعوب بما فيها امم وشعوب العالم الثالث الذى نشترك واياه فى كثير من الملامح والقضايا والتجارب • وهى لا تستطيع ان تكتسب ابعـادها الحقيقية اذا هى لم توسع رقعة تفتحها الفكرى والحضارى لتتحاور وتتفاعل مع كل مبدعات الانسان •

ومن حقنا : وواجبنا كذلك ــ ان نساهم فى اعطاء العالمية معالمها الحقيقيـة ولكننا لا نستطيع طالما أننا متخلفون وطالما اننا نسير فى ركاب الآخرين ومع ذلك فاذا كان الاخذ من ثقافة العصر الغربية ضروريا للخروج من التخلف فانـه ينبغى ان يكون مرهونا بفترة زمنية معينة ، لانه من غير الطبيعى ان نستمر فى الاخذ والتقليد ، مما يستدعى البحث عن ارضية تكون منطلقـا لطاقاتنـا وامكانياتنا الذاتية نحو ابعاد الخلق وآفاق الابداع •

ويبدو ان معظم المتحمسين للمعاصرة يعتبرون ان لهذا الجيل من ابناء العروبة عقلية خاصة ووجدانا متميزا وشخصية مختلفة بسبب الظروف التاريخية والواقع الاجتماعى وتفاعلاته الثقافية والحضارية وبسبب مشاكله وقضاياه وحاجياته

وتطلعاته • فهو لهذا وغيره يرفض الامتنان لسابقيه والاعتراف لهم بانهم علموه او قدموا له كثيرا او قليلا ، ويريد ان يعتمد على نفسه ويعتبر انه نتاج نفسه وحدها لافضل لاحد عليه • وهذا ما يترجم عدم اعترافه بالماضى ونبذه للتراث اجمالا وتفصيلا •

وعلى الرغم من ان اغلب هؤلاء من الذين يعبرون بالشعر الحديث او القصة والرواية والمسرح والتشكيل اى بانماط لم يستقوها من التراث العربى ، فانه لاجدال انهم اقتبسوها من التراث الاوروبى • على ان الشىء الذى لا ينبغى اغفاله هو ان الانسان ـ والمنتج خاصة ـ لابد متأثر بتجارب غيره وان كان لا يعى دائما ما يعمل فيه من مؤثرات • ثم اننا لسنا بدعا من الامم والشعوب ولا وجدنا من العدم، بل لنا جذور ضاربة فى اعماق الماضى البعيد ولنا امةعريقة كانت دوما تتفاعل مع غيرها من الامم فتستمد منها ما يوافقها وما تستطيع هضمه وتمثله وترفض غير ذلك مما لا يوائمها ، وليس فى امكاننا تاريخيا وجدليا ان نتجرد او ننكر هذا التفاعل •

واذا نحن امعنا النظر فى هذا الجيل الفينا انه بدأ مع نكبة 48 وقوى واشتد عوده بثورة 52 ، ولكنه فى الواقع اصيب بخيبات متعددة كانت لها ردود فعل انعكست على نظرته للماضى باعتباره الشىء الوحيد الذى يملكه ويستطيع مواجهته • فهو مازال موزعا بين نظريات ومذاهب واتجاهات لم يوفق الى تكوين ايديولوجية يستقر عليها وان كان ميله قويا الى الماركسية • ولم يتح له بعد ان يزاول عملية التغيير الجذرى او بالاحرى عملية تنفيذ الثورة وممارستها مباشرة وهو يعانى من تمزق فى صفوفه على النطاق القومى نتيجة التمزقات التى تفتك فى الامة العربية على صعيد السياسة والفكر وما يترتب عنها من انعدام الحوار بين المثقفين العرب التقدميين • ويعانى كذلك من الكبت والخنق والضغط والقمع ما يكبله ويشل طاقاته ويحول دون انطلاقه • ثم هو لم يتمكن بعد من الالتحام بالجماهير لقيادة قاعدتها فى تنظيم سياسى شعبى يكون هو طليعته القيادية •

ولو حاولنا ان نحلل فلسفيا فكرة « الحاضر » للنظر فى امكان تحديد بعده الزمنى لالفينا انه يكاد يكون غير موجود الا مرتبطا بالماضى والمستقبل • فهو لمحة سريعة خاطفة ومتناهية المحدودية لا يعيها الانسان حتى تفلت منه وتصبح ماضيا لا إمكان لاسترجاعه وممارسته مرة ثانية لان الزمن يدور ويجرى ولا يتوقف ابدا • ولو كان الحاضر موجودا بالفعل لكان ضربا من الثبات والجمود

وتوقيفا لدولاب الصيرورة وتصنيما لحركة التاريخ فى لحظة معينة · واذا كان الحاضر يمثل فترة الادراك الحسى السابقة لفترة الوعى فانا لا نستطيع تصوره الا اذا دخل وعينا ، ولا يدخله الا اذا ملاته اشياء ملموسة اى اذا اصبح ماضيا · فهو فى حقيقته ليس غير حصيلة الماضى او لحظة منه لا توجد الا فيه ومختلطة معه ·

والوجود تناقض وصراع بين الماضى والمستقبل ما فى ذلك شك ، اى بين طرفى حدود الانسان المشدود دوما الى الماضى يجذبه اليه ، والى المستقبل يغريه بالاقبال عليه · هو يحقق ذاته بالتحرك نحو المستقبل انطلاقا من الماضى اما لاعادة تحقيق رغبة سبق ان حققها فيه اى بدافع النشوة ، واما لتعويض خيبة فى ادراك شيء اى بدافع التغلب على هزيمة او حرمان تعرض لهما فيه· وهو فى كلتا الحالتين يشعر بان الماضى عبء يثقل كاهله لو استطاع لالغاه حتى يستطيع الجرى خلف المستقبل ، على الرغم من انه لا يعرف ما يخبئه له، ولكنه يشعر فى نفس الوقت بان الماضى هو الذى يبعث فيه روح المحاسبة ويقوى عمل الضمير ·

والانسان فى هذا الصراع يحاول ان يحقق وجوده فى الحاضر اى فى لحظة آنية يجمع فيها بين تجربته فى الماضى بما فيها من نجاح وفشل وتطلعه للمستقبل بما فيه من امل وجزع · وبهذا يستطيع ان يعيش الحاضر ويطيل فترته ، كما يستطيع ان يحس بالغاء الزمن والتغلب على محدوديته · وهو فى الواقع انما يوهم نفسه بذلك لأن قانون الصيرورة يأبى الا ان تكون الحياة حلقات مرتبطة بين ماض ومستقبل متتابعين · والذى يحيا فى الحاضر وحده هو الذى لم يعش ولا امل له فى ان يعيش اى لا ماضى له ولا مستقبل باعتبارهما وسيلة وغاية فى الحياة ·

وهذا الامتداد بينهما هو الذى يعطى الانسان ممكنات وطاقات ليتغلب على نهائية حياته ، ولينطلق من قيود الزمن فى لا نهائية مطلقة لا تحد فى الماضى الا حين تحد معرفته به ولا تحد فى المستقبل الاحين يسد الافق امامه ·

فالماضى هو الشيء الوحيد الذى يمكن للانسان ان يمتلكه بل ان امتلاكه مفروض عليه مهما حاول رفضه او التخلص منه لان يعيش فى اعماق كيانه · وكل ما يستطيع هو ان يغير نظرته اليه بان يعيد تفسيره وتحليله وتقييمه على اسس جديدة تبث فيه الحياة وقوة التأثير وتفتح عين الانسان وقلبه عليه ليقبله ويرضى عنه ويشعر بانه يداخل ذاته ·

وبهذا ننتهي الى ان الارتباط وثيق بين الماضي والحاضر والمستقبل فى علاقة جدلية حتمية تجعل الماضي منعكسا على الحاضر ومؤثرا فى المستقبل وتجعل بذلك حركة التاريخ حركة كلية لا تتجزأ ولا تنفصل الازمنة الثلاثة ولايبقى من ابعاد بينها الا بعد واحد للانسان هو الذى يقاس بما يتحمل من مسؤليات ويحقق من اكتشافات ويبدع من اعمال . وننتهى كذلك الى ان الانسان مهما حاول ان يصل الى تحقيق وجوده من خلال صراع ذاتى وانطلاقا من الواقع المعاش ، فانه لن يستطيع ذلك بعيدا عن الناس وعن العالم وعن الوجود الانسانى الزاخر بالتجارب والمواقف .

وحين ننظر فى واقعنا العربى ، نجد ان تجربتنا التاريخية فى الماضى البعيد والقريب هى الاطار الذى يستطيع ان يعيد بلورة هذا الواقع على الشكل الذى يمكننا من التخطيط لمستقبل يغنيه الماضى باضافات ، دون ان يفقده جدته وابداعيته . واخشى ان لم نفعل ذلك ان نقع فى الارتجال والاغتراب والاستلاب لفكر وحضارة القوى التى تفرض سيطرتها ونفوذها علينا وتفرض على حاضرنا ان يسير فى غير مجراه الطبيعى وتفرض علينا حلولا لقضايانا الملحة تتحول بها عن معركتنا المصيرية الحقيقية .

اننا مطالبون اكثر من اى وقت مضى بالبحث فى هذه القضية الجذرية واتخاذ موقف موحد وايجابى من التراث والمعاصرة يمكننا من حل معادلتهما المزمنة . ويقتضى البحث فيها امرين :

اولا — ان نعى ذاتنا ونعرف من نحن ، ونحصر ما عندنا من مقدرات وممكنات ونحدد الظروف والملابسات التى احاطت وتحيط بنا ، ونرسم على ضوء ذلك الاهداف ووسائل تحقيقها . لن يتم لنا ذلك الا بوسيلتين . الاولى : تحليل فكرى لواقعنا وللمرحلة التاريخية والحضارية التى تجتاز امتنا ولطاقات النضال الجماهيرى وقوى الثورة الصاعدة ، ليس فى هذا البلد او ذاك فحسب ولكن فى كل اجزاء الوطن العربى ، حتى نغنى تجربة التحرر وحتى تكتمل لنا رؤيا عربية موحدة . الثانية : البحث عن الاصيل من تراثنا ، ليس بما يجعله عامل تجميد لنمونا الحضارى والثقافى ، بل لتدعيمه وتطويره وادماج الصالح منه مع حاضرنا فى وحدة نكيف بها المستقبل ونشرف منها عليه . وهنا كذلك الح على ضرورة اعتبار تراث جميع العرب دون الاقتصار على ما صدر فى بلد دون آخر .

ثانيا : ان نأخذ من فكر الغرب ومن جميع ثقافات العالم وحضاراته القديمة والحديثة ما هو ايجابى وما من شأنه ان يقوى فكرنا الثورى ويدفع بنا الى

الامام ، ولا سيما ما انتجته البلدان المتقدمة من حركات فكرية ومدارس فلسفية معاصرة ، وما صدر عنها فى عصور النهضة والاحياء حين كانت تمر بمرحلة شبيهة بمرحلتنا الراهنة وتجتاز ظروفا حضارية مشابهة ومسارا تاريخيا قريبا مما نجتاز لنستفيد من تجاربها فى قضايا التطور التى سبقتنا اليها • ويتحتم علينا هنا ان نكشف بعمق عن الجانب الذى نقلته اوروبا عنا وعن غيرنا ابان حركة بعثها ، ودراسة هذه الظاهرة بما يمكن ان يكشف عن وجوه شبه او نقط التقاء قد تفيدنا الآن ونحن نحاول منها ان نتعلم وينبغى ونحن نأخذ من العالم ان نتخذ موقفا نقديا مما نأخذ حتى لا نكون مجرد مقلدين واصداء ، وان نفعل دون تعقيد او احساس بأى مركب ، لان طبيعة الثقافات والحضارات انها تقوم على الاخذ والعطاء وعلى التفاعل والتبادل •

ومهما بدت معادلة التراث والمعاصرة صعبة او معقدة فانها فى حقيقتها ليست كذلك • فقد سبقتنا اوروبا الى حلها بل حلها العرب قبلها حين اتصلوا بعد عصر الفتوح الاسلامية بغيرهم من الامم والشعوب ، وحين التقت حضارتهم وفكرهم بحضارة الفرس وفكر الاغريق ، وعرفوا كيف يدمجون فى تراثهم ما يأخذون عن الآخرين ويصهرون القديم والجديد فى بوتقة واحدة استطاعوا بها ان يحافظوا على وحدة شخصيتهم • ولجأوا فى ذلك الى الترجمة والاقتباس ، والى اخضاع اللغة لتقبل كل ما هو جديد وتطويعها لذلك بعيدا عن التصنيم والتقديس ودون الاحساس باى نقص ، والى جعلها وما ينتج عنها من فكر وحضارة اوعية تمتص داخلها كل جديد فى غير معاناة من الازدواجية التى نعانى منها الآن،والى اتخاذ موقف من كل من يأخذون على عكس ما نفعل نحن اذ نكتفى بالتعرف الى الفكر الغربى عرضا وتحليلا والترويج له كما يشاء اصحابه فى غير قليل من الاعجاب والانبهار دون استيعابه بوعى وعمق ودون نقده او رفض ما هو سلبى منه •

ان العيب ليس فى اننا لم نجد فى التراث شيئا يمكن ان نفيد منه ، ولكن العيب فى اننا نعانى من الازدواجية بين الوعى بالذات والتبعية للغرب وحتى بين ظاهرنا والباطن ، واننا لم نستطع ايجاد نقطة تكون فى نفس الوقت نقطة توازن بين فكرنا والفكر الاوروبى والعالمى • والعيب كذلك اننا لا ننقل بوعى ولا ننظر بعمق وبرؤيا علمية ومن خلال ذاتيتنا وتصورنا الخاص • والعيب بعد هذا اننا منعزلون عن بعضنا وعن الجماهير ومنقسمون سياسيا وفكريا ، لا نستعمل نفس اللغة ولا نؤمن بقضايا واحدة • والسبب فى ذلك كله اننا لم نتمكن بعد من الحرية الكافية لمعاملة تراثنا وللاختيار بين

الفكر العالمي نفسه لاننا كحكومات ودول تابعون للقوى الاجنبية التى تسيرنا من قريب او بعيد وتفرض علينا ولا تترك لنا حرية الاختيار بل تواجهنا بغزو فكرى منظم تفرضه علينا مثل ما تفرض غزوها السياسي والعسكري والاقتصادي ولاننا كشعوب وافراد مضطهدون ومقهورون ومكبلون نعانى من وطأة اوضاع سياسية تواجهنا فيها الرجعية بأنظمتها اللاديمقراطية القائمة على الحكم الفردى المطلق وبفكرها التقليدى الذى يسعى عن طريق تقديس الجانب الفاسد من تراثنا الى اجبارنا على قبول تلك الاوضاع باعتبارها قدرنا المحتوم لاحق لنا فى مراجعتها فضلا عن تغييرها من الجذر .

لذا فليس غريبا ان تكون الحرية هى اول هدف يجب ان نناضل من اجله ، وان تكون قضايانا المصيرية مرتبطة بالتحرر من الاستعمار والتبعية الاجنبية ومن الانظمة الرجعية والدكتاتورية ، وبتحقيق الوحدة الشاملة وتغيير المجتمع العربى بما يجعله يسير فى تطور وتفتح نحو الديمقراطية والاشتراكية وليس غريبا بعد هذا ان تكون قضية فلسطين التعبير الحقيقى والعارى عن جميع الامراض التى تفتك فى جسم الامة العربية وان يكون الظفر فى معركتها المصيرية رهنا باستئصال جذور تلك الامراض .

واذا كنا — بعد ان كشفنا سلبية المعاصرة حين يضيق معناها ويقتصرعليها فى غير حاجة الى اثبات ايجابيتها من حيث انها تمثل الانطلاق من واقع يتحرك نحو تفجير الطاقات النضالية الثورية للجماهير ، فان السؤال الذى يطرح نفسه بالحاح هو : هل يوجد فى تراثنا جانب ايجابى يمكنه ان يخدم قضايانا ومعركتنا المصيرية ؟

وطالما ان الحرية هى الاداة وطالما ان الثورة هى الاسلوب ، ثم طالما ان الوحدة هى السبيل للمواجهة الجدية والنضال الحق والنصر فى المعركة لامحالة بعد ذلك ، فان البحث فى التراث ينبغى ان يوجه للكشف عن كل ما يعزز هذه المقومات .

اما الحرية فليس من شك فى ان تراثنا الادبى والفلسفى عامل ايجابى لاذكاء روحها فى نفوسنا افرادا وجماهير . وقد قدمت عنها للمؤتمر الموقر بحثا مستقلا حاولت فيه ابراز مواقف مختلفة من الحرية فى ادبنا العربى القديم وتحليلها والاستنتاج منها واستخلاص ما يمكن ان يقوى منظورنا لها ، وان اختلفت الدوافع والمنطلقات نظرا لاختلاف الظروف والاحداث .

واما الثورة ففى تاريخنا ما يكشف بوضوح عن تيارها الوطنى الذى كان دوما يمد جماهير امتنا بالقوة والفعالية ، والذى يمكن ان نستفيد منه ونحن نريد ان نحقق ثورة عربية اصيلة • ويتمثـل هـذا التيـار فى الانتفاضات الشعبية التى كثيرا ما اغفلها المؤرخون الرسميون ومنشؤو التراث المدرسى او لم يغفلوها ولكنهم تعرضوا لها باعتبارها فتنا وحركات فوضوية تخريبية لم تتوان الامر الحاكمة فى قمعها واخمادها • وقد احتفظت لنا الجماهير بالملامح والاصداء الحقيقية لهذه الثورات فيما انتجت من تراث شعبى • والاسف ان الدراسات المعاصرة لم تعط هذا التراث حقه من العناية ، بـل مـازال بعض مفكرينا يرفضونه ويرونه لا يعكس غير جوانب التأخر والانحطاط • وهو فى حقيقته ــ والادب منه خاصة زاخر بتمجيد البطولة والتغنى بالحرية ، يبـرز الوجدان الجماعى ويحافظ على الكيان القومى ويرفض التدخل الاجنبى ويواجه استبداد الحكام فى تأكيد على المقاومة والجهاد وحث على الاستشهاد والنزوع الدائم الى التغيير والى الافضل والاحسن •

والثورة تقتضى بناء فكر ثورى علمى يستهدف التغيير من الجذر واعادة البناء السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى على اساس ايديولوجية تبلور سمات وجودنا وشخصيتنا القومية وتلبى مطامح امتنـا فى التحـرر والتطور والتقدم ، بعيدا عن الشعارات التمويهية المفرغة من اى مضمون حقيقى للثورة • واذا كان لابد لهذه الايديولوجية ان تستمد من مقتضيات واقعنـا المتوثب فانه لابد لها كذلك أن تستمد من التراث ما فيه من جوانب تقدمية ومضامين انسانية ، مخلصة من كل الرواسب والمؤثرات التى حاول الاستعمار دسها فيه لطمس معالمه المشرقة ، ومخلصة ايضا من قيم التواكل والخنوع والاستسلام واللا ارادة التى فرضتها الرجعية على العقلية العربية •

وليس من شك ان الكشف فى التراث الفلسفى عـن الفكـر السيـاسى والنظريات الديمقراطية وعن العقلية العربية واطوار تجربتها لما يعطى هـذه الايديولوجية منطلقات ويضفى عليها ملامح اصيلة ، وكذلك التراث العلمى الذى لا تغنينا معرفة تاريخ تطوراته واكتشافاته بقدر ما تغنينا معرفة المنهج الذى سلكه علماؤنا فى مختلف الميادين العلمية وكيفية تطويع اللغةلاستيعابها حتى التراث الدينى ــ باعتباره وعاء ومحور ثقافة وحضارة غنيتين ــ يمكن ان يرفد هذه الايديولوجية ، اذا ما حلل ونقد عقيدة ونصا ونقى من كـل ما يتخذ فيه للشعوذة والتخدير وتثبيت حكم الاقطاع والرجعية ، واذاماكشف فيه عن الجانب التقدمى الثورى لخدمة قضايانا المصيرية •

والفكر الثورى لا ينهض بدور التقييم فقط ، ولكنه ينهض كذلك بدور توجيهى يحدد الاهداف ويخطط الوسائل ويوضح الآفاق ويكشف الابعاد ، وهو لذلك ليس جزءا من الثورة الشاملة فحسب ، ولكنه الضمان الحقيقى لنجاحها واستمرارها سليمة ومتكاملة ٠

ثم نصل الى الوحدة فنجد انها ضرورة عصرية تقتضيها ظروف المعركة التى يتطلب قربنا منها قربنا الى بعضنا ، وانها فى نفس الآن مسؤولية تاريخية تجعلنا مخيرين بين ان نوحد او ننهار ٠ وما احوجنا فى الظروف الراهنة الى ان ندرك وجودنا القومى وكيفية التعامل معه ، وندرك ان انقسامنا يشكل اخطر ثغرة ينفذ لنا منها الاعداء ٠

والوحدة ليست حدثا مستجدا او ظاهرة مرتجلة ، بل هى طبيعية لها اساس تاريخى وجذور ضاربة فى اعماق الحياة العربية ٠ وهى حقيقة تاريخية وواقع كيانى رغم حملات التشكيك التى يشنها خصوم الوحدة وبعضهم للاسف من العرب ٠ ومع ذلك لابد من الكشف عن دوافعها وعن دعائمها المتمثلة فى عناصر التراث المتناقلة عبر الاجيال والمتطورة خلال العصور ، وتتلخص فى الحيثيات المشتركة وعناصر التقارب التى كونت امتنا من جنس وتاريخ ولغة ودين وثقافة ووجدان ومواقف وقضايا مصيرية مشتركة ٠ حتى هذه الحدود التى تفرق بين مختلف اجزاء الوطن العربى يكشف التاريخ انها مصطنعة غير طبيعية ، وانها اما من صنع الاستعمار كما هو الشأن بالنسبة للحدود الفاصلة بين بعض بلدان الشرق الاوسط واما ناتجة عن ضعف روابط الوحدة وزاد الاستعمار فعمقها ، كما حدث فى الشمال الافريقى بعد انهيار دولة الموحدين فى اوائل القرن السابع الهجرى ، حيث قامت وتعاقبت على انقاضها دويلات ظلت ومازالت تقتسم الحكم ٠

والوحدة لا تقتضى البحث عن مواطن الالتقاء بين العرب فقط ، بل تقتضى البحث كذلك عن مواطن الاختلاف لتفاديها او لتعويضها وملء ثغراتها كما تقتضى تاريخيا معرفة المراحل التى تكشف عن معاناة الامة العربية لتحقيقها، ومعرفة المشاكل القومية التى واجهت امتنا خلال التاريخ والتى لم تجد لها حلا غير التجمع فى تكتلات وقوى موحدة ، ومعرفة مراحل التدخل وفترات الضغط الذى كان يمارس على العرب لتفتيتهم ٠

ولو تصفحنا التاريخ لوجدنا ان الروم كانوا يغيرون على العرب كلما دخلوا بينهم فى نزاع ، ولوجدنا كذلك ان العرب عاشوا ازهى فترات تاريخهم على

عهد الوحدة . ويكفى ان نرجع للحروب الصليبية ـ وهى كبيرة الشبه بمعركة فلسطين ـ لندرك هذه الحقيقة ، وهى ان تلك الحروب قامت مستغلة تفكك العرب وانقسامهم ـ ولا سيما فى بلاد الشام ـ الى دويلات وامارات صغيرة ، ومستغلة كذلك ضعف الفاطميين فى مصر وانشغال الشمال الافريقى فى حروبه بالاندلس . وحين واجهها العرب والمسلمون مشتتين لم يستطيعوا ردها ، ولكنهم استطاعوا حين وحدوا صفوفهم . وتاريخ صلاح الدين شاهد على انه انتصر على الصليبيين بفضل الوحدة التى ضمت مصر والشام والحجاز واليمن والجزء الليبى من الشمال الافريقى .

وقد مر العرب بتجربة وحدوية من نوع آخر حين كانوا ـ باستثناء المغرب وعمان يعيشون نوعا من الاتحاد الاجبارى او الوحدة المفروضة من الخارج تحت حكم الامبراطورية العثمانية ، استمر من القرن السادس عشر حتى نهاية الحرب العالمية الاولى ، وان بدأ يضعف فى اواخر القرن الثامن عشر ليفسح المجال للتدخل الاروبى .

والمغرب كان نزاعا الى الوحدة ، يشهد تاريخه الطويل انه كان دوما يتحرك ويتطور فى اطار قومى نحوها . ويكفى لندرك هذه الحقيقة التى يحاول طمسها اعداء العروبة والوحدة فى بلادنا ان نذكر عهد الفينيقيين الذى استمر قرونا فى المغرب قبل الاسلام وعهد المرابطين والموحدين فى القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وكانت الوحدة فيه تشمل الاندلس وكل بلاد الشمال الافريقى حتى حدود مصر .

وتبقى بعد هذا قضية فلسطين باعتبارها قضية تاريخية لا يمكن النظر اليها ولا فهمها بمعزل عن تاريخها وتاريخ العرب فى المنطقة ثم تاريخ اليهود واليهودية ، حتى تكون معركتنا المصيرية من اجل تحريرها منسجمة مع نضالية تاريخنا واستمرارية ثوريته ، وحتى نخوضها واعين هدفها وفعاليتها ومقتنعين بحقها وشرعيتها المستندين الى الوجود الاجتماعى والواقع التاريخى ، وحتى نكون مؤمنين ويكون الضمير الانسانى مؤمنا كذلك بحقوق العرب فى هذه البلاد .

ونحن بحاجة الى ان نفهم بعمق عقلية العدو الصهيونى وسلوكه خلال التاريخ لنفهم ما يتملكه من مركبات الفوقية والانانية والاستعلاء الجنسى باعتباره شعب الله المختار او الشعب الالاه كما يزعم ، ولنفهم الانحرافات

التى اصابت التعاليم الموسوية على يده والتى بلورت مشاعر الطمع والجشع والغلظة والتعصب والغرور والانزواء ، ولنعرف ما تعرض لـه مـن هـزات التشتيت وازمات التفريق منذ عهد الفرس والرومان قبل المسيح ، ولنعلم انه مع ذلك يعتبر كل شبر من الارض عاش او وجد فيه جزءا من الوطن الصهيونى لابد من امتلاكه ٠

ونحن اليوم اكثر من ذى قبل بحاجة الى ان نعـرف الحقيقة العدوانيـة للصهاينة ، ويذكر لهم التاريخ مذابح شنيعة اقاموها ضد غير اليهود اشهرها مجزرة سنة 115 م حيث ذبحوا ازيد من خمسمائة الف ما بين مسيحيين ووثنيين ، ومجزرة سنة 134 م وفيها ذبحوا ما يزيد على هذا العدد بمئات الآلاف ٠ ومع ذلك كانوا يفشلون فى اقامة كيـان لهم وكانـوا فى احسن الاحوال يرحلون الى البلدان المجاورة فيقيمون فيها ويذوبون فى كياناتها حفاظا على مصالحهم المادية ، وان كانوا لا يخلصون فى المواطنية ، كما حدث لهم حين هاجروا الى اليمن والجزيرة العربية ، فقد كانوا حلفاء وعملاء لاعداء العرب ، وتاريخهم مع المسيحية معروف ، وكذلك مع الاسلام ، اذ كانـوا ينكثون العهود ويلجأون الى الخداع والغدر والكيد ومحاولة تفتيت وحدة المسلمين ٠ ويكفى لاثبات ذلك ان نشير الى نكثهم لمعاهدة الرسول معهم بعد الهجرة الى يثرب والى ما كان له مع بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ثم مع يهود خيبر ٠

ومع ذلك كان المسلمون ــ سواء فى المشرق او المغرب ــ يعتبرونهم مواطنين لهم ما للمواطنين المسلمين من حقوق باعتبارهم من اهل الذمة ، يلتزم لهـم المسلمون بالعهد والامان على انفسهم واموالهم وممتلكاتهم وعلى حرية العقيدة وتطبيق الاحكام اليهودية عليهم فى تسامح وتعايش تامين ٠ وبلغت هـذه المعاملة اوجها على عهد صلاح الدين الذى فتح لهم باب الهجرة من مختلف البلاد حتى من اوروبا ليستوطنوا فلسطين ٠

اما فى اوروبا فكانوا يعاملون بقسوة من طرف الامارات التى كانت لسبب او لآخر تجليهم عنها وتشردهم على حد ما حدث لهم فى انجلترا اواخر القرن الثالث عشر وفى شبه الجزيرة الايبيرية على يد الاسبان والبرتغاليين خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر وكانوا حين يسمح لهم بالاقامة يعتبرون اجانب لا مواطنين ، يعيشون معزولين فى احياء خاصة وينظر اليهم باحتقار وازدراء٠وبلغت هذه المعاملة اوجها فى الاضطهاد الذى اصابهم على يد النازيين

ما بين 1933 و 1945 فى شكل ابادة عرقية جماعية لا مثيل لها فى التاريخ . وحاول الاستعمار الاوروبى تعويض اليهود عما اصابهم،فلم يجد غير فلسطين وشعبها مستغلا لذلك المرحلة التاريخية التى يجتازها العرب والتى تجعلهم عاجزين عن مقاومة مثل هذا الظلم السافر .

بهذا تتأكد لنا ايجابية التراث فى المعركة والقضايا المصيرية ، كما تتأكد لنا ضرورة الافادة الفورية من هذه الايجابية لتجميع القوى المادية والمعنوية لامكان المواجهة . ولكن كيف نعامل التراث حتى نستطيع استجلاء تلك الايجابية ؟

يمكن القول بانه منذ بدء النهضة كان ينظر الى التراث من خلال رؤى تقديسية تكتفى بالتصنيف والشرح والتبرير ، وتنطلق من مسلمات لاحق فى مسها او نقدها او الطعن فيها ورفضها ، ومازال ينظر اليه كذلك ، ممايجعلنا نعيش معه حالة اغتراب ولا نستطيع التجاوب معه ومع القائمين حماة عليه .

ومعاملة التراث ينبغى ان تسبق بالكف عن البكاء على الماضى او تعظيمه والافتخار بأمجاده ، لتسير فى عملية احياء غير آلية تقصد الى اجلاء معالمه الخصبة الغنية وملامحه التقدمية الثورية والى تحويل فكرنا العربى المعاصر الى فكر علمى وثورى اصيل .

وتبدأ العملية بحصر ما عندنا وعند غيرنا من كنوز تراثنا ، لتنطلق بعد ذلك فى ثلاث مراحل :

اولا : التحقيق ، وهو وان كان من اختصاص المحققين ، فانه لا ينبغى ان يبقى خاضعا لرغباتهم الفردية او لرغبات الدور التجارية ، بل يجب انيخضع لخطة تتفق ومتطلبات المعركة والقضايا المصيرية . ويخطىء الذين يرون ترك هذه العملية للمستشرقين ، بل انا مطالبون باعادة النظر فيما حققوه لان بعضهم كان يتخذ من العناية بالتراث مجرد قناع للدس والتخريب والتشويه .

ثانيا : الدراسة ، وهى من اختصاص الباحثين والنقاد ، ويجب ان تبتعد عن التجميع والسرد والقبول ، وتلجأ الى التحليل والتعليل العمليين ، والى فحص جزئياته بما يمكن من الفرز والاستنتاج والتركيب واستخلاص نظرة شمولية . والى التساؤل والشك المنهجى واعمال النقد والعقل المنطقى بحرية وارادة واعية ترى بعين العصر ، حتى يبدو التراث وكأننا نصنعه ونخلقه من

جديد ، وتنطلق من المشاكل والقضايا الملحة لتكشف عن كل ما يقوى نزعة التحرر وحوافز الثورة ، اى ان نراه بمنظار العلم كمنهج ومنظار الوطنية كدافع • وتقتضى دراسة التراث تصفيته من الصنمية والقداسة ومن الخرافات والاساطير وكل الانحرافات من تواكلية واستسلام وتقليد وفردية ونفعية وارتجال ، لامكان تحرير عقليتنا منها وبالتالى لامكان الافادة من كل ثقافة متحررة ، كما تقتضى استجلاء جذور الحاضر ودوافع الحركة فيه وروابطه فى مراحل تطوراته الذهنية ومعالم توتراته التاريخية ومدى ارتباطه بواقع منشئيه واصالته وقدرته على التفاعل والتأثر والاستمرار بالاطلاق ممكنات هذا الواقع ومقدراته •

ثالثا : استيحاؤه فى الخلق والابداع ، شعرا وقصة ورواية ومسرحا ورسما وفنا فى مختلف الوانه واشكاله ، بما يبرز منطلقات الحرية والمضامين الانسانية ، وبما يساعد على تفجير الواقع وتغييره ، وبما يكشف كل ما يصلح ان يكون سلاحا نضاليا للثورة ويعمق الوعى النقدى وينمى روح المبادرة •

هذه اشارات الى كيفية استجلاء ما فى التراث من جوانب ايجابية لعلها – ان تمثلناها بصدق وعمق – ان تمدنا بالوعى الضرورى لقضايانا واهدافنا ، وما احوجنا اليه ما دمنا نريد التغيير من الجذر والباطن ، ومادمنا نسعى الى ان نكون امتدادا لانصع فترات تاريخنا وتطويرا لاحسن ما ابدعه العقل العربى باعتباره حلقة فى الفكر الانسانى عامة • فهذا الوعى هو الذى يعطينا القدرة الذاتية على الاخذ والعطاء والتفاعل والتبادل ، ويقوى فينا الارادة ، ويمكننا من وضع القاعدة والتخطيط للوسائل والاهداف ومن الانطلاق البعيد فى تحقيقها • وهو الذى يجعلنا نملأ قلوبنا بالايمان والثقة ، ويساعدنا على الرؤيا الواضحة السليمة ، وهو الذى قبل هذا وبعد يعطينا الاطار الفكرى لقضايانا ويحدد كيانها العلمى ، وبدونهما لن نتمكن من خدمة هذه القضايا بعمل محدد وموزع يفرض نفسه علينا كأدباء وعلى الانظمة القائمة والمسؤولين والحكام وعلى الحياة العربية وعلى العالم •

اننا مطالبون بالايمان بالهدف المتمثل فى قضية فلسطين وما تجسم من قضايا مصيرية ، وبحلها العادل ، وبوسيلة هذا الحل اى بالمواجهة ، ومطالبون بتوحيد الخطة بعد ذلك •

نحن قوة ولكننا مشتتون ، لاننا منشغلون عن القضية بمصالحنا الخاصة، ولاننا منصاعون لتيار التفريق والتفتيت ومستسلمون للعراقيل التى تواجهنا من الخارج والداخل . واذا كانت العوائق الخارجية المتمثلة فى الامبريالية والصهيونية والاستعمار معروفة لدينا ، فان واجب المعركة يلح علينا ان نكشف عن العراقيل الداخلية التى تجعل أبعاد النضال متفاوتة فى البلاد العربية ، وتتلخص فى الدور الذى تقوم به الرجعية فى تشويه الثورةالعربية والتشكيك فيها ، ومواجهتها بتيار مضاد وبالخنق والقمع وكبت الحريات والطاقات الثورية عند الجماهير وبتزييف الثقافة العربية وتمييعها ، وتوجيه التعليم بعيدا عن نمو الامة ومطالبها واحتياجاتها العقلية والروحية ، وبترويج المشوه من التراث ومحاولة ضرب الانظمة التقدمية ورفض اى تعاون مثمر وصادق معها ومد اليد للمساعدات الاجنبية المسمومة ، والتضييق على المثقفين الطليعيين ومحاربة اى نشاط فكرى وادبى متحرر ومتفتح .

ذلكم التراث الذى يكفينا دافعا لاحيائه انه يثبت عروبة فلسطين ، وانه يفتح عيننا على العدو المغتصب ، وانه يقوى فينا روح المقاومة .

ان حتمية النضال الذى ينتظرنا او ينتظر منا ان نخوضه تقتضى ان نستخلص من هذا التيار القومى ومن كل التيارات ايديولوجية عربية تقدمية تمثل بواقعية وصدق حقيقة امتنا وتطلعاتها العادلة ومطامحها المكبوتة ، حتى نؤمن بها ونسعى لاداء الرسالة التى تنيطها بنا،بعيدا عن التعصب الاعمى للغرب والانمحاء فيه ، وبعيدا عن تقديس التراث والتعلق بالسراب ، وبعيدا كذلك عن تصنيم تجربة الحاضر واضفاء الوثنية على العصر الذى اخذت تتجاوزه الدول المتقدمة لتدخل فى عصر آخر ، ولكن فى تفتح وجمع بين الجوانب الخيرة والايجابية فى كل تيار ، وفى اندفاع يتحفز من الذات ومن تربة الوطن للحاق بركب التقدم والرقى فى العالم ، انطلاقا من واقعنا كأمة اصيلة لم توجد من العدم وانطلاقا ايضا من ارادة الجماهير التى حملتنا المسؤولية الوطنية وقلدتنا الامانة والتى تتطلع لمستقبل تحقق فيه وجودها الانسانى المشروع ، وهذه لعمرى هى المعاصرة الحق .

ع. ج

(المغرب الاقصى)

السكين

شعر : محمد حريرى

أحذ من الغدر الخفى وأقطع   وأعدى من الكيد الفرى وأسرع
ورقت على الزنار خصرا وأتلعت   لها عنق ، وافتر ثغر مرصع
وجاع لها نصل فرق ذبابة   وأرهف حدا، عمره ليس يشبع
فمأكلها لحم ، ومشربها دم   تحن الى هذين طعما وتنزع
ومن قرم شق الليالى حدها   على كف جان تستريح وتهجع
وحانتها جرح عميق تعتقت   بـه خمرة حمراء تحسى وتكرع
وانأترعت سكرا تنم وسريرها   سريرة كف فى الجريرة ترتع
وتزهو اذا طاحت بهامة ظالم   فتعلى بها اعراس ذبح وترفع
وان أدمت المظلومة اظلم حدها   وأنت محزا وانثنت تتوجع
تنوح طويلا ان أخ غاله أخ   فترجو يديه أن تتوبا وتضرع
فقابيل أغراها بأول طعنة   ليطوى بهابيل الاخاء المنصع
وعن عنق اسماعيل ألوت كليلة   تجارى أباه فى الدموع فتدمع
وكمخبئت تحت الوسادة خلسة   ليدرك ما تعنيه باغ مروع
يظن بأن العنق منه منيعة   فيفجؤها حد لهيف مجوع
وأنكر ما تلقاه ارداء عادل   يذود عن العدل السنى ويدفع
ومأساتها الكبرى بلتحينماهوت   على الخلفاء الراشدين تفجع
على عمر هلت فلما ترشفت   تفوح طهرا حدها المتضوع
ولما استذاقت من على تزهدت   وراحت أمام الله تجثو وتركع
ولاحت على النصل الخضيب عبارة   تقول بأن الخير كالزهر يقطع
لينبت خير آخر فوق أيكة   بأفيائها الدنيا ستغفو وتهجع

* * *

تسائلنى السكينمنصاغشفرتى   وأى بنان أبدعتنى واصبع
ومن أى فكر قد نصلت ونية   لتدمى صدور أو تمزق أضلع
وكانت يد الانسان قبلى نقية   لها ظفر باقطف والجنى مولع
كما يقطف التقبيل ثغر منمنم   ويختطف العينين همز مدلع
فمذ أوجدتنى للجنوح حذاقة   توازعنى شكل وزى منوع

تتيه بى الحسناء موسى صغيرة ... تعلقها بالخصر وهى تدفع
اذا عرض التفاح تقشره بها ... فيفرق تفاح الخدود ويهلع
وتجرح للحسناء أنملة فان ... ضمادى لم ينجع ، فلثمى ينجع
ويمشقنى الفرسان سيف كريهة ... فتبتر هامات وتنثر أذرع
ثنى المتنبى بيت شعر الى الردى ... به السيف بعد الخيل والليل يسطع
فكدت أسى أفنى على عبقرية ... ببعض أداة تستباح وتصرع
وأنكر أن يؤذى من الناس خامل ... فكيف اذا يؤذى من الناس مبدع
فلولا الحجا الخلاق لم يخط عالم ... ولم يتقدم بالخليقة موضع
فلا كان صوت هز فى وجه مبدع ... يميل به الجلاد حمقا ويلسع
وجلدك يا بشار ما زال قائما ... على كل ظهر عبقرى يوزع
ويصفو على الاضلاع ماء صداقة ... بكل صبابات القلوب يشعشع
غصون وداد بين خلين أورقت ... تميل على روض الاخاء وتدلع
وتأبى لها الامراع سكين غدرة ... محزتها بين الصديقين تمرع
وكم بسمة تهفو على الثغر حلوة ... اذا واجهتها شفرة تتمزع
وكم راحة مدت تصافح راحة ... فتصنع ما ليس الخناجر تصنع

* * *

وتسألنى السكين من شب وقدتى ... ليولد من نصلى خميس مدرع
وغالى على وهج فالهب ذرة ... ذؤابتها عند الكواكب تلمع
اذا أطلقت منها القيود تخبطت ... فلم يبق من هول رضيع ومرضع
ومطلقها لا خفق يؤنس صدره ... ويؤنس منه الصدر قصف ومدفع
لقد ولدت فى قلبه منذ خفقه ... قنابل تشدو خفقه وترجع
مغارسه هام البرية حفلا ... فيجتث منها ما يشاء ويزرع
وغدرانه كذب وجور وخدعة ... يروى بها قحط النفوس فيينع
وما الذنب ذنبى انما هى نية ... من البشر امتدت تحز وتقطع
ففى أضلع الانسان بذرة مدية ... اذا لم يغيبها بزهر ستطلع
فتحصد بالويل الشعوب لتنمحى ... ويخلفها شعب غريب مجمع
يغير علينا يغتذى من ترابنا ... ويشرب من أرواحنا ما يمتع
تهين عليه الشرب كأس يديرها ... الفدائى فى اطرافها السم ينقع
على جنبه السكين تدعو حدودنا ... الى أن تجارى حدها حين تشرع
يمينا ، لقد أضحت حدود بلادنا ... كحدك يا سكين يفرى ويبضع
والا سنحيا نحن أو أنت فضلة ... على الرف فى كف العجائز نقبع

م. ج. (سوريا)

من حضارة الشعر الى حضارة العلم

بقلم : الدكتور ابو القاسم سعد الله

اثر نكبة جوان (يونيو) 1967 ظهرت فى المجال العربى عدة افكار انتقد اصحابها الاوضاع العربية الفكرية والسياسية والاجتماعية ، ودعوا الى خلق جو جديد يتلاءم مع متطلبات العصر • لان المعركة ، فى نظر هؤلاء ، قد كشفت عن ضعف خطير فى الحياة العربية المعاصرة بالمقارنة الى حياة اعدائنا • وقد كانت هذه الانتقادات مفيدة ومثيرة ولكنها لم تذهب الى ابعد الحدود ، فتدعو الى القيام بثورة ثقافية عربية شاملة قوامها العلم الصادق والتواضع الخلاق ، والجدية البناءة •

حقا ان تلك الانتقادات للاوضاع العربية الراهنة التى كشفت عنها حوادث جوان كانت قد فتحت المجال امام النقد الذاتى • ولكننا كنا ننتظر منها ان تواصل نفس الطريقة باسلوب اكثر فعالية ودعوة اكثر صراحة ، واذا كنا نعترف بان بعض النظم العربية لم ترحب بهذه الانتقادات ، بل لقد ذهب بعض هذه النظم الى كبتها وخنقها ، فان ذلك لا يعفى الكتاب العرب ، وهم طليعة هذه الامة ، من مسؤولية خطيرة يتحملونها امام الشعب الذى ينتظر منهم الكثير ••

ولا بد قبل المضى من وقفة قصيرة لنعرف مفهوم الثورة الثقافية العربية ، ولعلنا لا نحتاج الى كثير من التعريفات القاموسية وحتى الايديولوجية فى هذا المجال، ويكفى ان نلجأ الى تعريف اتفاقى منطلق من الواقع العربى نفسه• ان ابسط تعريف للثورة هو التغيير والتطوير والتحول ، وقد يعرفها البعض بالانقلابية وخلق اوضاع جديدة مغايرة للاوضاع الراهنة • والثورة الثقافية كما تكون بيضاء تكون حمراء ، مصحوبة بضجيج وعنف وارهاب او بقليل من ذلك مع رفق وتسامح وتوجيه حكيم وليس من الضرورى ان تكون الثورة الثقافية مرتبطة بالانقلابية السياسية والارهاب العسكرى اذ الثورة تعنى قبل كل شىء نقد الاوضاع والمفاهيم الحضارية الراهنة والدعوة الى خلق مفاهيم جديدة • وقد يصحب هذه الدعوة صراع حاد لا بين القديم والجديد كما قد يتخيل البعض ولكن بين نوعين من الحياة واسلوبين من المعيشة •

اما الثقافة فنعنى بها المعنى العلمى القائم على التفكير الواعى المشارك الخلاق واما الثقافة بمعنى الفنون والاداب الراقية فهو مفهوم طبقى خاص نود ان لا يشمله هذا التعريف ، والثقافة التى تدعو اليها تؤمن ايمانا قويا بالتحول الجذرى على مستوى الاداب والفنون ايضا • وتدعو الى الارتفاع بها الى العمية والايجابية والتخلص من الروح الطبقية الضيقة •

وهنا نصل الى النقطة الثالثة من هذه التعاريف وهى « العربية » ان الامة العربية تعيش فى ظروف خاصة لا تعيشها مثلا امة الصين ولا امة روسيا ولا امة امريكا • ومن الواجب علينا العناية بدراسة اوضاعنا الخاصة فى نطاق حاجات امتنا الى مواجهة تحديات العصر والعيش فى امن وعزة وسلام • لذلك وجب ان ينطلق مفهوم « الثورة الثقافية » من نقطة ارتكاز عربية بالدرجة الاولى ، ولكن هذا لا يعنى الانعزالية والانغلاق على ما يجرى فى العالم من هزات فكرية لابد ان تؤثر فينا ولو كرهنا •

وانطلاقا من هذه التعاريف التى قلنا بانها ليست قاموسية ولا ايديولوجية بل وليست علمية دقيقة ، يمكن ان ندخل فى صميم الموضوع ، ونتناول ما نريد من الثورة الثقافية العربية ، ويمكننا ان نقسم هذا الموضوع الى قسمين : قسم يعرض وينقد بعض اوضاعنا الحضارية المعاصرة ، وقسم يقدم بعض الاقتراحات التى نظن ان هذه الثورة يجب ان تنطلق منها وتبدأ بها •

ان اهم ما يميز حياتنا العربية المعاصرة هو السلبية اننا نشاهد ونعيش احداثا كبيرة تجرى من حولنا دون ان نحس بها او نتدخل فيها • فعلى الصعيد العربى نجد اوضاعا سياسية واجتماعية واقتصادية تطرأ على مجتمعنا من وقت لآخر دون ان يكون لنا فيها كلمة او رأى • وما زال اكثرنا يعيش فى انعزالية تامة عن هذه الامور كأنها لا تعنيه او لا تقرر مصيره وعلى الصعيد العالمى كذلك تتجدد كل يوم الصراعات على مناطق النفوذ ونشر الايديولوجيات وتقدم العلوم ونحن لا نزال فى قدرية صامتة امام هذه الامور التى يمكن ان نسميها بتحديات العصر •

وتحديات العصر هذه كثيرة متنوعة ، ولعل من اهمها التقدم العلمى والتحول التقنى الذى يغير حياة الانسان المعاصر ولعل من اهمها ايضا هذا الغزو الصهيونى الامبريالى لبلادنا أن البعض لا يزال يغط فى التقاليد فيرى التقدم العلمى جناية على « الروح الشرقية » الهادئة « وحضارة الشعر » العريقة ،

وكفران بالطبيعة والانسان ، ويرى فى الغزو الصهيونى الامبريالى على انـــه درس وامتحان « لا بد » ان يزول وان يد الله التى ازاحت كلكل الصليبيين الشرق منذ قرون قادرة ايضا على ازاحة الوحش الصهيونى عنه فى القـــرن العشرين ٠ ان هذه الروح السلبية التواكلية او ما نسميه بروح حضارة الشعر والروح الشرقية هى شر لابد من محاربته ، وهى مرض لابد من التخلص منه ٠

وقد تكون ظاهرة التخلف المتولدة عن قرون من الجمود الفكرى والسياسى والاضطهاد الاستعمارى اكثر ظواهرنا المعاصرة خطورة على مستقبلنا ومصيرنا والتخلف الذى نعنيه يتجاوز انخفاض مستوى المعيشة والهبوط الفكرى لدى المثقفين والحكم المطلق فى السياسة ٠ ان هذه الامية المتفشية الى اقصى حدود التفشى لدى جماهيرنا العربية ٠ واذا استثنينا القليل من الجهود التى تبذلها بعض المصالح العربية ، فان الامية فى مجتمعنا قد بلغت حدا مخيفا يجعل اى نوع من انواع المشاركة الفعالة لهذه الجماهير فى معركة المصير غير مأمونة العواقب ، وغير ذات اهمية ٠ ومن الجناية على هذه الجماهير ان ثرواتها الطبيعية ومصادر دخلها الاساسية تصرف فى شتى انواع البذخ والترفيه على اقليـــة محظوظة وطبقة ممتازة فى عصر نحن فيه فى اشد الحاجة الى الثقافة الشعبية ونشر الوعى وازالة الحواجز الطبقية وتكوين مجتمع « الصالح العام » ٠

ولا بد من الالحاح على هذه الطبقية الثقافية التى تميز واقعنا العربى٠ وليس بخاف ان قرون الجمود وسنوات الاستعمار المظلمة قد مكنت طائفة من الشعب العربى ان تسمن فكريا كما سمنت اقتصاديا ٠ وبذلك تكونت « نخبة » ممتازة فى ميدان الفكر والثقافة كما تكونت « اقطاعيات » ممتازة فى ميدان الاقتصاد والاجتماع ٠ واذا كانت هذه الاقطاعيات قد بدأت تتسـاقط كاوراق الخـريف فى الوطن العربى ، فان النخبة الثقافية ما تزال تمد جذورها وتبسط نفوذها وسوء التوازن بين التقدم الاجتماعى والاقتصـادى الـذى احـرزت عليه بعض المناطق العربية وبين النخبة راجع الى هذه الظاهرة ٠ ان هذه النخبة العربيـة ما تزال تجد مصالحها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالاستعمار ومع القـوى المعـادية للثورة العربية ، لكونها فى الواقع مدينة له بوجودها وامتيازاتها وتوجيهها ٠

ويتصل بهذا الارتباط بين النخبة الثقافية وبين الاستعمار هروب او هجرة المثقفين من الوطن العربى الى الخارج ٠ نحن لا ننكر ان هناك مثقفين شرفـاء حاولوا التعايش مع اوضاع بلادهم السياسية والاقتصادية فلم يفلحوا ، فلم يسعهم الا الهجرة لما لديهم من فكر وما حصلوا عليه من ثقافة علمية نادرة٠ ولكن

يجب الاعتراف بان كثيرا من هؤلاء المثقفين المتازين تصلح فيهم كلمة «هروب» اكثر من كلمة « هجرة » فهم لعدم التزامهم بمصير امتهم ولشعورهم بانهم طبقة ممتازة وسط جماهير متخلفة فضلوا العيش حيث يجدون الراحة والثروة والامكانيات وحرمان شعبهم الذى تثقفوا على حسابه من مواهبهم ومساهمتهم فى انقاذه من براثن التخلف • وعلى اية حال فان هذا لا يعنى اطلاقا تبرير موقف بعض النظم العربية فى محاربة هذه النخبة وسد الطريق فى وجهها على المستوى المحلى •

واذا اردنا الصراحة فى هذا المجال نجد ان روح التقليد تغلب على المثقفين اكثر من غيرهم من طبقات الشعب • وهذه نقطة خطر • فالتقليد لدى الجماهير لا خطورة فيه اذا قورن بالتقليد لدى المثقفين • ولعل اهم ما يميز ما وصفناه « بحضارة الشعر » هو الرتابة والتكرار والحشو والخيلاء والنفاق • والرتابة فى بحور الشعر واجترار الابل انعكست عندنا على طريقة تفكيرنا وحكمنا على الاشياء • ولو احصينا انتاجنا من المدائح والاهجية والمفاخر ، وهى انواع من الكذب والنفاق والتكبر الفارغ ، لوجدناه يزيد على ثلثى انتاجنا الشعرى عامة اما نثرنا فان اساسه وعموده الشروح الدينية والتلفيقات الصوفية ، ونسبة الانواع الاخرى فيه ضئيلة جدا •

وتنسحب روح التقليد والرتابة والاجترار على انتاجنا الجامعى ايضا • فالمفروض اننا فى عصر البحث العلمى ، والدراسات الجامعية المعمقة الرصينة نكون قد تجاوزنا عهد « حضارة الشعر » الى عصر « حضارة العلم » ، ولكن كل الدلائل تدل على ان ابحاثنا الجامعية ما تزال تتخبط فى التقليد ، وما زلنا ندرس الشعر والنثر الفنى على طريقة ابن رشيق والجرجانى ، والتاريخ والجغرافية على طريقة ابن الاثير وياقوت الحموى ، والاقتصاد على طريقة « اليوم خمر وغدا امر » ، والنحو على طريقة سيبويه ، وهلم جرا •

وما زلنا نحكم على جودة العمل الجامعى بما يحتوى عليه من عدد الصفحات لا بما فيه من افكار جديدة •

ومع ذلك فنحن متمذهبون متحمسون لهذا المذهب او ذاك ، نتراشق من اجله بالكلمات ونتخاصم على اساسه ونقيم من اجل ذلك احزابا وشيعا وطوائف ، وقد يزداد الامر خطورة فنقيم من اجله متاريس على الحدود او ندخل فى حرب ساخنة • ان الانتماء الايديولوجى بالمفهوم الصراعى الدولى خطر

يهددنا من الداخل • وفى اعتقادنا ان الامة العربية لها من امكانياتها الفكرية ما يمكنها به ان تشق طريقها مستقلة عن الانتماءات الايديولوجية الحادة ، ولا سيما فى المرحلة الراهنة من تطورها •

ولكن القارىء قد يتساءل : اذن ما العمل ؟

ان الجواب على ذلك بسيط وصعب فى نفس الوقت • انه بسيط لاننا تعودنا ان نتساهل فى اصدار القرارات والتوصيات العامة التى تخرج من الشفاه لا من القلوب ، وتعودنا كذلك ان نعبر عن سعادتنا واغتباطنا بلقاءاتنا فى ذاتها ، دون تقدير لعواقبها • كما تعودنا ان نورد عبارة « المصير العربى » و « معركة المصير » و « القضايا المصيرية » ونحو ذلك من الالفاظ والتعابير التى اوشكت ان تفقد قيمتها وتصبح مبتذلة ، رغم انها حقا خطيرة المدلول لو اعطيت حقها من العناية والجدية ، ولكن هذا ، على كل حال ، هو جزء من مواقفنا السلبيـة وميزاتنا اللفظية ، أى انه جزء من « حضارة الشعر » •

والجواب على ذلك صعب ايضا لانه يفرض علينا ان نغير من سلوكنـا وان نفكر بطريقة جديدة • وهنا نعود الى اصداء نكسة 1967 فى النقـد الـذاتى والدعوة الى العلمية • ان ذلك هو صميم الموضوع • انه يمكن ان نختلف فى قيمة النصر او الهزيمة ولكن لا يمكن ان نختلف فى معناهما ومع ذلك فالعقل العربى المعاصر ، العقل الشعرى اذا صح التعبير قادر على ان يختلف حـتى فى معنى النصر او الهزيمة وان يعكس المفاهيم فيحول الشمس تشـرق مـن المغرب وتغرب من المشرق ، كل ذلك تحت تأثير « حضارة الشعر » و « حداء العيش » •

واذا كنا لا نؤمن بالخوارق فى اشياء كثيرة فاننا نؤمن اشد الايمـان بـان العقل الانسانى قادر على صنع المعجزات • وآيات العلـم تبهرنـا كل يـوم بمعجزاتها وخوارقها فنصدق خاشعين خاضعين مكبرين ومحوقلين • فالله الذى شاء ان يكون عبقر وعكاظ هو الذى شاء ان تكـون سفـن وصـواريخ الفضاء وقنابل الذرة والهيدروجين •

وفى هذا الاطار يمكننا ان نتساءل : الا يمكن القيام بثورة ثقافية عربية ؟ لماذا لا يكون منطلق هذا المؤتمر تحديد معالم هذه الثـورة ورسـم اهـدافها والشروع فى تنفيذها ؟

هل نظل هكذا نصدر التوصيات والقرارات التى ينسـى بعضهـا بعضـا وينسخ احيانا بعضها بعضا ؟ أليس بامكان العقل العربى المعاصر ان يتخلى عن

تقاليد حضارة الشعر الى آفاق حضارة العلم ؟ بلى ، اننا نعتقد ان ذلك ممكن ، بل واجب • كما نعتقد انه فى امكان الكتاب العرب ان ينفضوا على العهد بأن يدخلوا فعلا فى معركة ضد التخلف ، واللفظية ، والامية ، والامبريالية والصهيونية والتبعية • وهذه بعينها هى ابجديات الثورة الثقافية والخروج من حضارة الشعر •

ويجب ان يكون واضحا أننا لا نرفع الثورة الثقافية كشعار • ان ذلك ابعد ما يكون عن هدفنا • ان الثورة الثقافية عندنا هى قبل كل شيء ايمان بضرورة التحول الجذرى فى المجتمع العربى ، وهى ثانية عمل دائب صامت متواضع نرآه فى نتائجه ولا نسمع ضجيجه وغوغاءه•والثورة الثقافية على هذا الاساس لا يتبناها ويتحمس لانجازها الا مثقفون ثائرون • وقد يقول قائل انك تبنى على الرمل وتسبح فى الهواء لانه لا وجود لمثقفين ثوريين فى الوطن العربى الا ما شذ • والجواب على ذلك اننى حذرت منذ البداية من الفكرة الطبقية فى الثقافة لانها خطر لا يقل حدة عن الرجعية فى السياسة والردة فى العقائد• وعلى الجيل الصاعد من المثقفين ان يعلنوا الحرب على «الاجترائيين» فى الثقافة كما اعلنوا الحرب على المترددين فى السياسة ، و « المنحرفين » فى العقائد •

والواقع ان تحقيق الثورة الثقافية اصعب وأشق من تحقيق الثورة السياسية ولاضرب مثلا على ذلك بالجزائر • فالجميع يعلم مدى قسوة الثورة التحريرية وطولها وضحاياها من البشر والمدن والثروات الطبيعية والمصالح الحيوية •

ومع ذلك فالجزائريون اليوم قد يشعرون بأن ذلك كان اخف وطأة وأهون مسؤولية من الصراع من اجل اعادة المكانة للعربية وللشخصية القومية•لذلك أصبح تحقيق التعريب الشامل فى جميع مستويات التعليم ، والقضاء والادارة مطلبا حيويا وشرطا أساسيا لتحقيق الثورة الثقافية التى هى قضية الساعة هناك •

ويتبع ذلك العمل الدائم على استعادة الشخصية الوطنية وبعث التراث ، كل ذلك بعقلية متفتحة لا تنسى ابدا التزاماتها نحو التقدم الانسانى العام والاستفادة من انجازات العقل البشرى فى مختلف العصور •

فما الذى يمنع ان يقوم العرب ، وعلى رأسهم أدباء الطليعة بثورة ثقافية على مستوى الوطن العربى ؟ اننا نعتقد ان ذلك ممكن ومحتم •

ويمكننا ان نلخص اهداف هذه الثورة فيما يلي :

1 ــ خلق ادب جماهيرى متحرر من الارتباطات التقليدية والطبقية ويجب ان يكون واضحا اننا لا ندعو هنا الى ادب سوقى وضيع ·

ان الجماهيرية فى الادب لا تعنى اكثر من ان يكون انتاج الاديب فى خدمة اكبر عدد ممكن من افراد المجتمع ·

2 ــ على ان تكون السمة البارزة لهذا الانتاج هى الروح العلمية المتفتحة ، ان على ادباء الثورة الثقافية ان يرفضوا الخرافيات والقدريات وان لا يقبلوا الانغلاق على ثقافة ضيقة يتقوقعون فيها اصدارا وايرادا · ان مستقبل الامة العربية مستقبل عالمى انسانى ، لذلك وجب على ادباء هذه المرحلة ان يبشروا بهذا المستقبل الشامل الواعى المنفتح ·

3 ــ ولتحقيق ذلك لابد من تكريس جميع جهود الامة العربية الفكرية وحشد طاقاتها المعنوية ·

وهذا يستلزم العمل على استعادة النخبة المهاجرة وافساح المجالات امامها لكى تنتج على المستوى القومى بدلا من ان تظل مشردة تعمل لحساب امة اخرى قد تكون عدوة للامة العربية ·

وافساح المجالات يعنى توفير الحرية الضرورية للانتاج وتوفير شروط العيش الضرورية ·

4 ــ وعندما يتحقق ذلك يكون باستطاعة الثورة الثقافية ان تشق طريقها بأعصاب قوية مدعمة بالعلم · ومن هنا يتحتم على هذه الثورة ان تنبذ كل ما هو شعرى او انشائى فى التفكير · فالروح العربية الجديدة يجب ان تكون قائمة على الايمان بالانسان وعلى الانسان وان تتيح المجال لثورة العمل لا العاطفة ومن هنا كان علينا ان نتخلى عن الروح الشعرية الى الروح العقلية اذا صح التعبير ·

5 ــ ولا تستطيع الامة العربية ان تشق هذا الطريق الصعب الا بالقضاء على الامية ومحاربتها · ومن المسلم به انه لا يمكن للامة ان تفاخر وتنتصر اذا كان ثمانون او تسعون بالمائة منها أميين وعلى هذا الاساس يكون مبدأالثورةالثقافية الذى لا يقبل المناقشة العمل على نشر التعليم على اوسع نطاق والارتفاع بهذا

التعليم الى مستوى العقل الرياضى لا الروح التقليدية ، اى ان يكون تعليما جماهيريا حيا هادفا وليس مجرد خلق قراء او اتباع يساقون بالكلمات الجوفاء والعبارات الساحرة ·

6 ــ ولا بد من سلاح حاد آخر تشق به الثورة الثقافية طريقها ، وهو البحث العلمى المجرد ·

ان انتاج الرسائل الجامعية يجب ان لا يقاس بكثرته بل بمفعوله ونوعيته وجدته والرسالة الجامعية ليست غاية فى ذاتها بل هى بداية فى طريق صعب وهو طريق الاكتشاف والبحث المتواصل · ويجب ان تخرج رسائلنا من طريقة التراجم الشخصية وجمع المعلومات العامة وتحقيق ما انتجه القدماء ، وان تتجه الى الابداع والعمل الذاتى والاكتشاف الذى لا يكون الا بعد معاناة وتجربة عميقة مرة ·

فالبحث العلمى فى الحقيقة هو اساس الثورة الثقافية وسلاحها الى المستقبل

7 ــ ومن أهم وسائل تحقيق الثورة الثقافية وفى نفس الوقت من اهم وسائل البحث العلمى اجادة اللغات الاجنبية والاستفادة منها تدعيما للغة العربية ودفعا للعقل العربى · وهذا لا يعنى الغض من قيمة اللغة القومية ·

ان العمل على ان تكون العربية لغة علم معاصر هو من أوكد واجبات الثورة الثقافية ، ولكن هذا لا يعفينا ابدا من مهمة الاستفادة من اللغات الاخرى ولا سيما فى مجال البحث والدراسة ·

وهذا لا يعنى ابدا اننا اتينا على كل ما يجب على الثورة الثقافية ان تقوم عليه وان تحققه · فما يزال هناك فراغات فى الوسائل والاهداف نأمل ان تملأ عن طريق المناقشات الحرة البناءة · وهدفنا من اثارة هذه القضية طرح موضوع نعتقد انه فى منتهى الخطورة اذا كنا نريد لامتنا ان تتخلص من عصر الشعر والخطابية والغنائية وان تتجه الى عصر العلم والبحث والاختراع ·

وليس هذا البحث سوى مساهمة فى هذا المجال · ولدينا الثقة فى ان الاديب العربى ، الاديب الواعى لمسؤولياته القومية ، سيكون فى طليعة الداعين الى تحقيق هذه الثورة الثقافية على مستوى الوطن العربى ·

ابو القاسم سعد الله
(الجزائر)

الغرب اوقفنا على احكامه قسرا

شعر : محمد سعيد جرادة

اعكاظ فى ربوات جلق قاما ... ام ذا لمى بردى يسيل مداما
ام افقها الوضاء اطلع انجما ... ملك القريض على سناها حساما؟
ام تلك ارض الشام ترفع رأية ... امـويـة تتقـدم الاسـلاما ؟

....

يا مهرجان الشعر عندى قولة ... اعباؤها ثقلت على جساما
سأقولها لا استسيغ لعذل ... عـذلا ولا لـلائمى مـلاما
ما للاديب اليوم ينكر نفسه ... ان رام صمتها او اراد كلاما
ما باله يحيا هوامش سيرة ... تسفى عليه من الخمول ركاما
ان جاز دربا يستريب بسيره ... أيريد خلفا أو يريد اماما
واذا توقف عند حد لم يجد ... سندا عليه يثبت الاقداما
تلقى عليه الواجبات ولا يرى ... احد له حقا يكون لزاما
ويشد نحو الصف شدا فهو فى ... عثراته لا يستطيع قياما
الغرب اوقفنا على احكامه قسـ ... ـرا وسخرنا له خداما
عدنا تراجمة له نجتر من ... فمه البصاق ونحتسيه مداما
فرضت ثقافته علينا موقفا ... غل العقول وقيد الافهاما
ابناؤه يستأثرون بلبنا ... حتى لنبدو اغبياء طغاما
نمتار كل معلب من سوقهم ... ولقد يكون مسمما هداما
ونضيف اوصافا الى اوصافهم ... ونزيد فى احجامهم احجاما
لسنا نرد بالروابط حرة ... بين الشعوب ولا نثير صداما
لكننا ننعى النبوغ بأرضنا ... هملا ونولى غيرنا الاكراما
انا لصنع فى التراث نقائضا ... فوق الشفاه تجسم استفهاما

نحنو على الموتى حنـو مراهـق ابويه عق وفضـل ارث رأمـا
نسخو على الموتى ونمنع نسلم كالاوصياء لووا حقـوق يتـامى
ونناصب الاحياء شر عـداوة ونفت فـي اعضـاءهم ايلامـا
ولقد نقصر في عمـالقة النهى من بيننـا ونعملـق الاقزامـا

* * *

عاش الاديب هنا مآسي قـومه وجميعهـم عـاشوا لـه لوامـا
الغرب يرشقـه باسهـم نقـده ولقـومه انكـى عليـه سهامـا
الناقد العـربي يفتـح معجمـا للغـرب يلهمـه بـه الالمـامـا
والناقد الغربي يسأل عن مدى ابـداعـه القسيس والحاخامـا
الصادح الغريد هذاكـم شـدا طربـا فاقعـد سامعـا وأقامـا
ولكم شدا غضبا فقوض دولـة وأحال طاغية العروش حطامـا
منقاره في السلم يحمل زهـرة بيضاء تنفح عطرهـا الانسامـا
وجناحه في الحرب يحضن عاصفا يتنفس المـوت المحيط زؤامـا
اولى فـاولى ان نهيـيء عشـه لينال حر العيش لا استجمامـا
ونزيل غربة فكـره وشعـوره فلكم تغرب ما استطاب مقامـا
هو في مقدمة الصفوف يهزهـا هـزا عنيفـا يـوقظ النوامـا
ما زال ينسج من جراح جناحه علمـا تقطـر بالدمـاء سجامـا
ويخاطب الوطن السليب بأحرف عقدت حداد ارامل وأيامى...

م. س. ج.
(اليمن)

الدفاع عن أدباء الارض المحتلة

اعداد : عصام حماد

لا يعدو طرح شعار الدفاع عن أدباء الارض المحتلة ، بمفهومه الضيق ، كونه لونا من الوان المزايدة . اذ لن يكون الدفاع المذكور في هذه الحالة عمليا على الاطلاق ، ولن يكون شعاره بالتالي مجديا .. ولا مخلصا .

ان الشعار بمفهومه الواسع هو وحده الجدير حقا بالبحث والمناقشة واتخاذ ما يناسبه من القرارات .

والمفهوم الواسع لتعبير « الدفاع عن ادباء الارض المحتلة » لا يعنى اشخاص هؤلاء الادباء الذين يعيشون حاليا فى الارض المحتلة .

وانما هو يعنى أولا أدبهم بشكل عام ...

ويعنى ثانيا كافة الادباء الذين هم على شاكلتهم ، والذين ينتجون أدبا من طراز أدبهم فى مختلف الاقطار العربية الاخرى .

* * *

ان أدب الارض المحتلة ــ كما يؤكد أدباء الارض المحتلة انفسهم ــ ليس ــ من الناحية الجغرافية ــ سوى رافد صغير من روافد النهر الكبيــر لــلادب العربى المعاصــر .

وهو الى ذلك ــ من الناحية الفكرية ــ رافد جد صغير ايضا من روافد النهر الكبير الكبير للادب العالمى ، المندرج تحت لواء الواقعية الاشتراكية .

واننا لنجد لمثل هذا الادب تراثا ضخما ، ونماذج جمة صالحة لان تكــون خلفيــة قويــــة ...

أولا : على الصعيد العالمى بطبيعة الحال .

وثانيا : على الصعيد العربى ، ولو على نطاق محدود ، بسبب ما كانت وما زالت تعانيه من الكبت والاضطهاد .

وثالثا : على الصعيد الفلسطيني قبل عام 1948 وبعده ٠

ولعلنا في غنى عن سرد الشواهد والاسماء في هذا المجال ٠

* * *

لامشاحة في أن من الجوانب الايجابية لهزيمة العرب ، بقياداتهم البرجوازية الكبيرة والصغيرة ، عام 1967 ، أنها أطلعتنا بشكل لا بأس باتساعه ؛ على نماذج من هذا الادب العربي الطليعي ، صادرة هذه المرة من الارض المحتلة ٠

ولقد كان لهذه النماذج في الحق فضل في تعريفنا على نطاق واسع بمضمون هذا اللون من الادب ، وفي تخفيف قيود الكبت والاضطهاد التي كانت مفروضة عليه ٠

ويرجع هذا الفضل : أولا ـ الى ان اصحاب ذلكالادب الطليعي كادوايكونون الادباء الوحيدين الذين رفعوا اصواتهم هناك في وجه العدوان ٠٠ وثانيا : الى تعلقنا بالارض السليبة التي صدرت عنها النماذج ، والى تشبثنا بمقاومة العدوان عليها ، وتحرقنا شوقا الى استعادة الثقة بانفسنا التي كانت قد وأدتها نكسة حزيران ٠٠٠

وثالثا : الى خشية القوى المضادة لمضمون الادب الطليعي عندنا ـ اذا ما واصلت اضطهاده وكبته بمثل شدتها السابقة ـ من أن تتهم نفسها بنفسها على رؤوس الاشهاد بانها مضادة للمقاومة في الارض المحتلة ٠

ونحن هنا لم نكن لنستخف مع ذلك مطلقا ببلاغة نماذج الارض المحتلة ونواحيها الجمالية الاخرى ، ولا بمواهب اصحابها وكفاءاتهم ، مما كان له أثر ايضا في ذلك ٠

* * *

من هنا ينطلق تقييمنا للدور الفعال لادب الارض المحتلة في تطوير أدبنا العربي المعاصر ، وبالتالي في توجيه نضالنا التحرري في معركة المصير ٠

* * *

لقد أجمع كافة من تصدوا بنزاهة وتجرد الى نقد النماذج الادبية الواردة الينا من الارض المحتلة ، على أن أهم ما تتميز به هذه النماذج بوضوح ، هو

الصراحة ، والشجاعة ، واحترام الكلمة ، والتفاعل مع قسوة المأساة وضراوة التجربة ، والتعلق بالارض ، والالتحام بالجماهير ، واتخاذ الثورية الوافعية بديلا عن الوطنية الرومانسية نبراسا فى ممارسة النضال .

وهذه السمات بالذات هى نفسها التى تميز كذلك نهر الادب الطليعى ـ أدب الواقعية الاشتراكية ـ فى سائر انحاء الوطن العربى الكبير .

ان أحدا من اولئك النقاد لم يستطع ان ينكر على أدب الارض المحتلة ـ وبالتالى على كل الادب العربى الطليعى الذى هو من طرازه ـ كونه أدبا صادقا .

ولم يكن هذا الصدق ليصدر بتاتا عن أديب غير ملتزم بفكرية أو مذهبية متكاملة معينة .

فما هى هذه الفكرية أو المذهبية المتكاملة التى تعرفنا عليها باطلاعنا على نماذج الادب العربى الواردة الينا من الارض المحتلة ؟

لعل من أبسط ما ينبغى لنا ان نتحلى به نحن ايضا كأدباء ، أن نكون صادقين على الاقل مع أنفسنا ، فنبادر الى الاجابة بجرأة وصراحة على هذا السؤال ، فنقول ـ برضى منا أو على مضض ـ إن كافة من وصلتنا نماذج من أدبهم فى الارض المحتلة ، فتعلقنا بها وأعجبنا باصحابها ، انما هم من المثقفين الثوريين ... من المناضلين التقدميين الديمقراطيين .. من الادباء الواقعيين الاشتراكيين .

ان الاشتراكية العلمية اذن ـ سواء قبلناها أم رفضناها ـ هى هى الفكرية أو المذهبية التى تعرفنا عليها وتفهمناها ـ على نطاق واسع ـ عن طريق اطلاعنا على نماذج الادب العربى الوارد الينا من الارض المحتلة .

وهذه الفكرية او المذهبية المتكاملة ـ رغم كل مظاهر الديماغوجية المضللة للسلطات الاسرائيلية ـ انما هى هدف الاضطهاد الاول فى الارض المحتلة ، ولا غرو أن يكون اشخاص اولئك الادباء الذين يعتنقونها ، محل اضطهاد ايضا من قبل السلطات الصهيونية .

وليست الاقامة الجبرية ، واثبات الوجود اليومى ، ومنع السفر بدون تصاريح ، والحد من التنقل ، ومحاربة الاديب فى لقمة عيشه ، بل والزج فى اعماق السجون ، الا بمثابة مظاهر يومية عادية من صورة ذلك الاضطهاد .

غير أن انقطاع الصلة بين هؤلاء الادباء وبين اخوانهم من أدباءالاقطارالعربية الاخرى ، والحد الى حد كبير بينهم وبين مساهمتهم مع غيرهم من الادباءالعرب في مخاطبة الجماهير في الوطن العربي الكبير ، أقسى على نفوسهم كأدباء من سائر تلك المظاهر التعسفية ٠

ثم ان قضايا تضييق نطاق النشر باللغة العربية داخل الارض المحتلة على يد السلطة الاسرائيلية من جانب ، وحظره هناك كلية على انتاج كافة الادباء الفلسطينيين الغائبين في البلاد العربية من جانب آخر ، والحيلولة بشدة دون تسرب الانتاج الادبي العربي الخارجي الى داخل الارض المحتلة من جانب ثالث ٠٠ كل ذلك أجدر باهتمامنا في هذا المجال من كافة ما سلف ذكره من الاجراءات الاسرائيلية الجائرة ٠ ذلك ان هذه القضايا لا تعدو كونها في الواقع قضية محاولة عزل الانسان العربي الفلسطيني داخل بلده عن المصادر الحقيقية لثقافته العربية القومية والفلسطينية المحلية ٠

فما الذي ترانا نفعله في معرض الدفاع عن أدباء الارض المحتلة ؟

لا نستطيع مع الاسف عمل الكثير عن طريق الحملات العالمية في مجال تخفيف القيود المفروضة عليهم كأشخاص ٠٠ وقد لا يكون من العملي تقديم أية معونات شخصية لهم كأفراد ٠٠٠ بل ليس في امكاننا ايضا مع الاسف ان نمد اليهم أيدينا لنعينهم في حياتهم اليومية كأدباء يعيشون هناك ٠٠٠

وقد نذهب الى أبعد من ذلك فنقول ان ايدينا قاصرة عن الدفاع عن فكريتهم أو مذهبيتهم ذاتها في وجه السلطات الصهيونية ٠

ولربما كان هذا كله هو بعض اهداف المعركة التي تخوضها الامة العربية برمتها ٠ ووصولنا الى هذه الاهداف متوقف على انتصار الامة العربية في المعركة الكبيرة على المدى البعيد أو القريب ٠

فكيف يكون دفاعنا اليوم اذن ، نحن هنا كأدباء ، عن اخواننا الادباء العرب في الارض المحتلة ؟

ليس سوى أن نعينهم أولا على حمل الراية التي يحملونها داخل الارض المحتلة ، ثم ان نعمل هنا ثانيا على حمل نفس الراية في العالم العربي خارج الارض المحتلة ٠

وان الامرين كليهما ليتمان معا عن طريق التعريف • على النسيج الحقيقى الذى صنعت منه تلك الراية ، ألا وهو فهم روح العصر ، والتفاعل معها تفاعلا تاما • وتتمثل هذه الروح ، فى المرحلة التى نجتازها : بالنضال من أجل التحرر الوطنى ، وباختيار الاشتراكية منهجا وغاية ، والكفاح الجاد من ثم مع كافة الشعوب ومع أدبائها بالطبع – فى سبيل دحر الامبريالية والاستعمار وكذلك فى سبيل بناء المجتمعات الاشتراكية •

اننا حين نستوعب كأدباء ، حصيلة الفكر الاشتراكى العلمى ، ونتخذها نبراسا لنا فى كافة نشاطاتنا العقلية والجسمانية ، بشكل قابل للنمو والتطور •• وحين ننتصر على كافة المخاطر التى قد نتعرض لها كأدباء ثوريين أحرار ••• نستعلى على اغراء السلطة والمنصب والمال والجاه ، ونتجاوز التطلع الى المكاسب الطبقية ، ونتجنب الانعزالية ، والهروبية ، والمزايدات والمؤامرات والحذلقات ومختلف الصغائر التى يتفرغ لها بعض ادبائنا اكثر من تفرغهم للعمل الادبى •

وحين نوثق اواصرنا كمثقفين مع جماهير شعبنا وشعوب العالم •• نأخذ منها ونعطيها •• نقودها ونقتاد لها ••• ولا تعترينا معها يوما اثارة استعلاء ••

وحين نفهم المعنى العلمى لنضالنا من أجل فلسطين ، ونعتبره كما يجدر به او يكون ، جزءا من نضال الشعوب ضد الاستعمار ، وصراعا حياتيا بين دولة اسرائيل الفاشية العنصرية العدوانية المستغلة ، وركيزة الامبريالية العالمية من جهة ، وبين الشعب العربى الفلسطينى المضطهد المنهوب المسلوب ، ومعه مجموع العناصر الديمقراطية العربية واليهودية داخل الارض المحتلة من الجهة الاخرى •••

وحين لا نتغاضى عن المضمون الطبقى لهذا الصراع ••• باعتبار الطبقة تجمعا اقتصاديا كبيرا وليس تجمعا دينيا او ثقافية او اجتماعيا •••

وحين نعير اهتمامنا لنقاط الالتقاء المتواجدة بين جماهير اولئك الذين يضربون ويتظاهرون يوميا ضد السلطات الصهيونية فى الارض المحتلة ، وبين جماهيرنا التى ترفض الدولة الصهيونية فى قلب الوطن العربى ، ونعير التفاتنا فى الوقت نفسه الى ذلك القاسم المشترك الاعظم الذى يجمع كذلك بين مضطهدى الفكرية الديمقراطية فى الارض المحتلة ، وبين معاديها ومقاومتها فى الوطن العربى •

وحين نضع نصب أعيننا على الدوام أننا انما نناضل من اجل تخليص أرضنا من براثن الصهيونية ، وليس من أجل طرد أحد من الناس الذين يعتنقون دينا – مهما يكن – من الاديان ، أو من أجل اضطهادهم أو نهبهم أو سلبهم أو رميهم فى البحر ...

وحين نفرض فى النهاية ارادتنا – كأدباء أحرار – على نشاطات أجهزة الثقافة والاعلام والنشر فى عالمنا العربى ، فنوجهها الى اعتماد التقييم الموضوعى والمخلص ، لما تنشره وتذيعه من الادب ، ونحول دون تسرب ما تنتجه مصانع المخابرات الاميركية والاسرائيلية وامثالها الى اسواقنا ، وتصدرها فيها واجهات المكاتب والاذاعات والشاشات الكبيرة والصغيرة،ونشجع من ثم عن طريق وسائل الاعلام – وعلى رأسها وسيلة الاذاعة فى هذا المجال – على ايصال أدبنا التقدمى الديمقراطى الحقيقى الى الجماهير الكادحة والمثقفة فى العالم كله ، وفى طليعتها جماهرنا العربية فى الارض المحتلة ، وكذلك على ايصال أدب العالم التقدمى الديمقراطى الحقيقى ، ومنه أدب أدبائنا فى الارض المحتلة بالطبع ، الى أوسع الجماهير فى عالمنا العربى ...

اننا حين نفعل ذلك ... نكون قد رفعنا فعلا تلك الراية ، وأعنا أدباء الارض المحتلة على رفعها هناك .

ع – ح

الاتحاد العام لكتاب فلسطين

نحو منطلقات جديدة في التزام الادب العربي

بقلم : « صدقي اسماعيل »

« لو ان كاتبا واحدا فى تاريخ الادب الانسانى قد استطاع ان يلتزم حقا قضية مصيرية لما بقى لنا ما نكتب عنه »

بمثل هذه العبارة الساخرة يعلق كاتب مسرحي معاصر على مسألة الحرية والالتزام فى حياة الاديب ، وعلى الرغم من انه قد يكون رأيا عابرا ، غير ان هذه المسألة فى حقيقتها كانت تنطوى كل حين على مثل هذا الالتباس ، فما من كاتب ـ مهما يكن عليه من عدم الاكتراث ، الا وهو ملتزم على نحو أواخر ، انه يكتب بلغة قومه ويطورها على الاقل ـ ومع هذا فان تاريخ الادب لم يعرف كاتبا استطاع ان يحل قضية انسانية كبرى او ان يتجاوز التناقضات فى اية مشكلة على نحو يتيح للنتاج الادبى ان يكون عنصرا حاسما فى صنع الواقع البشرى ٠

ومع هذا فان هناك حوارا قديما بين الحرية والالتزام فى العمل الادبى ، ما يزال مستمرا ، يحمل الينا حشدا لانهاية له من المفاهيم المستهلكة والتصورات المألوفة ووجهات النظر المتباينة ، ولابد من تحديد الجوانب الجديدة التى تسوغ لنا تناول البحث على نحوما ، وأعادة النظر فى بعض المنطلقات المستحدثة ، اى التى تمليها المرحلة التاريخية الراهنة من تجارب الثقافة العربية المعاصرة ، وهذا هو الهدف الاول لهذا الموضوع ، بل ان تحديد هذه المنطلقات الجديدة ـ وقد اسفرت عنها هذه التجارب فى السنوات الاخيرة ـ يمكن ان يكون اكثر تعبيرا عن الواقع الادبى بما تنطوى عليه معاناة الاديب العربى المعاصر من سلبيات المواقف العملية خلال المراحل ، وما يحمله التأكيد على العمل الادبى المجدد من ارتباط بالمرحلة وتفاؤل بالمستقبل ٠

اننا نقتصر فى هذه الصفحات على التنويه بما يضاف فى الحقبة الراهنة من مفاهيم الى هذا الموضوع ، ولاريب فى ان التأكيد على ما يضاف من جديد الى كل موضوع ، انما هو محاولة لفهم التأثير المباشر الذى يمثله واقع التجربة الانسانية فى المرحلة على الفكر بصورة عامة ٠ وليس من الصعب ان

نتبين فى هذا الصدد ما يمكن ان يعد من المنطلقات التى يقدر لها ان تلعب دورا كبيرا فى كل حوار فكرى او ادبى او عقائدى ، حول مسألة من هذا القبيل ، ممارسة الحرية فى العمل الفنى ، اللغة العربية فى دورها القومى وحركتها التاريخية وطبيعتها « البديعية » ، الثورة ومسألة الصراع ، المعرفة الفنية وشرعيتها فى صنع الوجدان الجماهيرى ٠٠ الخ ٠

فى طبيعة القضايا الانسانية الكبرى ، حين تطرح مشكلاتها العديدة على الادب ان الحوار الجاد حولها ينطلق عادة من تصور المستقبل اننا نقف امامها كما لو انها منعطف حاسم ، علينا ان نتبين فيه صبغة معينة لكل مصير الآخرين ، ومن ثم فان كل دراسة مجدية لاية مشكلة من هذا القبيل ــ مهما تكن هذه المشكلة ثانوية عابرة ــ تفرض اكبر قسط من حرية الاختيار ، لا لأنها تحتم الكثير من الوان الصراع الفكرى فحسب بل لانها تنطوى دائما على شىء يتكون من جديد ، يصنع هنا او هناك ، على نحو أو آخر ، ولابدمن تدخل الارادة البشرية فى تحديد سماته الاخيرة ، او اعداد المناخ الصحى الملائم لأن يصبح هذا « الجديد » صورة مغايرة للحاضر المثقل بالفجوات المزمنة ان لم تحمل هذه الصورة ملامح النقيض ، او البديل الذى انتزعت منه ــ على الاقل ــ كل دعائم الانهيار الراهن ٠

ومع ان هذه الحقيقة قد اصبحت تفرض نفسها على حياتنا الادبية ، فى سلسلة لانهاية لها من مفاهيم التمرد والثورة والنضال المصيرى ٠٠ وغيرها من المفردات اللفظية المثيرة ، وعبارات « التعميم » الملتبسة ، فان صيغة «الادب ــ القضية » ــ على ما فيها من التصدى الجرىء فى عمليات التغيير ــ تمتد بجذورها البعيدة الى اعماق الواقع العربى ، وتبدو اشد ارتباطا بالتجارب الحية بكل ما تحمل هذه التجارب من طابع محسوس ملتصق بالمعاناة اليومية، واضح المعالم ، وليس من الصعب ان نتبين الكثير من مظاهر هذا الارتباط ، من خلال المسائل الادبية الرئيسية التى تهيمن على واقعنا الثقافى منذ بداية القرن وتتمكن جيلا بعد جيل من تأكيد اولويتها وجدارتها ٠٠ وليس على صعيد البيئات الثقافية فحسب ، بل فى بوادر الوعى الجماهيرى ايضا ، محنة اللغة العربية امام الحضارة الحديثة ، كيف يتاح للاديب العربى ان يتمثل اصالة التراث اللغوى مثلا ، على نحو يمنح معاصريه قدرة التعبير عن معايشة العصر ، اى يجسد لهم ولو فى نتاجه الفنى المحض تجربة الانعتاق من بنى الاداء اللفظية او الشكلية او المتعثرة الركيكة فى عصور الانحطاط ؟ ٠٠

لاريب فى ان الحديث عن « محنة » فى هذا الصدد ، قد ينطوى على المبالغة، فقد استطاع الادب العربى الحديث ، فى السنوات العشرين او الثلاثين الاخيرة ، على الاقل ، ان يمارس تجربة التحرر « اللغوى » - اذا صح التعبير - على نحو لا يخلو من الابتكار والتجديد ، غير ان مسألة اللغة ما تزال - وقد تبقى امدا طويلا - على احتفاظها بكل خطورتها عبر الاجيال المتعاقبة • وها نحن بعد اكثر من قرن على بداية التنبه الثقافى بين العديد من الجماعات العربية المتباعدة ، نقف فى بعض الاقطار امام مأساة من الاغتراب اللغوى الكامل تطرح مشكلة تعريب الجماهير من جديد ، مثلما نقف فى اقطار اخرى امام اغتراب اشد تعقيدا ، تعانيه الثقافة ذاتها :

ان يتقهقر الاداء المشرق ، المرتبط بوضوح الحقيقة واصالة التجربة ، امام المحاولات الادبية الموغلة فى تعثر العبارة وركاكتها احيانا ، وفى كل صور الالتباس والابهام ، ليس ما يدعو الى الحذر القلق ، انها محض محاولات عفوية متفردة ، تقتحم سياق الحياة الادبية ، بتأثيرات معينة ، بل انها تكاد ان تصبح بادرة التجديد الوحيدة فى مستقبل الادب العربى الحديث •

ان ارتباطها الصارخ بكل ما هو « جديد » « معاصر » فى تجارب الاجيال الناشئة ، يتجاوز كونها « بدعا » طارئة تعبر عن التمزق الوجدانى الذى تعانيه الحياة العربية فى مرحلة معينة ، - وهو التقييم « التقليدى » المألوف الذى يؤكد فى تفاؤل صامت ، أن اصطفاء التاريخ الادبى ، سوف يعيد الى الممارسة الادبية بنيتها الصحية السليمة - غير ان هذا التفاؤل يبدو على جانب من السطحية ، ازاء ما ينال اللغة ذاتها من اغتراب عن متانة بنيانها وصفائه من ناحية ، وعن الحقيقة الانسانية من ناحية ثانية ، انها تجابه تيارا جارفا من الارتباك والهجنة فى الاداء الفنى ، قد يحمل فى كثير من التجارب الرائدة كل معالم الاصالة والابتكار ، غير انه يشرع لكل جيل ناشىء منطلقا متعثرا لا يمكن ان يوصف الا بالخوف من الحقيقة والافتقار الى الصدق فى معاناة تجربة الواقع •

ليس هذا التأكيد على مسألة اللغة منذ البداية ، محض مثال عابر عن العلاقة الوثيقة بين الادب وقضية الثقافة العربية فى مرحلتها التاريخية الراهنة ، وما تحمله هذه القضية من اشكال الالتزام امام محاولات التعبير الحاسمة فى مصائر الآخرين • بل ان ازمة التعبير التى تثيرها مسألة اللغة هى احد جناحى الموضوع فى خطوطه الرئيسية ، الجناح الآخر يتناول منطلقا لا يقل خطورة ،

يتمثل فى اكتشاف الارضية الاجتماعية التى تتحرك فيها المبادرات المتعاقبة للعمل الادبى ٠ ان التلويح بصيغة « الادب ـ القضية » او الادب والقضايا المصيرية ، يضع امامنا مهمة البحث الجاد فى ميدان لم يقدر له بعد ان يتدرع بالمنهجية العلمية الواضحة ، هو ما يتعلق بعلم اجتماع الادب العربى ٠٠ ان نبض الدراسات والبحوث النقدية والتقييمية التى يحملها تاريخ ادبنا المعاصر لم يلامس بعد الاجوانب محدودة من الأسس التى يمكن ان يقوم عليها « علم الاجتماع الادبى » ، الاديب والحياة بصورة عامة ، الاديب والالتزام العقائدى ، الادب وواقع التعليم ، الادب والاحداث السياسية ٠٠ الخ ٠

وكثيرا ما تنتهى الدراسات فى هذا الصدد ، بالنتيجة السلبية المألوفة : الافتقار الصارخ الى نظرية « عربية » حديثة فى النقد او الادب ، او الى الناقد « الكبير » الذى يمتلك « شرعية » التقييم المعاصر ، او الى المنهج النقدى الواضح ، ولشد ما تتعثر هذه التطلعات فى الواقع الادبى ، وتفتقر هى نفسها الى رؤية الحقيقة ، ذلك ان الذين يتوجهون بها الى الحركة الادبية يعترفون فى الوقت نفسه ، بأن علم اجتماع « الواقع العربى » البحت لم يتكون بعد ، وان النظرية المعنية لن تكون الاثمرة لجدارة النتاج الادبى الفنية ـ وهى ما تزال موضع الارتياب او التساؤل على الاقل ـ وان المنهج ـ مهما يكن مرتبطا بموضوعية العلم ـ لن يكون الا امتدادا لموقف عقائدى تمليه الرؤية الشاملة للحياة العربية المعاصرة ٠

لاريب فى ان التعرض لمثل هذه الصعوبات على هذا النحو الجذرى الصارم، يضعنا امام كل مظاهر الفراغ فى حياتنا الثقافية دفعة واحدة ، وقد يكشف لنا عن الكثير من منزلقات الدراسات الادبية الراهنة فى تحديد مشكلاتها ومناهج البحث فيها ، مما قد يوحى بأن جميع البدايات خاطئة فى طبيعتها وانها لن تلبث ان تجد نفسها جميعا فى طريق مسدود ، غير ان هذا كله لا يحمل على اعادة النظر فى جدوى المحاولات الغزيرة القيمة التى تصدت لرصد الحياة الادبية منذ مطلع القرن ، وتولت شتى الاجتهادات فى تقييم انتاج المعاصر او تطلعت الى تقييم جديد للتراث القديم ٠ لقد اتيح لهذه المحاولات ان ترفد تاريخ النقد الادبى فى ماضيه وحاضره ، بالكثير من معطيات الثقافة العالمية فى هذا المجال ، وان تطعم ٠٠ فكرنا الادبى ـ اذا صح التعبير ـ بشىء من « المنهجية » المعاصرة لاغنى عنها فى تلافى المحاذير المألوفة الخطيرة فى اساليب النقد المتبعة : الارتجال والموقف الشخصى ، والمغالاة فى الادانة او

التفريط ، والبعد عن الموضوعية من ناحية وعن الصفات المرحلية «التاريخية» للأثر الادبى من ناحية ثانية ·

ومع ان الطابع التجريبى الواضح فى عمليات النقد الادبى الحديثة ، يمهد الطريق للعمل الثقافى الجاد فى هذا المجال ، فان التجريبية التى تستند فى الغالب الى معايشة الحياة الادبية فى واقعية » جريئة ، لا تستطيع ان تتجاوز حدودها الضيقة الا اذا ادرجت محاولاتها جميعا فى اطار البحث عن الخصائص المميزةلقضية الادب العربى كلها فى هذه المرحلة ـ لقد كان ينبغى ان لا تبحث مسائل الادب فى علاقتها بالقضايا الكبرى للحياة العربية ، وبالمصير العربى على نحو عام ، الا بعد تحديد المعالم الرئيسية لتلك الخصائص ، قبل ان نتساءل ماذا يستطيع الادب او الاديب فى واقع معين ؟ لابد من ان نبين فى شىء من الوضوح ، ما هو ادب المرحلة ، ومن هو الاديب فى مجابهة القضايا المطروحة ؟

وفى هذا السبيل نجد أنفسنا ملزمين بأولى المنطلقات الاساسية للعمل الادبى فى جذوره البديعية والاجتماعية معا ·

ولئلا نوغل فى تشتت « التجريبية » المرتجلة التى تغمر حياتنا الثقافية فى هذا المجال ، فان حركة الواقع فى تغيراتها العميقة ، تفرض علينا منذ البداية ان ننتزع من كل موقف فنى او ثقافى او قومى ، ما يشير الى الصفة التاريخية ليس فى الظاهرة الادبية فحسب ، بل فى دراستها وتقييمها ايضا· ذلك ان ما هو « تاريخى » متحرك ، هو وحده الذى يطرح مشكلة الحرية والالتزام · ولا نملك من هذه « التاريخية » على صعيد الحياة الادبية ، الا هذا الاندماج التقليدى العريق بين حياة اللغة العربية وحياة الادب ، من جهة ، وهذا الارهاص العنيف الذى يهيمن به الواقع الاجتماعى ملوحا بالتجارب الجماهيرية بصورة خاصة ، على جدارة الاديب ومصيره ·

على هذا النحو يأخذ الحوار حول مشكلات الحرية والالتزامصيغةالصراع الثقافى الجاد وهو يتناول موضوعاته الاساسية فى تحديد واضح ملموس ، لما يستطيع ان يمارس الادب والنقد معا فى عمليات التغير ، مهما تكن عليه العبارات الدارجة فى هذا المجال من تغطية الكلمات وعمومية المعانى واتساع ميادينها النظرية · إن الالحاح على صيغة « الصراع » بدلا من الحوار ، هو نقطة البداية فى معايشة الواقع الادبى والثقافى معا ، بصورته المحسوسة الواضحة ، ما دام الامر يتعلق بما نستطيع

ان ندعوه « الالتزام المصيري » بكل ما يمكن ان ينطوي من الابعاد . قد يكون في الحوار متسع ارحب لاكتشاف الحقائق ، وتعدد وجهات النظر ، وتعايش المواقف المتباينة ، غيرانه ينطوي ايضا على اخطر المحاذير حين يسوغ لكل ان يحتفظ « بحقيقته » الخاصة ، وان يتذرع بكل الشروط الموضوعية « الممكنة » لكي يتنصل من مسؤولية الالتزام ، حتى في العمل الادبي المحض.

وليس ما هو اكثر دلالة على مثل هذا التنصل من موجبات الادب «المتبذل» او « الغث » وهي لا شك ان تغمر الحياة الادبية ، تحت شعار « مساومة الواقع » . ما دامت شروط التخلف في الحياة العربية اقسى من ان تقاوم ، فليكن الادب متخلفا أيضا ، بل ينبغي ان يكون ، ومادامت العربية لم تبلغ مرحلة النضج « الحضاري » في التعبير عن روح العصر ، فلتدرج المخاطبة الجماهيرية المباشرة ، في اساليب الاداء الفني ، بكل ما تحمله من التهاون في تطلعات المرحلة الى بناء ثقافي جديد . بمثل هذه الصيغ الدارجة ، تنحدر التنازلات بالعمل الادبي الى المزيد من مظاهر الضحالة والركاكة ، والاساليب « البهلوانية » احيانا ، واصطناع الحذلقة احيانا اخرى ، فرارا من مسؤولية التعبير الجريء الحر . غير ان ما هو اشد خطرا في مثل هذا التنصل يكمن في تجاهل الشرط التاريخي الوحيد الذي يفرضه المناخ الثقافي الراهن ، نقطة انطلاق اساسية في حرية العمل الادبي والتزام المصير القومي في آن واحد ، انه لابد من التعبير عن شيء من الايمان العميق بأن هذا المناخ يحمل روح الثورة قبل كل شيء ، وانه لاحوار في قضية الثورة ، ولا مكان لايةوجهة نظر ترفض رؤية المعاناة الجماهيرية في حركتها التاريخية ، او تمنح نفسها حرية الاختيار في اتخاذ موقف محايد ، الا اذا كان هذا الموقف محاولة لتجريد العمل الادبي من محتواه الانساني ومن بنيته الحية المتجددة في آن واحد ..

ان اقحام « الثورة » بمفرداتها المتشعبة في مثل هذا الحوار الثقافي المحض كثيرا ما يبدو نوعا من اصطناع الازمات الفكرية ، لا يخلو من فرض الوصاية على المرحلة او التعنت العقائدي ـ كما يردد الكثيرون ـ غير ان رفض الحوار التقليدي حول هذه القضايا ، هو الذي يحتم التأكيد على ما هو ثوري في كل مسألة ثقافية او ادبية مهما تكن جانبية او ثانوية ، فعن هذا التأكيد وحده ، تصدر ضرورة التمييز بين موقف الالتزام المصيري « الجاد » وبين الموقف الحائر الذي يوصف عادة بعدم الاكتراث . وليس هناك موقف ثالث . ومن ثم فان هناك صراعا حقيقيا ، وان لم تتحدد صيغته « العلمية » الواضحة وتتبلور عناصره وابعاده ، اما ان يكون العمل الادبي في الاتجاه التقدمي

المتحرر لحركة المجتمع المرحلية ، ومن ثم فهو طرف فى معركة ، واما يكون فى الاتجاه المغاير الذى لا نملك من وصفه « الاجتماعى » الا العبارة التى يستخدمها عادة فقه القانون فى ايجابيته الوضعية : وهى عبارة « السكنية » على انها نهاية المطاف فى تكوين القيم الاجتماعية ، بعد القيمتين الاساسيتين التقدم والعدالة ، وما يغنينا من هذا المفهوم القانونى العريق ، هو الموقف الانسانى الذى يمليه فى الحفاظ على التوازن الاجتماعى ، وقد يتجاوز هذا الموقف حدود التشريعات التى تحقق هذا التوازن ويبرز التناقض بين القوانين « الجائرة » والقيم الاجتماعية والاخلاقية التى تحمل تعبيرا اوسع عن شروط الحياة الانسانية « العادلة » ـ غير ان ذلك كله لا يلغى خطورة الروح السكونية » ـ اذا صح التعبير ـ فى مرحلة تتعثر فيها اسباب التقدم ويشوه وجه العدالة ، ويتلفت فيها الوجدان الجماهيرى ، بكل عفويته وشقائه ، الى منطلق حاسم للعمل ضد « السكونية » الاجتماعية الزائفة .

على هذا النحو ترسم اولى ملامح الثورة . وتلوح فى الوقت نفسه كل مغالطات العقلية « السكونية » وافتقارها الى الوعى التاريخى الحق ، فهى التى تتولى مساومة الواقع والاذعان لشروطه والدفاع عن اخطائه المزمنة ، فى حشد من معطيات الخنوع المتوارثة ، تحمل فيها الثورة كل سلبيات الرفض والعصيان والشغب والتمرد والتزمت العقائدى والهيجان القطيعى المتهيج ، الا انها ـ اى الثورة ـ تجسد وحدها ممارسة الحرية الانسانية فى خلق قيم جديدة وتكوين الانسان العربى المعاصر ، ولا مجال لاستعادة جميع المعطيات « الثورية » المألوفة فى هذا الصدد : ماذا يعنى التكوين الجديد بالقياس الى العمل الادبى ، وما الذى تغنيه الثورة ذاتها ، فى حركتها التاريخية ، وما هو الموقع الحقيقى المحدد للاديب العربى فى صيرورة الاحداث المتعاقبة ، غير انه لابد من التأكيد على ان ـ للادب والاديب معا ، قسطا كبيرا من ممارسة التجربة الثورية كما تحياها المرحلة قد يتجاوز حدود الدور المباشر الذى يلعبه المثقف او السياسى او المناضل العقائدى .. ان الممارسة العملية قد تقف بهؤلاء جميعا عند حدود القضايا المرحلية الراهنة التى تغدق عليها تناقضات « الحاضر » كل الوان الخطورة المصيرية والمبادرة السريعة الحاسمة ، مما قد يعزلها فى الغالب عن مسؤولية النظر فى وراثات الماضى ، ورؤية المستقبل . اما ارتباط العمل الادبى بما هو مصيرى فى المرحلة ، فانه يفترض فى « ثورية الاديب » ان تتمثل كل ما يمكن ان يمتد اليه وعى الوجدان القومى ، منذ ان ولدت الكلمة اداة للتعبير الفنى عن هذا الوجدان فى حساسيته الفنية ـ

وتطلعاته الاخلاقية ، الى ان تصدت لمهمتها الاكثر مسؤولية والابعد طموحا ، ان تسهم فى اعداد ارضية طليعية جديدة للمصائر الانسانية التى لم تتكون بعـــــد .

ومهما تكن عليه الثورة فى الاطار السياسى او الاجتماعى او العقائدى ، من رؤية بعيدة لهذه المصائر ، ومهما تكن صيغتها معنية بما ينبغى ان يبقى من التغييرات الحاسمة ، بعد الثورة ، فان صفتها المرحلية وكونها محـــض وسيلة للتحرر ، يفرضان عليها ابدا ، ان تستنجد بكل ما يمكـن ان يتجاوز المرحلة من الوان الوعى والمعرفة ، وصور التعبير عن الحقيقة الانسانية .

وفى هذه الامور جميعا ، يمارس العمل الادبى ــ والفنى بصورة عامـة ــ وظيفة الكشف الجرىء عن كل الجذور الدفينة فى الواقع « التاريخى » الذى تعمل الثورة على تعرية تناقضاته وتبديل بنيته الاجتماعية من الاساس بكل قيمها المنهارة فى الوصف المألوف للثورة « ان جميع الاسرار البشرية تصبح فى العراء ، وان من العار ان يتراجع الانسان امام اخطاء الماضى ومخازيه . ان المرحلة الثورية تلزم الجميع بالتصدى لمشقة الكفاح من اجل البديل . » قد يكون فى هذه العبارات التقريرية الدارجة ، كثير من اعلاء شأن العمل الادبى، من شأنه ان يؤكد الدور المزدوج للاديب : ان يحول الحقائق الانسانية التى تعريها الثورة الى قيم بديعية راسخة وان يكون مناضلا من اجل حرية التعبير فى الوقت نفسه . غير ان كل مـا يحملـه التأكيـد من لفظيـة حماسيـة ، فى واقعنا الراهن ، لا يزحزح الاديب العربى عن مكانه الطبيعى فى عمليـــة الثورة ، الا اذا اضطرته وصاية القيادة الثورية ، او تبعيته الطارئة للاندفاع الجماهيرى ، الى التخلى عن مهمته الاساسية فى ترسيخ القيم الجديدة فى الوجدان الجماعى .

فى مثل هذا التخلى تنعكس على موقف الاديب ونتاجه كل التناقضات التى تحملها قضية الحرية والالتزام ، وهى تشير جميعا الى منزلقات الثورية الكاذبة » فى التجربة الادبية . ان لا تكون اكثر من تحريض غوغـائى فى المناسبات المثيرة ، يصدر عما يدعونه عادة بالموقف البطولى .. أو ان تقتصر هذه الثورية على التعبير « البديعى » المصقول عن وقائع « الثورةباسمالتاريخ الحى او الرواية الاسطورية التى ترصد نماذج الصمود او التمرد او الايمان بقضية الثورة لا تستمد شرعيتها الا مما تقدم من اجل ما بعد الثورة ، من اجل ان يتكون الوجدان الجماهيرى المتبع الذى يقاوم فى حسم نهائى كـل

محاولة جديدة لاستلاب الانسان والعبث بمصير الامة ٠ واخطر ما يمكن ان تتعرض له « الممارسة الثورية » من انحراف ، انما يلوح به هـذا التسـاؤل العفوى : « ما الذى يتبقى من القيم الجديدة للاجيال القادمة ؟ ٠٠ » ٠

فى مثل هذه الارضية الصعبة ، يحمل الاديب العربى فى المرحلة الراهنة، كل الوان المعاناة ٠ ان شيئا من الحتمية التاريخية يفرض عليـه الانتماء الى الواقع « الثورى » فى حياة المجتمع ، الواقع « الثورى » الـذى تمثلـه ارادة الانسان الجماعية فى تغيير واقع آخر لم تبق من ملامحه الانسانية الا الانقاض وسواء استنجدت هذه الارادة بالكفاح السياسى الذى يتوجه الى انتزاع السلطة وممارستها فى تحقيق المنجزات السريعة او اخذت صورتها الاجتماعية فى تحالف طبقى جديد يمتلك بروحه التقدميه زمام المبادرة فى صراع طويل الامد وسواء كان للكلمة « الفنية » ــ وهى ذريعة الاديب ــ اثر فعـال مباشـر فى عمليات التغيير المرتقبة ، ام احتفظ بخصائص النخبة المتعالية التى تتوجه الى المستقبل الابعد ، فان الممارسة الحية للعمل الادبى الجاد ، تضع الاديب العربى فى مسـار التاريـخ الـذى يصنـع مـن جديـد ، قـد يكـون للانتمـاءات الجانبية فى حياته ، دور فى تكوين شخصيته الادبية او فيما يتاح لآثاره من الوصول الى الجماهير ، غير ان « حقيقته الفنية » بذاتها تمثل واقعا متحركا باتجاه التاريخ الجديد ، لا سبيل الى تجاهله او الحياد عنه ٠

لكى نتناول هذا الواقع فى معطياته المحسوسة الراهنة ، لابد من اشارة عابرة الى ما تعنيه هذه « الحقيقة الفنية » فى تاريخ الادب العـربى على نحـو خاص ، مادمنا نغامر بهذه المقولة : ان تكون تجربة الحرية الحقة لدى الاديب، متمثلة فى مثل هذا الالتزام الثورى» ، ان فى طبيعة الثورة منطلقا اولا هو معرفة الواقع على نحو يحدد معالم الحتمية والضرورة فى تغيراته جميعا ، ويجيز بالتالى **اين** تستطيع الارادة البشرية ان تمارس فعاليتها من اجل ماهومصيرى فى حياة الجميع ، ان الصفة المصيرية ٠٠ تحتم ان تكون هذه المعرفة ــ علـى ارتباطها بالحقائق العلمية والمنطلقات العقائدية ــ ذات طابع تقويمى واضح ، نسميه عادة « تبصر المستقبل » او « الرؤية الطليعية » الى العالـــم ٠ وفى هذه الصيغة يمكن ان تنحل كل معرفة الى شكل آخر للمعرفة ، من هو مـن قوانين السياسة مثلا يتحول الى حقائق علم الاجتماع ، واطراد العلاقـــات الاجتماعية ينحل الى شىء من الترابط الضرورى فى الظواهر العلمية ، الا ما يمثله وعى الفنان للحقيقة الانسانية ، وما يتاح له من صياغة هذا الوعى فى الاداء الفنى المبدع ٠

وعلى هذا النحو ففى كل مرحلة تاريخية من مراحل الانعطاف الجذرى الذى تمليه الثورة ، تبرز « المعرفة الفنية » او « البديعية » على انها الاطار الاوسع لممارسة الحرية الحقيقية ، على الرغم من ان الفكر العربى اصبح فى السنوات الاخيرة يقحم « ما هو مصيرى » فى كل مجال ، واصبح المفهوم نفسه فى شىء من الابتذال · ان المنطلق الطبيعى لفكرة المصير فى هذا الصدد ، هو اقرب الى التصورات العفوية الساذجة التى يمليها الوجدان الجماعى لاول وهلة ، بعيدا عن كل اجتهاد فكرى غائم او اطار عقائدى متسع الابعاد ، « ما هو مصيرى » فى مسائل الفكر والادب والفن ، يعنى ان الحقيقة الثقافية سواء تجسدت فى مسلمات الفكر ويقينه او فى اصالة العمل الادبى والابداع الفنى ، لا تعد حقيقة تاريخية حية ، الا اذا كانت **على صلة وثيقة مما يتبدل بمصائر الناس المعاصرين · وبمقدار ما تحمل هذه الصلة من التطلع الجرىء الى تغيير هؤلاء الناس ، او تكشف لديهم شيئا من ارادة التغيير الجذرى ، تكون الحقيقة فى مظاهرها المختلفة ، ذات طابع مصيرى** · من دون ذلك لامجال للحديث عن اى شكل من اشكال الالتزام الحقيقى ولاسيما فى نطاق الادب والفن · ان تجاهل هذا المنطلق البديهى البسيط ، قد غمر حياتنا الثقافية الراهنة بفيض من الوان المغالطة والتضليل ، ليس حول معنى الكلمة وما يتفرع عنها من المفردات الدارجة ، فحسب ، بل حول القضايا الاساسية للحياة الادبية والفنية ايضا ، ان يلتزم الاديب صناعته الفنية مثلا ! او يلتزم المعاناة التى تتيح له ان يبدع عملا فنيا ذا طابع انسانى شامل ! او يلتزم الحفاظ على اصالة التراث فى « نتاج » شامخ يمكن ان يندرج فى تقاليد هذا التراث ! ·· او يلتزم التجديد فى الاداء الفنى عن طريق الاخذ بروح الحداثة فى انضج تجاربها والاستجابة لتقنية الفن المعاصرة ! ·· صور لانهاية لها من مواقف الالتزام ، تملك كل شرعيتها ومسوغاتها على الصعيد الثقافى المحض ، غير انها ليست فى النهاية الا تعبيرا واضحا عن التقهقر امام مسؤولية الالتزام الحقيقى الجاد بالمرحلة التاريخية الراهنة · فى مثل هذه المسؤولية ينطلق الاديب او الفنان من التساؤل العفوى الصادق الذى تمليه المرحلة ذاتها بكل ما فيها من اشكال التناقض والمعاناة : **هل يملك العمل الادبى ان ينفصل عما هو مصيرى فى واقع التجربة** الانسانية كما يعانيها الآخرون ، ولا سيما ان هؤلاء الآخرين ، ينحسرون جيلا بعد جيل ، عن قوى بشرية جديدة ، تمنحها الاحداث المتلاحقة ، ملامح شتى عن هوية تاريخية صارمة تتجمع كل عناصرها حول محور واحد هو ارادة الثورة فى ابعادها المختلفة ؟ وسواء اخذت هذه الملامح صيغة الكيان القومى المتحفز الذى يستنجد بوعى

الماضى العربى وتراثه البعيد ـ والصمود امام تحديات الواقع ، وشعار النضال المصيرى الواحد ، او كانت الصيغة فى وعى الاستغلال الطبقى والاستلاب « اللانسانى » الذى يقوم على انقاضه كل بناء اشتراكى راسخ او اقتصرت هذه الصيغة على الافكار الثورية وما تفرضه على الجماهير من الشعارات التحررية ، فان اول مظهر للتحولات الجذرية فى الواقع العربى ، يتمثل فى انحسار الطابع القطيعى ، الفارق فى الاذعان والتبعية واذا كان باستطاعة الاديب ان يفصل بين موقفه السياسى او العقائدى او باحدى هذه الصيغ او سواها فى التعبير عن استجابته لحركة الواقع « الديناميكية » كمن يؤكد صفة المعاصرة ومعايشة الآخرين ، فى شخصيته الادبية،فانه لا يستطيع ان يتجاهل ارتباط العمل الادبى حتى فى بنائه الفنى المحض ، بكل ما تحمله المرحلة فى واقعها الجماهيرى ، من مثل هذا الانحسار الذى يمثل الخطوة الاولى فى عمليات التحرر الذاتية للحياة العربية ٠

تبدو هذه الحقيقة لاول وهلة ، بصفتها التقريرية الصارخة ، وكأنها دفاع عن واقعنا الادبى كله ، فاذا كان هناك ثمة انفصال بين شخصية الاديب التى يمكن ان تأخذ بكل اشكال الالتزام السياسى او العقائدى ، وبين عمله الادبى الذى لا يحمل خصائصه الفنية الا لارتباطه بحركة التحرر العامة فان الاديب فى حل من اى التزام مصيرى ، بل ان تاريخ ادبنا الحديث ليلوح فى كثير من محاولات « التقييم » التقليدية المألوفة ، ان مثل هذا الالتزام قد يفسد العمل الادبى ذاته ، لا لأنه يقوم على قسر « الصناعة الادبية » ـ اذا صح التعبير ـ للغائية السياسية أو العقائدية ، فى حين تشترط هذه الصناعة تحرر الوجدان من اجل الغائية الفنية وحدها بل لأن « ما هو مصيرى » يحتم ايضا ان يكون التقييم الفنى نفسه فى ابعد حدود الصراحة : ان يطالب ابدا بالاعمال الاصلية المبدعة ، والنتاج الذى يتسع لما تحمله القضايا المصيريةعادة من الطابع العالمى للتطلعات الانسانية ، وفى جميع الاحوال ، يجابه الاديب العربى ازمة الاعتراف بجداراته الحقيقية فى كل مرحلة ، اذا كان التزامه العمل الفنى المحض معبرا عن تفتح الوعى الثقافى فى المرحلة ، فلماذا لا يكون للكلمة دورها التحررى المباشر فى تحريك الجماهير ؟ ٠ لقد اصبح هذا التساؤل الصارخ مألوفا فى حياتنا الادبية ، غير انه ، مع هذا ، لم يأخذ ابعاده التاريخية الحقة ، بل ان الكثرة من الادباء يرونه دخيلا على قضية الأدب وكثيرا ما يعزى الى الحماسة الطارئة ، لدى الاجيال الناشئة فى تأثرهاالتلقائى بتجارب الثورات التحررية او البناء الاشتراكى فى كثير من اقطار العالم ٠٠ ماذا تستطيع الكلمة فى غمرة الصراع المرير من اجل تحرر الوطن ، وثورة

المجتمع على نفسه فى شؤون الحياة الاساسية ، التخلف والجوع والبنية « القطيعية » للجماعات العربية ، وتناقضات السلطة ؟ .. اليس هذا الصراع مهما تتعدد الوانه ، ذا طابع سياسى محض ؟ . وطوال عصور الانحطاط كانت التقاليد « الادبية » تحذر من تعاطى السياسة ، لانها مهلكة للكاتب . قد يكون التحذير مشروعا فى مراحل الاصابة الاستبدادية الجاهلة التى كانت تفرضها سلطة اوكلت نفسها برعاية التناقضات وخلق المناخ الملائم لاستمرار الانهيار والسقوط ، بما فيها من ادانة للغة القومية السليمة ، والادب والفن ، والنظر اليها جميعا على انها اما ان تكون فى خدمة الواقع المتعفن واما ان لا تكون ، غير ان كل تلك المراحل ، لم تكن الا فترات انقطاع متعاقبة عن تاريخ الادب العربى ذاته ، ان ما اصبح من السياسة فى العصور المتأخرة لهذا التاريخ ، كان فى العصور المزدهرة من اكثر التقاليد عنفوانا واصالة : ان تكون الكلمة حتى فى ارهف ادائها الفنى المحض ـ تجسيدا لوجدان الامة ، ورؤية جديدة للمستقبل ان الشاعر الجاهلى مثلا لم يكن صدى لتجارب القبيلة ، ولم يكن القرآن وسيلة سحرية للايمان ، حتى قصائد الفخر والمديح والرثاء فى العصور التالية لم تكن وسائل تعبير عن مشاركة المشاعر الانسانية ، بل كانت « العبارة تلعربية » ، فى صياغتها الفنية الواعية ، عملية بناء مصيرى جاد ، ليس فى الحياة العربية فحسب ، بل فى سياق التراث الحضارى للانسانية كلها .

فى مثل هذا المنعطف تقف حياتنا الادبية المعاصرة ، منذ ان قدر للاديب ان يعايش شيئا من مصائر الآخرين ، وبدأ يشعر بأنه قد يملك الحرية المطلقة فى اختيار اى موقف من المجتمع والحياة والعصر ، ولكنه لا يملك حرية التصرف بمصيره الثقافى : ان يتراجع عن كونه شاعرا او قاصا او روائيا ، فى هذه الحقبة من تجارب المجتمع الذى يعيش فيه ، وخلال الوضع الثقافى الراهن بكل ما فيه من مظاهر الاضطراب والضياع او ما ينطوى عليه من التماسك والنزوع الى التفتح والازدهار .

ان ما يحدد الجدارة الحقيقية للاديب العربى هو هذا الارتباط الوثيق بين تجربته الفنية وبين ما يمكن ان تعنيه فى صنع المصير الثقافى للمرحلة التاريخية ، وسيان فى هذا السبيل كان مؤمنا بأنها مرحلة انبعاث وتجدد ، وان له دورا مجديا فى رسم ملامحها الطليعية او كان ممعنا فى السلبية امام مظاهر الصراع فى الواقع الحى ، يرفض الاعتراف بأن فى هذا الصراع شيئا حاسما فى صيرورة المجتمع ومصائر الآخرين .

وعلى الرغم من جميع التطلعات الايجابية المتفائلة التى تحشد للتعبير عنها جميع المفردات « التحررية » المعاصرة ، منذ عشرينات هذاالقرن ، فان تاريخنا الادبى الحديث ، ما يزال بحذو اليقظة القومية الممتدة حتى منتصف القرن الماضى ، يخضع لكثير من الاوهام فى تقييم المراحل المتعاقبة • ان المفهوم التقليدى القديم للسياسة كما يقحم فى قضية الادب ، هو احد هذه الاوهام الكبيرة ، ليس من السهل ان ننظر الى الالتزام السياسى فى حياة الاديب العربى خلال هذه المراحل ، نظرة تقويم مصيرى ــ اذا صح التعبير ــ ان نعزز الادباء فى لوائح الصراع الاجتماعى والعقائدى (الرجعية والتقدمية ، اليمينية والثورية ، التقليدية والطيعية •• الخ) ، ما دام تاريخ الادب نفسه ، ينطلق من مسلمة اساسية هى انها جميعا مراحل تكون واختمار ، وان بداياتها فى كل جيل ، ما تزال تحمل شعار ترويض اللغة العربية على استيعاب التجربة المعاصرة ، او اكتشاف سبيل الاداء الفنى فى بنيته السليمة • لقد كان هذا المنطلق ، وما يزال ، على صلة عميقة بالتجربة السياسية فى اطارها القومى العام • ومن خلال هذا الاطار ، ما يزال الجيل التقليدى مثلا فى العشرينات حتى الخمسينات يضم العديد من الرواد الحقيقيين فى هذا المجال رغم كل ما يحملون من التعثر والتناقض والارتباك ، فى انتماءاتهم السياسية ففى سنوات الاحتلال مثلا ، كان الشعر العربى كله يرسم بالكلمة صورة الوطن المتحرز ، والكفاح البطولى من اجله ، قبل ان يتكون حتى مفهوم « المواطن » الذى يملك شرعية الانتقال من بنية الرعية القطيعية الى بنية الكائن السياسى •• المعاصر • وكان هم « الاداء » فى المقالة والقصة والرواية والمسرحية ، مثقلا بالتزاماته الشاقة امام الوجدان الجماعى ، فكيف يتاح للعبارة العربية بنيتها اللفظية الموشاة بالحذلقة والالتباس او بركاكة تعبيرها العامى المبتذل ، ان تحمل شيئا ــ من صفاء المشاركة الوجدانية الحية بين تجربة الاديب ووعى الآخرين ، ان تصبح من واقع الاتصال الانسانى والقومى بعد ان كانت اشارة مبهمة ، او اداة تحريض غائم ••

على هذا النحو تحمل الريادة لدى كل جيل تقليدى فى النصف الاول من هذا القرن ، شيئا من ملامح الالتزام الجاد لا يمكن الا ان يوصف بالمعاصرة والتجديد ، ما دام يهدف تلقائيا الى ان تصبح البنية التقليدية للتراث اللغوى اكثر مرونة فى التعبير وأقرب الى حرارة التجربة المعاصرة •

من هذه الوجهة وحدها يمكن الحديث عن اوائل الرواد ليس بين ممثلى الجيل التقليدى فحسب ، بل فى التجربة الادبية لكل مرحلة تالية ايضا •

فى نصيحة لاحد النحاة القدامى : « وانظر كيف اصبحوا يقولون ماذا يريدون ، لكى تعرف كم قصروا عن الاوائل ، وهل سبقوهم فى الكلام البليغ ؟ » .. منذ ان يوضع الاداء فى سياقه التاريخى ، وهو المنطلق الاول لكل تقييم ادبى جاد ، يبدو المضمون - رغم ارتباطه بقوة البيان - عنصرا ثانويا ، ولا سيما حين يكتنف الالتباس ما فى تجربة الاديب من اصالة « ذاتية » ، أو وعى فنى عميق يضع نتاجه فى المستوى الانسانى **الشامل** . بل ان مثل هذا الالتباس يمثل الآن ازمة النتاج العربى الحديث كله ، فاذا كان من السهل ان نتبين فيه التأثر البعيد بالتراث الادبى القديم وهو مصدر ادانة لجيل المقلدين حتى الثلاثينات ، فان التلقى المعنوى لتجارب التراث العالمى ، يمنع كل تمييز تقييمى واضح لما هو من شخصية الاديب الفنية ، ومظاهر ابداعه . وكثيرا ما تلوح فى هذا التلقى ظاهرة التسرب الحضارى الذى يفرض مبدأ الهيمنة والاذعان : ما هو ضحل مهلهل فى التجربة ، يذعن بالضرورة لما هو اعمق وعيا واغنى فى التعبير عن المعاصرة . واذا كانت هذه الظاهرة طبيعية فى انضاج العمل الادبى ، فان من سلبياتها الخطيرة الا يتجاوز هذا التلقى حد التأثر الذى قد تقتضيه المشاركة الوجدانية ، أو الاستيحاء اوالاقتباس المتواضع الى تقمص التجربة وادعاء معاناتها وصياغتها الفنية على نحو او آخر . مظهر صارخ - للاستلاب فى حياة الاديب العربى : ان يكون حتى فى وجدانه الفنى اداة للتعبير عما هو من ثمار الابداع لدى الآخرين ، اذا تجاوزنا الصورة الهزلية لهذا المظهر الذى يعد فيه حتى الناشئة ، اكليل العبقرية سلفا لمن اجل ما لم يكتبوا بعد ، فان هناك وجها اليما لا يخلو من عنصر المأساة والرثاء ، ان الاديب المستلب فى هذا المجال ، لا يقتصر على التخلى الطواعى عن بدائيته وسذاجته العفوية فى ممارسة الادب ، وقد يكون فيها الكثير من نفحات الصدق والموهبة ، بل انه يقوم بالدور المحزن لكل بهلوان دعى ، يحمل جسده فوق طاقته من جهد الحركات ، لكى يتسع له مكان فى العرض الكبير ، وينتزع اعتراف الجماهير .

اذا كان المضمون على هذا النحو من الالتباس فى « تقييم » الاثر الادبى ، بالقياس الى الوضوح الذى ينطوى عليه تقييم الاداء ، والشكل الفنى ، فى ارتباطهما بالمرحلة التاريخية من حياة العمل الادبى واستجابتهما الحتمية لتطور الوعى الجماعى فى تذوق الادب ، فان هناك جانبا مشرفا فى كل مضمون ، يكاد ان يكون خاليا من الارتباك والغموض ، وهو الموقف الفكرى للاديب من مسألة الحرية والالتزام ، فى هذا الموقف تكمن الصلة التاريخية

بين « فنية » العمل الادبى وبين ما تمثله شخصية الاديب فى تفتح الوجدان الجماهيرى من هذه الناحية ، وفى انغلاقه ايضا ٠

ان « تاريخية » الاداء تحمل لنا صورة واضحة للتجدد المستمر ٠ من كان وشيا فى القرن التاسع عشر ، معبرا عن موقف سلبى محض من قدرة الاداء التقليدى على امتلاك تجربة الحرية ، يصبح منذ اوائل القرن العشرين معاناة ادبية جادة تعبر عن موقف ايجابى مناقض ، لا يؤمن بدور الكلمة العربية فى شؤون الحياة فحسب ، بل يجد نفسه ملزوما بقفزة نوعية فى ممارسة الانبعاث الادبى : اصبح الامر لا يتوقف على ترويض اللغة واصطفاء ما يصلح من بنيتها المتوارثة فى حياة العصر ، بل ان مفهوم الانبعاث يتجاوز كل ذلك ، الى استعادة الكثير من مضمون التراث نفسه ٠ حيث تبدأ محاولات التجديد ، يبدأ البحث عن الجذور الدفينة ٠ هذا ما تمليه حركة التاريخ الذاتية فى نطاق العمل الادبى ، وسواء رجعت هذه الجذور الى العروبة والاسلام ، او اوغلت فى ينابيع الحضارات « الاثرية » البعيدة ، فان صنيعة الانبعاث ، فى اطارها الثقافى المحض ، هى ذاتها فى كل موقف ٠

والسؤال نفسه يبقى مطروحا فى صدد البحث عن هوية « متميزة » لكل مرحلة ادبية جديدة : ما اصبح يعوق البناء الجديد للثقافة العربية لانه من تركة الماضى المندثر ، وما احتفظ بقدرته الخلاقة على توطيد هذا البناء !٠٠

ومع ان هذا التساؤل العفوى المألوف يحمل على الصعيد الادبى كثيرا من عناصر جوابه الحاسم ، فان هناك مواقف فكرية « دخيلة » على طبيعة الادب ، تحيطه بالكثير من الاوهام ولا سيما ان ما يوصف بانه دخيل فى الموقف يمكن ان يحتوى كل ما يتنكر « لتاريخية » الواقع الادبى ــ اذا صح التعبير ــ اى علاقته الوثيقة بتغيرات المجتمع والحركة الذاتية للمرحلة ٠

ان مثل هذا التنكر بما ينطوى عليه من الفرار امام تناقضات الواقع ، والافتقار الى الرؤية الموضوعية الواضحة ، هو اول مظهر لهذه الاوهام ، ان فى طبيعة العمل الادبى شيئا اسطوريا تمليه الممارسة الفعلية للحرية من خلال التجربة الفنية ٠

ومهما تكن عليه بواعث العمل الادبى وشروطه واهدافه ، فانه ليس فى نهاية المطاف الا ما ينبغى ان يقال فى التعبير عن تحرر الوجدان وتطلعه الى رؤى جديدة لمسائل الحياة ٠

ان هذا الذى « ينبغى ان يقال » هو النسيج الحقيقى فى الاثر الادبى لا لان الاديب لا يملك اى التزام آخر فى تجسيد حريته فحسب ، بل لان ما ينبغى له ١٠٠ايضا ، يعبر بالضرورة عن مرحلة من التحرر فى الوجدان الجماعى ٠٠ انها صورة لالتزام آخر لا بد منه تجاه الآخرين ، بل انه كثيرا ما يحدو وحده حقيقة الحرية فى تجربة الاديب ، ان يتحرك العمل الفنى لديه على ارضية انسانية يمكن ان تضم مصائر الجميع ، وفى كلا الحالين من الالتزام ترتسم ملامح الشىء « الاسطورى » فى العمل الادبى ، شىء خارج الزمن يفرض وجوده على الحقيقة الانسانية فى كل جيل « لانه يمتلك من ناحية وسيلة خرجت على الزمن هى اللغة بنيانها المتماسك الصاق فى صيغة عبر الاجيال ، ولانه يرفض من ناحية ثانية ، كل تبعية زمنية تفرضها المرحلة ، وتجعل الاديب فيها اداة اتصال ثقافى لا اكثر ، تنتهى مهمته بانتهاء الدور الذى حدد له فى حقبة معينة ٠

لكى يؤكد الاديب العربى موقعه المتميز فى جماعات كبلتهاالعصور،بارتباك الآداء والجمها القهر عن التعامل مع لغتها القومية الصريحة،ولكى يعبر عن رفضه الا يكون اكثر من متعلم او مثقف عادى ، فانه يجد نفسه مضطرا الى التعلق بوهم الشىء الذى يتخطى الواقع بكل تقويماته النسبية ، لكى يضاف بشخصيته الادبية « المنفردة » ونتاجه الذى يجسد وعى المرحلة ، الى حلقات التراث الجديرة بالبقاء والخلود ٠

من خلال هذا الوهم تبرز كل المعايير المطلقة فى التقييم الفنى ، ويلتبس المعنى الحقيقى للحرية بشتى المفاهيم « الغيبية » لما يوصف بعملية التحرر ٠ فى هذه التعابير مثلا ، يتجاوز الموقف الفكرى تقييم العمل الادبى فى جوانبه البديعية « الجزئية » (المعانى المبتكرة ، وأشكال الاداء الجديدة) الى التأكيد على الشخصية الفنية « الفذة » التى تكمن وراء الاثر واخطرها فى مثل هذا التأكيد ان يعنى ان المرحلة «التاريخية» كلها يمكن ان توجز بكاتب فذ (شاعر او قاص او روائى) ينبغى ان يدور الجميع فى فلكه وهو ما يحدث فى واقعنا الادبى حين نرى النقد كله يلهث وراء مثل هذا النموذج ، فى حين يؤكد الجميع ان الخشصية الادبية التى يقدر لها ان تطبع اية مرحلة ، لم تظهر بعد انها ما تزال تعطى الكثير من الجودة والتعثر معا ، فى انتظار الموسم الكبير

وعليها ان تكتفي من « التقييم » ما يتناول نفحة الاصالة في نتاجها ، بين حين وآخر لا ما يحاول ان يكتشف فيها كل الملامح النهائية لتجزئة فنية اصيلة.

وهم آخر يتفرع عن مثل هذا « التقييم » المصطنع ، هو الذي يتناول «حرية التعبير » بذاتها . ان المعايير نفسها تفرض على الكثير من مواقفنا الفكرية .

وإن في صدد هذه الحرية، نوعا من الالتباس المماثل واللفظية القائمة، ليست الحرية شرطا انسانيا لتكون الشخصية الادبية ، وممارسة الابداع في العمل الفني فحسب ، بل هي ايضا منح الاديب حق الاصابة المطلقة على الوجدان الجماعي ، وبالتالي على كل المصير الثقافي للآخرين ، هذا ما نطالب منذ البداية . وسواء تناولت هذه المطالبة منح الحق او استرداده او الاعتراف بشرعيته ، فانها تتوجه في الغالب الى واقع سياسي او اجتماعي يقوم على شيء من الاستبداد والقهر . وما دام كل واقع من هذا القبيل ، ذا طابع مرحلي يزدحم بصراع التناقضات ، فان مسألة الحرية على الصعيد الادبي ، تبقى مسألة معلقة ، شأنها في ذلك شأن الحقوق السياسية في حياة الشعب ، مهما اتيح لها ان تمارس فعليا ، فانها تلبث تابعة « للقضايا المطروحة ، ان قضية البطالة مثلا هي التي تطرح حرية المطالبة بحق العمل . وعلى هذا النحو فان حرية التعبير تتبع ايضا حق الكاتب في ان يقول كلمته الصادقة في « ازمة » نظام سياسي معين ، او في مأساة تعانيها العاطفة البشرية او في مأزق قومي . ان الحرية في هذا المجال لا تعني ان يقول الاديب شيئا باسم الالتزام الادبي الذي تفرضه معايشة الواقع البشري في معاناته الصارخة ، بل هي تعني ان رؤية جديدة قد تكونت لدى الاديب ، لا بد من ان تقال على نحو ما لا لأن ذلك شيء من طبيعة العمل الادبي الحي فحسب ، بل لان ما « لابد من قوله » يجب ان يصبح من التقاليد الثقافية الراسخة في المرحلة .

ان وهم الحرية يفترض النقيض . انه لا يكتفي بتجاوز القضايا الانسانية او القومية في منعطفاتها التاريخية ، والمطالبة بالوصاية الشاملة ، بل يضع الاديب في موقف السيد « القديم » في تاريخ العلاقات البشرية ، فلكي يمتلك معنى وجوده ، ينبغي ان تتوفر له اولا كل شروط « السعادة » وفي طليعتها ان تناط به جميع المصائر . هكذا يقفز الاديب بروح اسطورية خارقة ، من موقع الكائن الاجتماعي البسيط الذي يكفيه ان يعترف الآخرون بجدارته المرحلية وبأن وظيفته الثقافية هي عنصر لابد منه في عملية التغيير ، الى موقع الشخصية الانسانية المتميزة التي تشترط مسبقا كل ما يمنحها الخصائص الفوقية في اداء رسالتها الفنية .

يكثر الحديث فى هذا الموقف عن الازدواج فى شخصية الاديب العربى ، على انه يحمل قضية الادب ويلتزم قضيته السياسية فى آن واحد ، وتكاد ان تكون هذه الظاهرة ، طابع الحياة الادبية منذ اقدم العهود بل انها كانت من مظاهر الصدق والاصالة فى تجارب الشعراء الجاهليين الاوائل ، حين كان الشاعر صوت الجماعة القبلية ، او كانت الفردية الجامحة تحفزه الى التزام احدى قضايا الحياة الكبرى فى تحدى القوى الخارجية التى تمارسها السلطة السياسية فى هذا العصر ، غير ان مثل هذا الازدواج لا يملك فى اية مرحلة معاصرة ، صيغته المصيرية القديمة ، « الادب ـ القضية » ٠

لقد احتفظ الادب بكيانه الفنى ، اما القضية فقد تحولت الى سلسلة لا نهاية لها من المواقف السياسية والانتماءات كلها تستغرق من تجربة الاديب اكثر من التدليل على صلته بواقع الآخرين ، ان لم تكن ذريعة مألوفة لاشهاد الجمهور ٠ اكثر مظاهر الالتزام ريبة ورياء ، واشدها بعدا عن الحرية الحقيقية ٠٠ هذا اذا كان بمقدورنا ان نورد مفهومى « الالتزام » و « الحرية » فى هذا اللون من تبعية الكاتب للجماهير ، كما تعبر عنها ذرائعية الرواج التجارى فى السنوات الاخيرة ٠

لا سبيل الى تتبع جميع التناقضات المماثلة التى تتفرع عن وهم « الروح الاسطورية » فى شخصية الاديب العربى المعاصر ، واعماله الفنية ، وحرياته « الخيالية » والتزاماته النظرية ، غير ان الرؤية الموضوعية لموقعه الاجتماعى الراهن ، وتارخية واقعه الادبى يكشف عن الصيغة الاساسية لازمته الحقيقية مع الحرية والالتزام ٠

لكى نتبين هذه الرؤية فى وضوح ، لابد من اعادة النظر فى الكثير من التساؤلات المألوفة الدارجة فى صدد الحرية خلال ممارستها الحية ، وما يمكن ان يتمخض عنه طابعها التاريخى هذا ، من اشكال الالتزام ٠

« الحرية لمن ؟ ولماذا ؟ » هذا هو التساؤل الاول ، وقد اصبح فى السنوات الاخيرة جوابا فى حد ذاته ، لا يخلو من التحديد الحاسم الذى يرسم للاديب الجدير بالحرية كل ملامحه الطبقية والنضالية والعقائدية ٠٠ الخ ، مثلما يعطى صورة تكاد ان تكون نهائية عن دوره «التاريخى» فى تغيرات المرحلة٠ ومع ان الجواب السلبية هى التى تبرز غالبا فى تلك الملامح وهذا الدور ، ما دامت عملية التمرد على الواقع الادبى التغير فى خطوات التكون الاولى ، فان هناك مسلمات فى نظرية « حرية الاديب » ، هذه لاسبيل فيها الى النقاش والجدل

« لا لانها اصبحت تهيمن على حياتنا الادبية فحسب ، بل لان ما هو ايجابي في موقف الاديب حتى من عمله الفني ، انما تصنعه وتفرضه المرحلة الثقافية بصورة عامة ، بما تحمله من الوعي الفكري وهو في اوج ارتباطه بقضايا الانسان ، والتزامه الخط التقدمي المتحرر ٠ فمن الايجابية في هذه النظرة مثلا ان يتجاوز الاديب تعرية الجذور الدفينة لوراثات الانحطاط في الواقع « الراهن » بكل ما يؤدى ذلك الى ادانة السلفيات الجامدة مثلا والنضال من اجل المعاصرة ، لكى يجسد في نتاجه الفني ، شيئا مما يصبح دعامة للبناء الثقافي الجديد، غير ان هذا التجاوز كثير ما يكون عملا فكريا محضا، لا علاقة له بالنمو الطبيعي الناضج للحركة الادبية ٠ عندئذ يفرض المناخ الثقافي العام وحده ، جوابه الرادع : « الحرية للذين يكتبون عن الشعب في معاناته المريرة لشروط الواقع ، او للذين يرسمون بالقصة والرواية رؤية انسانية جديدة للحياة العربية ، ــ او للذين يصنعون ايقاعات شعرية صادقة للتجارب التي تحمل ارادة التحرر في الكفاح القومي والجدارة الانسانية والحس والاحساس الفني بالطبيعة وما الى ذلك ٠ والواضح ان صفة « الردع » في مثل هذا الجواب تتناول جميع الذين لاحرية لهم في الواقع ، ولا ينبغي ان تكون ، لانهم لا يتمثلون « ديناميكية » المرحلة ــ اذا صح التعبير ــ في الوعي الذي يتيح لالتزامهم الادبي على الاقل ، ان يوصف بحرية الاختيار ، غير ان هذه الحرية ــ وقد منحت للآخرين ــ لم تعط ثمارها الادبية الحقة بعد ٠ ان ما تفرضه من الالتزام لا يتعدى المخطط الثقافي الذي تمليه بوادر النضج والتنقح في المرحلة ، وليس في طبيعة اى مخطط من هذا القبيل ان يدرج في قاموسه مفردات التقييم المسبق للمواهب التي لم تعبر عن حقيقتها كما ينبغي او الآثار الادبية لم تولد بعد ٠

اذن لابد من المنطلق الآخر في التساؤل نفسه ، وهو اقرب الى التعبير عن « ديناميكية » المرحلة التاريخية : « الحرية » لماذا ؟٠ والواضح اننا لا نملك الا جوابا واحدا هو الذي تفرضه « الموضوعية » في النظر الى حقيقة « الكاتب العربي » ، ضمن الشروط المرحلية الراهنة ٠ ان ما يمثل هذه الحقيقة هو الدور المزدوج الذي تقوم به الكلمة العربية في التعبير عن وعى الوجدان العربي للتغيرات الجذرية تتمخض عنها تجارب الجماهير ٠ انه دور الكلمة بصرف النظر عن انتمائها الى كاتب او اديب او مذهب فني او موقف عقائدي وهو دور مزدوج لانه يمارس التزامه قضايا الواقع الثقافي ، من ناحيتين ،بناء الصيغة ، « المعاصرة » الجديدة ، لاداء اللغة العربية ، وامتلاك الرؤية المصيرية للواقع العربي عن طريق المعرفة الفنية ٠٠ وفي الحالين ، لابد من ان يكون

الاديب العربى قد عايش كل الشروط التى تتحكم بالواقع، بما فيها من اسباب التغيرات التقدمية الحاسمة، وما يثقل حركتها التاريخية أيضا من وراثات الماضى. وانحلال الاجيال الغابرة ، وسواء كانت هذه المعايشة من اجل الاسهام فى تكوين الوجدان « الثورى » الجديد ، او من اجل الاثر الادبى المحض ، فان كل ما يمكن ان توصف به من الحرارة والوعى والصدق ، انما يقاس بمقدار ما تستطيع المعرفة « البديعية » المتميزة ، على نحو خاص ، ان تكتشف مـن الجذور الدفينة لارادة التغيير فى تجارب الانسان العربى ، ان نتوجه باستمرار الى ما يمكن ان يصبح من جديد موضعا للتساؤل فى كل قضية انسانية كبرى ان ما تحمله الصياغة الادبية المشرقة من دفء الحياة ، وتغلغل الرؤية البديعية فى وجدان الآخرين ، لا يفهم الا من خلال هذا الحنين الازلى الى احتواء التجربة بكل ما تستنفد من ألوان المعاناة « المعاصرة » وما توحيه صياغتها الفنية من رؤى « جديدة » للوجدان البشرى عبر الاجيال .

صـدقى اسماعيـل
(ســوريــا)

مشكلات النشر والتوزيع

بقلم : منير البعلبكي

الكلام فى هذا الموضوع متسع ومتشعب ·

متسع لأن مجاله هو الثقافة نفسها ومشكلاته هى مشكـلات الثقـافة فى الوطن العربى ·

ومتشعب لانه ينتظم صنوفا من القضايا نادرا ما تندرج تحت موضوع مفرد او مبحث محدد ·

من اجل ذلك يحسن بنا ان نسارع الى القول ان هذا البحث لا يعدو أن يكون عجالة تلم مجرد المام ببعض اطراف الموضوع ، مع توكيد على الاصول دون الفروع ·

I ــ مشكـلات النشـر

ونبدأ بمشكلات النشر :

ــ 1 ــ

فى رأس هذه المشكلات مشكلة هزال كمية المطبوع من الكتاب الواحد ·

فمعدل المطبوع من الكتاب العربى اليوم يتراوح ، فى أحسن الحالات ، ما بين ثلاثة آلاف نسخة وخمسة آلاف نسخة ، ولا يستثنى من ذلك غير بعض الكتب المدرسية والدينية والجنسية والمعاجم ·

ومرد ذلك الى الأمية ، فى المقام الاول ، على تفاوت فى ذلك بين قطر عربى وآخر · وهنا يحسن التبسط بعض الشىء ·

ان عدد العرب الأحياء يبلغ نحوا من مئة مليون نسمة · وهو رقم ضخـم خليق به ان يحتل ، فى أيما جرد شامل لاعداد المواطنين فى بلدان المعمـور منزلة عالية جدا · فقليلة هى الامم التى يبلغ عدد ابنائها مئة مليون او يزيد ·

وهذه الامم هى على التوالى ، الأمة الصينية (759 مليونا) ، فالأمة الهندية (550 مليونـا) ، فالأمة الـروسية (242 مليونا) ، فالأمة الأميـركية (205 ملايين) ، فالأمـة الأنـدونيسية (121 مليونا) فالأمـة الباكستـانية (140 مليونا) ، فالأمة اليابانية (103 ملايين) اى ان الأمة العربية تجىء ، من حيث تعداد المواطنين ، فى المنزلة الثامنة بين أمم الأرض ...

هذا من ناحية . ومن ناحية ثانية فان عدد العرب الاحياء يبلغ ضعف عدد سكان فـرنسا (50 مليونا) ، وضعف عدد سكـان ايطاليـا (52 مليونا) ، وقريبا (*) من ضعف عدد سكان بريطانيا (55 مليونا) ، والمـانيا الغـربية (59 مليونا) .

ومحصل هذا كله اننا لا نشكو ، والحمد لله ، قلـة فى الأنفس ، ولكـن انتشار الأمية بنسبة ثمانين فى المئة بين العرب المعاصرين يهبط بجمهـور الكتاب العربى ، من وجهة نظر نظرية طبعا ، الى عشرين مليون قارىء ، أى الى قريب من عدد سكان رومانيا أو أثيوبيا .

فاذا اعتبرنا توزع اهتمامات هذا الجمهور ، الصغير نسبيا ، على مختلف موضوعات المعرفة ، وأضفنا الى هذا الواقع نوعا فريدا من الأمية هو أمية المثقفين ـ هذه الأمية التى تجعل متخرجى الكليات والجامعات ينقطعون عن المطالعة بعد نيلهم الشهادة الجامعية ـ أقول اذا اعتبرنا هذا كله لم يبق مجال للعجب من هبوط معدل المطبوع من الكتاب العربى الواحد الى المستوى الذى ذكرنـا .

والحق اننا لا نزال حتى فى الثلث الاخير من القرن العشرين أمة أمية ، وفى احسن الحالات ، أمة لا تقرأ . وان قراءنا هم فى الأعم الأغلب طلاب المدارس الابتدائية والثانوية وطلاب الجامعات . ومن أسف ان قطاعا كبيرا من هؤلاء لا يكادون يتقنون واحدة أو اكثر من اللغات الاجنبية حتى ينصرفوا عن مطالعة الكتب العربية الى مطالعة الكتب الانكليزية أو الفرنسية ، وبذلك نفقد جزءا جديدا من جمهور القراء المفترض ، من حيث خيل الينا اننا كسبناه ، ولعل مرد ذلك الى فقدان الثقة بالكلمة العربية المطبوعة ، سواء أكان الكتاب مؤلفا أو مترجما ، ولعل لهؤلاء المتحولين الى التثقف على الكتاب الاجنبى عذرهم لأن مؤلفينا ومترجمينا لم يعرفوا كيف يحتفظون بحسن ظنهم .

(*) الارقام مستقاة من كتاب العام الديموغرافى الذى تصدره الامم المتحدة .

ولسنا في حاجة الى القول ان هزال كمية المطبوع من الكتاب العربي الواحد يؤدي الى رفع كلفة انتاجه ، وبالتالي الى غلاء ثمنه ، والى تدني ارباح الناشرين وزهدهم في النشر الا اذا ضمنوا رواج الكتب ـ كأن يكون كتابا مدرسيا أو جامعيا مقررا أو مفروضا على الطلاب ـ كما يؤدي من ناحية ثانية الى هـزال فاضح في عائدات الكتاب ، وبالتالي الى زهدهم في التاليف والترجمة .

وخير علاج لهذه المشكلة الاولى ، من مشكلات النشر ، مكافحة الأمية في جدية صارمة حتى لا يبقى في العرب انسان واحد يجهل القراءة والكتابة ، وتنشئة الجيل الطالع على حب المطالعة ، وانما يكون ذلك بتخصيص ساعة او ساعتين من ساعات التدريس للمطالعة ـ وهي طريقة اتبعتها بنفسي يوم كنت مدرسا للغة والادب فآتت احسن النتائج ـ وبتعديل البرامج على نحو يخفف من نزعة الطلاب الى الاعتماد على الحفظ من غير فهم ، في اكثر الاحيان ، ويؤكد على الثقافة الصحيحة التي هي حصيلة المطالعة في المحل الاول . ولعـل من المفيد هنا ان نقترح ادراج مادة جديدة في الامتحانـات الـرسمية هي مـادة الثقافة العامة يكون الفوز فيها ثمرة من ثمرات المطالعة الحرة .

ولا يفوتنا هنا النص على ضرورة تعزيز المكتبات المدرسية بضروب الكتب المثقفة ، وباهداء المتفوقين من الطلاب مكتبات صغيرة تكون نوى لمكتبات منزلية محترمة . وقد قرأت في العدد الاخير من مجلة « العربي » ان حكومة الكويت درجت منذ فترة على اهداء هؤلاء المتفوقين خزائن للكتب تغريهم في نهاية المطاف بتزويدها بما يروق لهم من نتاج الفكر ، وهو تقليد صالح أتمنى ان تأخذ به وزارات التربية في اقطار العروبة كلها .

ليس هذا فحسب ، بل اني ارى كحل جزئي لهذه المشكلة ، ان تعنى هذه الوزارات بانشاء مكتبة عامة في كل مدينة او بلدة او قرية عربية ، وبانشاء المكتبات المتجولة التي تتيح للمواطنين مزيدا من امكانات القراءة والاطلاع على النتاج الحديث ، وان ترصد كل وزارة من وزارات التربية العربية اعتمادات سنوية لشراء عدد لا يقل عن المئتين من كل كتاب عربي جيـد تصـدره دور النشر ، وبذلك يتعود العربي المطالعة ، وتنتعش صناعة الكتاب ، وتتعاظم عائدات الكتاب والمؤلفين .

ـ 2 ـ

المشكلة الثانية من مشكلات النشر هي غيـاب النقـد الصحيـح . وهي ظاهرة مستجدة ، بمعنى انها لم تكن قائمة أو لم تكن على مثل هذه الحـدة ،

قبل ثلث قرن، يوم كان النقد يحيا عصره الذهبي مع العقاد والمازني وطه حسين وأمين الريحاني ومارون عبود، ويوم كانت المقالة النقدية قادرة على ان ترفع كاتبا وتخفض كاتبا .

كل ما عندنا اليوم لا يعدو ان يكون تقريظا مجاملا ، او تجريحا متحاملا ، او مجرد تعريف مبنى على ضرب من التلخيص المخل لمادة الكتاب ، او الاستعراض الجاف لفهرسته ، او الاستشهاد الخفيف بفقرات من مقدمته .

وهكذا يفتقد جمهور قرائنا المحدود من يدله على الكتاب الجيد فهو اشبه بالسابح الغر يتخبط فى خضم متلاطم الامواج من الكتب التى تقذفها اليه المطابع اسبوعا بعد اسبوع ان لم نقل يوما بعد يوم ، ويفتقد الناشرون من يقدم نتاجهم الى الجمهور فهم يضطرون ، فى كثير من الاحيان ، الى ان يكتبوا المقالات عن منشوراتهم باسماء مستعارة لتدرج فى المجلات الادبية والثقافية لأن هيئة التحرير فى كل منها لا تضم ناقدا بصيرا قادرا على تقييم الانتاج ، او لأن ميزانية كل منها تعجز عن تكليف ناقد ما ، لقاء اجر معين ، بوضع دراسة عن أثر من الآثار الفكرية .

ومن هنا تضيع المقاييس ويستوى الغث والسمين تحت باب « الكتب التى وصلت الى المجلة اخيرا » . فى حين تخصص الصحف والمجلات فى البلدان المسهمة فى العمل الحضارى صفحات بكاملها لدراسة ثمرات الفكر وتقييمها بموازين موضوعية تهدى الجمهور الى الكتب القيمة الجديرة بان ينفق عليها القارىء ماله ووقته . وقد بلغت ثقة الناس برأى الناقد ، فى تلك البلدان ، حدا أصبح معه مجرد التنويه بكتاب ما ، فى الصفحة الادبية من جريدة ، او فى باب النقد من مجلة ، شبه تكريس لذلك الكتاب ، وآية على جدارته باهتمام الناس . ولن يستقيم امر النشر عندنا الا حين تأخذ صحافتنا نفسها بالعناية بالنقد الموضوعى الصحيح وتجند له ابرع الاقلام واعمقها ثقافة . وعندئذ فقط يستيقن الناشر انه ان طالع الناس بكتاب بعيد الاثر فى حياة الجيل لم يمر هذا الكتاب مر السحاب من غير ان يشعر به احد ، وهو ما يحدث اليوم كل يوم تقريبا .

ـ 3 ـ

هذا الكلام المقتضب على غياب النقد يسلمنا الى المشكلة الثالثة ، من مشكلات النشر ، اعنى مشكلة الحرية ، لكأن الكتاب العربى لا يكفيه ضيق مجاله الحيوى ـ بسبب من أمية الأميين وأمية المثقفين ـ ولا يكفيه غياب الاقلام

المثقفة القادرة على تقييمه وتقديمه الى جمهور القراء حتى يصطدم بجدار غليظ من الرقابة حيث يبقى فى الادراج اسابيع ريثما يفرغ له الرقيب ، وحيث يحكم عليه بالاعدام ، فى بعض الاحوال ، من غير ان تتاح له فرصة الدفاع عن النفس ٠

فكم من كتاب منع فى هذا البلد العربى او ذاك بدعوى الثورية حينا ، وبدعوى الرجعية حينا ، وبدعوى المحافظة على الاخلاق او التعرض للنظام القائم احيانا او لمجرد ان الرقيب لم يفهم حقيقة مراميه او أساء فهم مراميه٠ وكثير ما يتردد الرقيب فى اصدار الحكم على كتاب ليعمد آخر الامر الى وضع العلامة الحمراء عليه ايثارا للعافية ٠ ذلك بان احدا من رؤساء الرقيب لن يناقشه اذا منع ، فى حين قد يفقد هذا الرقيب نفسه منصبه اذا تجرأ فأجاز٠

انا اعلم ان لكل بلد عربى وضعه الخاص وضروراته الخاصة ، وان بعض الكتب التى تصدر عن المطابع العربية ينطوى على ما يفسد الخلق او يسىء الى قضية النضال الوطنى ولكن الخطر يكمن دائما فى المغالاة فى استخدام هذا السلاح او فى استخدامه لادنى شبهة ٠ ولعل افضل علاج لهذه المشكلة ان يعهد بأمر الرقابة على الكتب الى اتحاد الكتاب فى كل بلد عربى فذلك أدعى الى الانصاف ، وأدنى الى الاصابة فى الحكم ٠ وقد كان من دواعى سرورى أن أعلم أن بعض البلدان العربية تفكر جديا فى القيام بهذه التجربة الرائدة٠

- 4 -

فاذا سلم الكتاب العربى من آثار أمية الأميين ، وأمية المثقفين ، وأمية بعض المسؤولين عن شؤون الرقابة وتمت له بذلك اسباب النجاح كلها ، لم يسلم من آفة مستحدثة ناشئة عن نجاحه بالذات ، هى آفة التزوير ، وتلك هى مشكلة النشر الرابعة ، ولعلها أدهى تلك المشكلات وأشدها مضاضة على النفس ، ومردها هذه المرة الى ضرب آخر من الأمية هو أمية الناشرين انفسهم ٠

وتفصيل الأمر ان فى عالم النشر اليوم فئة من الدخلاء ليس لها هم الا ان ترصد الكتب الصادرة عن دور النشر والطباعة ، فلا تكاد تتسامع بأن كتابا بعينه قد حظى ببعض الرواج حتى تعمد الى اصداره فى طبعة تجارية شائهة تطرد الطبعة الاصيلة من السوق كما تطرد العملة الرديئة العملة الجيدة ٠

وهذه الآفة تتخذ اشكالا متعددة . فاذا كان الكتاب الناجح مترجما عمد المزور الى شراء نسخة منه وأجرى على بعض كلماتها وفقراتها تعديلات يحاول فيها ان يوهم الناس بان صنيعه ذاك مجرد ترجمة جديدة يدفع بها الى الاسواق بنصف ثمن النسخة الاصلية أو أقل ... واذا كان الكتاب نسخة محققة عن أثر قديم أدخل على الحواشي والشروح تعديلات غبية تدمغ الكتاب بدمغة الرخص المعنوى والمادى .

حتى اذا ناقشته فى ما صنع اجابك بقوله ان الكتاب المترجم ليس ملكا شخصيا لك ولكنه جزء من التراث الانسانى ، وان النسخة الممسوخة من الطبعة المحققة هى قطعة من التراث العربى او الاسلامى الذى لا يجوز ان يكون حكرا لأحد — هذا اذا لم يلبس مسوح سدنة الثقافة الناذرين انفسهم لخدمتها فيزعم ان كل همه ان ييسر على الناس اقتناء الكتاب باضفاء الصفة الشعبية عليه ...

وهكذا تضيع جهود المترجمين الحقيقيين والمحققين الثقات،وتمتلىء الاسواق بما اصطلح على تسميته بكتب « الستوك » التى تحمل على العربات لتباع بسعر الكلفة تقريبا . وقد كان لهذا أثر بعيد فى تزهيد المترجمين بالترجمة ، والمحققين بالتحقيق ، والناشرين بالنشر ، وتلك نكسة اصيبت بها صناعة الكتاب فى السنوات الاخيرة الماضية على نحو لم يعرف له مثيل من قبل .

ولكن البلاء الاعظم يكون عندما يحلو لقرصان النشر هؤلاء كتاب من تأليفك او تحقيقك حظى برواج كبير او متوسط فيسارعون الى اقتناء نسخة منه ويدفعونها الى مطابع الاوفست لتخرجها طبق الاصل حاملة اسمك نفسه ، واسم دار النشر التى اخرجت كتابك ، وحتى تاريخ الطبع ايضا ، فى محاولة الى اخفاء الجريمة من طريق التقليد الكامل ، على طريقة مزورى الطوابع او العملة .

وعندى ان هؤلاء القرصان اخطر على المجتمع من اللصوص العاديين . فاللص العادى قد يقدم على السرقة سدا لحاجة ، او تفريجا لضيق مالى ، اما هؤلاء فانما يقترفون ما يقترفون طمعا فى مال حرام يجنونه من عرق المؤلفين — وقد لا يكون لهؤلاء المؤلفين موارد مالية غير مؤلفاتهم — او يختلسونه من نصيب الايتام الذين لم يخلف لهم آباؤهم غير هذه التركة الهزيلة يستعينون بها على العيش . والامثلة على ذلك كثيرة ، فقد زوروا كتب المنفلوطى ، وطه

حسين ، وتوفيق الحكيم ، وعبد الرزاق السنهورى ، ووصل بهم الامر اخيرا الى تزوير قاموس المنجد ومراجع اخرى عربية واجنبية ، والبقية على الطريق·

والذى أراه ، علاجا لهذه المشكلة ، ان يصار الى وضع تشريع خاص يحدد فيه مفهوم التزوير تحديدا واضحا ويعتبر فيه التزوير جريمة تستحق اقصى العقوبات ويقع تحت طائلتها لا المزور وحده بل طابع الكتاب المزور وبائعه على حد سواء · وان تعمد اتحادات الناشرين فى البلاد العربية الى التشهير بكل من تسول له نفسه السطو على افكار الآخرين أو على حقوقهم الادبية على الشكل القبيح ، وطرده من عضويتها ـ ان كان عضوا فيها ـ والى مقاطعة كل صاحب مكتبة يشترى او يروج أيما كتاب مزور أو يتعامل مع المزورين بأى شكل من اشكال التعامل ·

وقد درجت وزارة الاعلام السورية حديثا على خطة حميدة فى هذا الباب تقضى بعدم السماح بدخول أية شحنة من الكتب الى الاراضى السورية ما لم تكن مرفقة بفاتورة رسمية من الناشر الشرعى ، وبمصادرة كل شحنة يشتبه بانها صادرة عن « مصانع القرصنة » التى اتسع نشاطها فى الآونة الاخيرة اتساعا يهدد مستقبل النشر كله ، فى العالم العربى ، باعظم الاخطار ·

ـ 5 ـ

بقيت اخيرا مشكلة فوضى الترجمة واحياء التراث ·

اننا نعيش اليوم فى عصر نستطيع ان ندعوه عصر الترجمة ، ونحن فى هذا العصر محتاجون الى ترجمة روائع التراث الانسانى شرقيا كان هـذا التراث أم غربيا · وبدلا من أن تنظم حركة الترجمة وفقا لسلم قائم على اساس الاولويات نجد الناشرين يسارعون الى ترجمة كل كتاب يعتقدون انه جدير بان يعود عليهم بالربح العاجل ، ويتسابقون الى ترجمة الكتاب الواحد احيانا فتصدر منه طبعتان او ثلاث طبعات او اكثر ، على حين ان ترجمة واحدة جيدة تكفى ، وعلى حين ان خزائن التراث العالمى حافلة بالكتب التى لم يخطر لاحد حتى الآن ان ينقلها الى العربية ·

ولعل من ابرز اسباب هذه الفوضى ان بعض الناشرين يعمدون الى ترجمة الكتب من غير ان يستأذنوا اصحابها فى ذلك أو من غير أن يدفعوا اليهم بدل الترخيص بالترجمة · ولا شك فى ان البلية تكون أدهى وأمر حين يشتـرى

ناشر حق الترجمة ثم يفاجأ باكثر من ترجمة غير شرعية للكتاب نفسه ، فتكسد طبعته فى الاسواق ، ويضطر الى اللجوء الى القضاء ، وقد يلجئه ذلك من بعد الى اختصار الطريق فيصدر كتبه المترجمة من غير اذن او ترخيص • ومما يساعد على استشراء هذا الداء ان بعض البلدان العربية لم تلتزم حتى الآن باتفاقية برن ، فى حين ان بعضها الآخر التزم بتلك الاتفاقية ، مما يضيع على ناشر الترجمة الشرعية فرصة استعادة ما دفعه ، ويؤدى الى نشوء منافسة غير متكافئة بين ناشرى بلد عربى وناشرى بلد عربى آخر •

ومن حقنا ان نتمنى على البلدان العربية التى لم تلتزم حتى الآن باتفاقية برن أن تبادر الى توقيع هذه الاتفاقية ، وعندئذ يصبح كل نشر لأيما ترجمة غير مرخص بها عملا يقع تحت طائلة العقاب •

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية فاننا نعيش اليوم ايضا عصر احياء التراث العربى والاسلامى • واذا كان هذا الاحياء لا يحتاج الى ترخيص من احد فانه يحتاج على الاقل الى تنظيم • فالآثار العربية الجديرة بالنشر تعد بالآلاف ان لم نقل بعشراتها ، ومع ذلك فاننا نجد ان بعضها لم يحظ من الناشرين بأى اهتمام ، فى حين ان بعضها الآخر ، كالاغانى والعقد الفريد ونهج البلاغة وامثالها ، قد نشر غير مرة ، وفى ذلك مضيعة للجهد والوقت والمال •

وفى امكان دور النشر ان تتعاون على التخفيف من حدة هذه المشكلة عن طريق تبادل المعلومات عن الآثار التى تعتزم احياءها وبذلك تتجنب التورط فى اصدار طبعات مكررة للأثر الواحد وتنصرف الهمم الى بعث ما لم يسبق الى نشره من تراثنا العظيم وانا أقترح أن تعمد الدائرة الثقافية بالجامعة العربية ، أو اتحادات الكتاب فى مختلف البلدان العربية ، الى تنظيم جداول بكتب التراث التى نشرت وبتلك الجديرة بالنشر والتى لم تر النور من قبل ، ليستهدى بها المشتغلون فى هذا الجانب من جوانب العمل النشرى •

تلك هى ، بايجاز كلى ، ابرز المشكلات التى يعيشها الناشرون يوميا ، فلنقدم الآن الى الكلام على القسم الثانى من البحث وهو مشكلات التوزيع • ونظرا لضيق المجال نجتزىء بالاشارة الى ثلاث من هذه المشكلات يخيل الينا انها اكثر الحاحا واجدرها بالمعالجة فى هذه العجالة •

II ـ مشكلات التوزيع

ـ 1 ـ

ونبدأ بمشكلة القيود المفروضة على اخراج العملة ، وهى مشكلة يومية يكتوى بنارها جميع الناشرين والموزعين بلا استثناء .

هذه القيود نوعان : جزئى وكلى . فاما القيود الجزئية فهى تلك التى تحدد اخراج العملة مجرد تحديد من غير ان تحظره مرة واحدة . وانما يتم ذلك عن طريق منح الموزع اجازة سنوية او شهرية بمبلغ معين يحق له اخراجه من عملة البلاد شرط ان يثبت بما يقدمه من فواتير الاستيراد استخدامه هذا المبلغ فى شراء الكتب من مصادرها المختلفة . ومتى ذكرنا ان هذه « الكوتا » غالبا ما تكون هزيلة بحيث لا تغنى من جوع ادركنا ان مثل هذا التقييد خليق به ان يؤدى فى نهاية المطاف الى الحد من نشاط الموزع ، والى اكراهه على الاكتفاء بتغطية جانب ضئيل من حاجة السوق المحلية الى الكتب ، وبذلك تصاب الحركة الثقافية فى البلاد العربية بمثل الشلل النصفى ، ويحرم المثقفون كثيرا من المراجع التى لا غنية لهم عنها فى عملهم اليومى .

واما القيود الكلية فهى تلك التى تحظر اخراج العملة من بلد الى آخر كلما اتصل الامر بالكتاب والناشرين تحظيرا كاملا . فانت تستطيع ان تسوق منشوراتك فى بعض الاقطار العربية ولكنك لا تستطيع اخراج حصيلة مبيعاتك من تلك الاقطار . وليس عليك اذا رغبت فى الاستمرار فى التوزيع الا البحث عن وسيلة للافادة من تلك الحصيلة داخل حدود القطر نفسه ، أو السعى الى اخراجها بطرق ملتوية لا يرتاح اليها ذوو الضمائر الحية .

وتكون النتيجة الحتمية لهذا الوضع توزيع اقل نسبة ممكنة من الكتاب الجيد المهيأة له كل مؤهلات الانتشار ، او التعرض لشتى الاغراءات الى اخراج العملة بطرق يعاقب عليها القانون .

ولست أرى من حل لهذه المشكلة غير رفع القيود ، بصورة استثنائية ، عن اخراج العملة بحيث يتمكن الموزعون فى أى بلد عربى من طلب كل ما يحتاجون اليه من الكتب الصادرة فى أى بلد عربى آخر ، وبحيث يتمكن

الناشرون من الحصول على ناتج مبيعاتهم فى مختلف اقطار العروبة ٠ حتى اذا ثبت للسلطات المحلية ان ناشرا معينا او موزعا معينا اساء استخدام هذه الحرية فعندئذ يكون من حقها ان تعمد الى انذاره أولا ، ثم الى تطبيق احكام القانون عليه بعد ذلك ٠

- 2 -

ولننتقل الآن الى المشكلة الثانية من مشكلات التوزيع ٠ انها مشكلة حصر الاستيراد فى بعض الاقطار العربية بمؤسسة واحدة او شركة قومية واحدة٠ ويقتضينا الانصاف ان نشير ، بادىء ذى بدء ، الى ان هذه التجربة قد ساعدت على تنظيم العلاقة بين قطاعى النشر والتوزيع فحصرت التعامل بجهة واحدة يستطيع الناشرون الاطمئنان الى قدرتها على الوفاء بالتزاماتها المالية تجاههم ، فهم غير مضطرين ، بعد ، الى الطيران مرة كل فصل أو مرة كل سنة ، الى هذا القطر العربى أو ذاك ، لقبض حصيلة مبيعاتهم أو للتهديد باتخاذ الاجراءات القانونية لقبضها ٠

بيد ان لحصر الاستيراد بمؤسسة او شركة قومية واحدة محاذيره التى تحجب هذه الحسنة التى قدمنا بها للكلام على هذه المشكلة ٠ ذلك بان فى الحصر ، اولا ، تقييدا لحرية الكتاب ، وتمكينا لفئة لا تكاد تزيد على اصابع اليد الواحدة من التحكم فى مصائر الثقافة فى قطر بكامله ، فكم من كتاب جليل لم يصل الى بعض البلدان الآخذة بهذا النظام لمجرد ان المسؤول عن المؤسسة المعينة ارتأى انه غير نافع ، أو غير ضرورى ، أو غير مؤهل للرواج ٠٠٠٠ ولا نقول لانه ظن به شرا أو خشى منه عاقبة ٠

وبذلك يوصد الباب نهائيا فى وجه الكتاب ، ويحرم قطاع كبير من القراء من الاطلاع على أثر فكرى جديد كان خليقا بهم ان يفيدوا منه لو قدر لهم ان يتعرفوا اليه ٠

ومن محاذير هذا النظام ان المسؤولين فى المؤسسات المعنية كثيرا ما يتفردون فى تقرير العدد الذى ينبغى استيراده من كتاب ما ، بصرف النظر عن قانون العرض والطلب ، وبذلك يتحكمون فى مصير ذلك الكتاب ويحدون من امكانات رواجه وتسويقه ٠

ولعل اخطر محاذير هذا النظام انه يحكم « مزاج » المسؤولين عن المؤسسة المعنية لا بمصائر كتب بعينها ، بل بمصائر دور نشر بكاملها · فقد يغضب هؤلا المسؤولون ـ لسبب او لآخر ـ على دار من دور النشر فيحجمون عن التعامل معها احجاما كاملا أو يعمدون الى اهمالها على سبيل العقاب أو التأديب ، والمرء ـ وبخاصة اذا كان فى مركز المسؤولية ـ قادر على ان يضر وينفع ··

انها تجربة جديدة ، وربما فريدة ، فى العالم العربى ، ولقد نجحت فى بعض الاقطار ، وأخفقت فى بعض الاقطار ، وكلامنا عليها لا يستهدف التجريح بأى من المؤسسات المنبثقة عنها ـ كما لا نحتاج الى القول ـ خاصة وانها تبذل غاية الجهد لاجتناب هذه المزالق ·

ـ 3 ـ

بقيت المشكلة الاخيرة وهى فقدان شركات التوزيع ·

صحيح ان فى العالم العربى عددا من الشركات المتخصصة لتوزيع المطبوعات ، ولكن هذه الشركات تقصر نشاطها ، أو تكاد ، على توزيع الصحف والمجلات الدورية ، وقد كانت لبعضها تجربة سالفة فى حقل توزيع الكتاب ، ولكنها سرعان ما اغلقت هذا الباب مكتفية من الغنيمة بالاياب ·

من هنا ان كل دار من دور النشر تجد نفسها مضطرة اليوم الى توزيع كتبها بوسائلها الخاصة ، مستعينة على ذلك بوكيل او اكثر فى هذا القطر العربى أو ذاك · وما اكثر الاقطار العربية التى لم يصل اليها بعد نتاج كثير من دور النشر بسبب من هذا الوضع العجيب ·

والواقع اننا فى أمس الحاجة الى قيام الشركات المتخصصة بتوزيع الكتاب على نطاق الوطن العربى كله بحيث يصل الى أيدى القراء فى جميع المدن وجميع القرى · من الخليج الى المحيط ، كما تصل الصحيفة أو المجلة سواء بسواء ، ولسنا نشك فى ان ذلك خليق به اذا تم ، ان يدفع عجلة النشر والتوزيع اشواطا الى الامام ·

ليس هذا فحسب ، بل اننا فى أمس الحاجة الى قيام شركات قادرة على توزيع الكتاب العربى على نطاق عالمى ، بحيث يتوافر فى اميركا وافريقيا

وآسيا وفي كل مكان ، وبخاصة فى البلدان الاسـلامية التى تعتبـر سوقـا اساسية من اسواق الكتاب العربى ، ولكنها سوق لا تزال حتى هذه اللحظة مجهولة أو مهملة .

ولا ريب فى ان توزيع الكتاب العربى على مثل هذا النطاق العالمى لن يؤدى الى تحسين اوضاع الناشرين والمؤلفين فحسب ، بل انه سوف يؤدى ـ وهذا اهم ـ الى نشر الثقافة العربية ، قديما وحديثا ، فى الدنيا كلها ، وهو مطمح ينبغى ان يكون هما من هموم الدائرة الثقافية والاعلامية فى جامعة الـدول العـربية .

بقى ان نتقدم ، كحل لهذه المشكلة ، باقتراح يقضى بأن تتعاون كبريـات دور النشر العربية ، فى مختلف اقطار الوطن العـربى ، على انشاء شركـة توزيع عربية برأسمال ضخم تسهم فيه كل دار بما تستطيع وعندئذ يصبـح فى الامكان ايصال الكتاب العربى الى ارجاء الدنيـا الـواسعة ، ويصبح فى الامكان ايضا تبادل الانتاج من أيسر السبل فلا يعود التسويق قـاصرا على الكتاب المصرى والكتاب اللبنانى دون غيرهما ، بل ينتظم كامل الانتاج الثقافى العربى أيا كان موطن نشره ، فكم من كتاب قيم ظل مجهولا ، وكم من كاتب كبير ظل مغمورا ـ على النطاق القومى العريض ـ لمجرد أنه مطبوع أو مولود فى تونس أو العراق أو ليبيا ، أو غيرها من ديار العرب ، وليس فى مصـر أو لبنـان .

وحبذا لو درست اتحادات الناشرين فى البلاد العـربية هـذا الاقتـراح المتواضع وعملت على تحقيقه بطريقة أو بأخرى ، فهى اعرف الناس بخطره ، واقدر الناس على تحقيقه .

م. ب.
(لبنان)

الاديب العربي بين التراث والمعاصرة

بقلم : حنفي بن عيسى

كلما فكرت فى وضعية الاديب عندنا اتذكر كلمة قالها ابو الطيب المتنبى ، منذ حوالى احد عشر قرنا ، فى موقف الساخط على الدهر الذى ارغمه ــ وهو الانسان الابى الانوف ــ على مدح قوم لاقيمة لهم · فقد قال ذلك الشاعر المفوه

الى كم ذا التخلف والتوانى ... وكم هذا التمادى فى التمادى ؟

وشغل النفس عن طلب المعالى ... ببيع الشعر فى سوق الكساد

ولعله ، من القدامى ، الشاعر الوحيد الذى تمردت نفسه على ما سماه صراحة بعملية البيع والشراء ، فى سوق يعمه الكساد وليس فيه من يلقى اليك السمع ، او يلتفت الى ما تقول ·· ومتى بيعت الكلمة ، فقد ذهبت قد سيتها ، وصوحت روضة الشعر واقفرت دوحة الادب ·

لقد اشار المتنبى الى لون من الادب لم يعد له ، فى اغلب الظن وجود فى البلاد العربية ، واعنى به ادب الارتزاق ، انه قائم على التمسح باعتاب الطبقة المترفة ، والتغنى بامجادها والتقرب من افرادها · اما اليوم فان الاديب ــ لحسن الحظ ــ لا تلجئة الضرورة الى الحالة المحزنة التى وصفها بعضهم ممن هجا المتنبى بالعبارات التالية :

اى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع فى الكوفة المـا ... ء وحينا يبيع ماء المحيا

* * *

لقد اصبح الشغل الشاغل بالنسبة الى الاقطار النامية وشعوب العالم الثالث هو الازدهار والتقدم ، الا ان هذه الاقطار والشعوب ليس لها الا سهم قليل فى الابتكار والاكتشاف · ولذلك فان هذه الرغبة الملحة فى الازدهار والتقدم كثيرا ما تنقلب الى نزعة شيئية واعنى بهذه العبارة حرص الدول

المتخلفة على كسب جميع « اشياء » الحضارة ومصنوعاتها ، كالسيارة وجهاز الاذاعة وما الى ذلك ٠٠ انه لمن الغريب حقا ان يغيب عن اذهان البعض بان الرفاهية ليست كل شيء في الحياة وان لباس البدلة الانيقة وتوفير المرافق الحديثة لا يكفي لكي يرقي بالانسان من وضعية المتخلف الى وضعية المتقدم حضاريا ، فنحن نستورد اكثر مما ننتج ٠٠ وبعبارة اخرى ، فنحن ننتمي الى حظيرة الشعوب المستوردة ٠٠ وبطبيعة الحال ، نستورد السلع والافكار ٠٠ الا اننا في اغلب الاحيان نكتفي باستيراد السلع الجاهزة ، ولا نكلف انفسنا اية مشقة لسلوك دروب الفكر الذى انتج تلك السلع ٠

وهذا الموقف من الحضارة المعاصرة له عواقب وخيمة في مجال الادب ٠ فهذه العقلية السائدة عندنا في التباهي بمصنوعات غيرنا ، والتنافس على كسبها ، جعلت منا شعبا يستهلك منتجات الحضارة ٠ وقد اصبح سلوكنا خاضعا في كثير من مظاهره لهذه العقلية «الاستهلاكية» اذا صح التعبير واخوف ما اخافه ان يكون الادب نفسه قد تحول الى ادب استهلاكي باتم معنى الكلمة٠

وانا لا اقول ان كل ما ينتج عندنا يعد من النوع الرخيص ومن البضاعة المزجاة ومما لاشك فيه انه يوجد اليوم في العالم العربي ادباء لا يقلون مقدرة واصالة عن غيرهم من مشاهير الكتاب في العالم ٠٠ وانما اقول انني اخشى ان تكون قد سرت الى ادبنا تيارات زائفة شبيهة باللوثة التي حذر منها حافظ ابراهيم في مطلع هذا القرن ، حينما قال دفاعا عن اللغة القومية :

سرت لوثة الاعجام فيها كما سرى   لعاب الافاعي في مسيل فرات

ان الشيء الاهم بالنسبة الى عقلية المستهلك هو اللحظة الراهنة ٠ فكما ان الجائع مشغول البال باشباع بطنه ، فكذلك الكاتب يتحول الى شخص همه الوحيد حشو الادمغة ويعنى بالسفاسف من القول ، والنوادر من الحكايات التي ليس القصد منها سوى التسلية وقضاء الوقت فيما لا يعني ٠

من الممكن اذن ان ينساق الاديب وراء الحلول السهلة ، وان تسول له نفسه الاقتداء بالتاجر والمهندس والطبيب والمحامي ، وغير هؤلاء من أصحاب المهن الحرة ولقد يقول في نفسه : ان المهنة التي امارسها تستلزم من العناء وتتطلب من الذكاء ما يتطلبه ويستلزمه عمل الطبيب والمهندس ٠ فالى متى اظل محروما من نعم الحياة ؟٠٠ والغريب انه يجد من المجتمع حوله تشجيعا على المضي في

السبيل : فاغلب القراء لا يميلون الا لما يسمى بالمطالعات الخفيفة ٠٠ والناشر سوف يقنعه بان الكتب المبسطة وروايات الجيب والقصص البوليسية ومغامرات الجواسيس ، اكثر رواجا من المؤلفات التى لا يزال بعض «المتزمتين» يكتبونها فلا يجدون من يقرأها ٠٠ ورجال الصحافة والاذاعة والتلفزيون سوف يشعرونه بانه لا سبيل الى قبول انتاجه الا اذا توفرت فيه بعض الشروط ، وكتب على نمط خاص مقرر سلفا ٠ اضف الى كل هذا ان الادب اصبح اليوم مصنعا Industrialisé باتم معنى الكلمة ٠ فقد تسربت اليه اساليب لم تكن تستخدم الا فى مجال النشاط الاقتصادى كاصدار النشرات المبسطة ، والاقتباس والاختصار Digests وما الى ذلك ٠٠ بل اصبحت تعقد اتفاقيات دولية لشراء حقوق الترجمة قبل صدور الكتاب فى اللغة الاصلية ، ولا يكاد يصدر ذلك الكتاب حتى تتخاطفه دور النشر بالمزايدة فى الثمن ٠

والترجمة فى حد ذاتها ، بصرف النظر عن نواحيها الايجابية ، لا تخلو من جانب استهلاكى ، لانها عملية استيراد للفكر الاجنبى بقصد الاستهلاك المحلى، على غرار ما تستورد السيارات تماما ٠

ولعلكم توافقون بعد هذا اننا لم نحرز فى هذا المجال تقدما كبيرا على عصر المتنبى ٠ فادب الارتزاق الذى كان سائدا فى عهده وادب الاستهلاك السائد اليوم فى كثير من الاقطار انما هما صنوان متشابهان يتحكم فيهما قانون العرض والطلب ، وتشتم منهما رائحة المنفعة العاجلة ، ويتسم كل منهما بطابع الزيف والتفاهة ، وليس فى اى منهما شىء من الصدق والاصالة ٠

ولكننا نتساءل بعد هذا كله : هل خلق الانسان لتكديس الارزاق وجمع الكتب من غير تمحيص بين جيدها وزائفها ، ام خلق لتخليد ذكره فى هذه الحياة بالعمل الصالح النافع له ولمجتمعه ؟ وهنا آتى الى الحديث عن لون اخر من الادب ، هو الذى اراه اجدر بهذه الامة ، وأليق بها فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها ٠ وهذا الادب اسميه « ادب الظروف الطارئة » او « ادب الاحداث الجسام » او يسميه البعض بادب النضال أو ادب الالتزام ٠٠ ومهما اختلفت التسميات ، فان الشىء المؤكد هو ان معركة المصير فى حاجة الى ان يساندها الكتاب والشعراء والفلاسفة والمفكرون لان الاحداث التى يمر بها الوطن العربى يحتم على الاديب ان ينهض بمسؤولية عظمى فى التوعية ، وفى معركة المصير بالذات ٠

ولكننى ، قبل الخوض فى هذا اللون الثالث من الادب ، احب ان امهد له ببعض من الخواطر ، فيما فهمته من عبارتى « معركة المصير » ٠

ان كلمة « المصير » تتضمن معنى الصيرورة فى الزمان ، ولذلك فسوف استطرد قليلا لاتحدث عن مفهوم الزمان عند العرب ٠٠ فلأمر ما ، لا يوجد فى لغة الضاد سوى الماضى والمضارع ، بينما نجد ان الشعوب الاخرى تحدد فكرة الزمان بالماضى والحاضر والمستقبل ٠٠ ولكن المسألة لا تقف عند هذا الحد ، بل تختفى وراءها فلسفة عميقة لمن اراد ان يبحث فى مكونات الالفاظ ان ما مضى من الافعال والاعمال انما يمثل بالنسبة الى تاريخ الحضارة ، التراث الثقافى ، لان تلك الافعال ان هى الا اعمال اجدادنا وتصرفاتهم وانماط سلوكهم فى هذه الحياة ٠٠ وكما ان الفعل الماضى فى عرف النحاة ، مبنى ، اى ملازم لحالة واحدة ، فكذلك التراث الثقافى ، يمثل القيم الثابتة التى لا تتغير ، ومن واجب الانسان ان يحافظ عليها ، وان يقاوم كل محاولة لطمس معالمها ، لانها بمثابة الاساس فى بناء صرح الحضارة ٠٠ وكما ان الفعل المضارع فى عرف النحاة معرب ، اى متغير الاخر ، فكذلك الاعمال التى تقوم بها فى الحاضر او فى المستقبل لا تثبت على حالة واحدة ولانها متعلقة بالنية فى مواصلة المشروع الى النهاية ، او العدول عنه كلية او التراجع فى بعض اجزائه

ان مفهوم المضارعة عند العرب شىء طريف حقا ، وذلك ان العرب لايقيدون انفسهم بالحاضر ، ما دام هذا الحاضر صائرا الى المستقبل ، بموجب حتمية التاريخ الزاحف ، وبمقتضى الفلك الدائر ، والزمان المتجدد السائر ٠٠٠ فالواحد منا لا يكاد يعى نفسه فى اللحظة الراهنة حتى تكون تلك اللحظة قد انقضت وحلت محلها اللحظة التالية ومعنى ذلك ان فلسفة العرب قائمة على الصيرورة اى على تحقيق المصير ، انطلاقا من الماضى الذى يحمل القيم الثابتة ، وانطلاقا كذلك من الحاضر الذى يتضمن المستقبل وينصب فيه ٠٠ على ان الحاضر انما يمثل فى عمر الزمان نقطة تحفز الى المستقبل لان العربى انسان لا يرضى بحاضره ، بل يظل دائما محدقا بالافق ، متلحما معالم المستقبل ، وطالبا « للمعالى » على حد تعبير المتنبى ٠

ان الحاضر يتجسم فى وضعيه لا بد من تجاوزها الى وضعية احسن منها ، فاذا ما بلغت تلك الوضعية الجديدة ، فلا بد من السعى لبلوغ وضعية البدل ، فكذلك المعاصرة تفرض على الانسان العربى ان يكيف وضعه بحب مقتضيات الاحوال ٠٠ واذا نظرنا الى تاريخ الفكر العربى الاسلامى ، فاننا نجده حافلا بالعبارات الدالة على سعى المفكرين العرب لتغيير الواقع وتحسين المعيشة وتصحيح الوضع ٠٠ ومن تلك العبارات : الاجتهاد والمناقشة والمجادلة والمناظرة والمحاورة ، وكل عبارة من هذه العبارات تحمل فى طيها روح الثورة الثقافية ٠

ان الجزائر التى خاضت بالامس غمار الثورة المسلحة المظفـرة ، تـرى ان تلك الثورة المباركة لا تكتمل الا اذا ساندتها ثورات ثلاث هى : الثورة الثقافية والثورة الزراعية والثورة الصناعية . وانا اعتقـد ان كـل واحـدة من هذه الثورات الاربع هى معركة المصير بالـذات ، لانها تعبـر عن عـدم الـرضى بالحاضر ، وتدل على ديناميكية الفكر العربى وتكشف عن محاولة للحاق بركب الانسانية .

ويظن البعض ان مفهوم الثورة الثقافية مستورد ، وان عبارات « النهضة والتوعية والتمسك بالشخصية ، وتصحيح الوضع الثقافى ، والصراع العقائدى والتبعية الثقافية » ، ان هى الا كلمات مقولبة Calqué اذا صح التعبير ، اى انها وضعت على غرار مثيلاتها الاجنبية ، وربما نسى اكثر الناس ان الثورة الثقافية التى احدثها العرب والمسلمون منذ اربعة عشر قرنا ، ليس لهـــا مثيل فى تاريخ البشرية .

بطبيعة الحال ، لا يتسع المقام للدخول فى تفاصيل هذا الموضوع ، وانمـا اكتفى بالاشارة الى ان الآية الكريمة التى تقول .

« **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** » .

هى التى دفعت العرب فى انطلاقة عبر الزمان والمكان ، لم يشهد لها التاريخ مثيلا ... ففى تلك الآية ، بصيغة الامر الذى وردت به ، حث صريح عـلى القراءة ، وارشاد الى سبل المعرفة واشارة الى ان صرح الحضارة لا يمكن ان يبنى الا اذا استعمل القلم (علم بالقلم) ، اى ان الحضارة لن تزدهر الا اذا انتقلت البشرية من مرحلة الرواية الشفهية الى مرحلة تدوين المعلومـــات ، وتسجيلها على القرطاس .

ولا ننسى فى هذا المجال ان هذه الايات هى اول ما نزل من القرآن ، وذلك دليل قاطع على اهمية القراءة فى الحياة .

واسمحوا لى ايها السادة ان استطرد قليلا لاحدثكم عن اهميـة القراءة فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا .

ان المعاصرة ـ واعنى بها الجهود التى يبذلها المرء ليكون ابـن عصـره ـ اصبحت تفرض علينا ان نتتبع باستمرار ما يجرى فى العالم من احداث ، وان

ندرس القضايا المعروضة علينا وأن نستزيد من العلم حتى لا نتخلف عن ركب الحضارة وأن نرفه عن انفسنا بمطالعات جذابة ٠٠ وهكذا ترى الواحد من ابناء هذا العصر يطالع الجرائد والمجلات ، وينكب على دراسة التقارير والملفات ، ويقرأ القصص والروايات والمسرحيات ، ويقبل على كتب الثقافة والعلم ، اضف الى ذلك كله ما نتلقاه من رسائل ، وما نصادفه فى الطريق من لافتات وما نراه ملصقا على الجدران من اعلانات ، فلا يجد مناصا من قراءة كل ذلك ٠٠ وهذا الامر يستوجب على من يريد ان يكون ابن عصره ، ان يتوخى طريقة فى القراءة تمكنه من ان يطالع اكبر قدر ممكن ٠٠ وقد وجد بعض الباحثين ان السرعة فى القراءة يمكن ان تتحسن بالتدرب والمران ، وهذا موضوع آخر ، ويكفينا ان نقول بان المطالعة اصبحت من اوكد الواجبات بالنسبة الى معركة المصير ٠٠ ولابد هنا من الاقرار بحقيقة مريرة ، وهى اننا لا نزال مقصرين فى المطالعة ، واننا نعانى ازمة قراء ٠٠ او ليس من المؤسف ان نرى بعض انصاف المثقفين عندنا ، يقبلون على شراء مختلف انواع الاثاث ، وتجهيز بيوتهم بمختلف الادوات العصرية ، ومواعين الطبخ الحديثة ، والات التسلية ، الا انك تراهم يهملون ركنا اساسيا فى البيت ، الا وهو المكتبة ٠٠ ان اكثر الناس ، للاسف الشديد ، يتباهون بما لديهم من اثاث ، وقلما يتباهون بما لديهم من كتب ٠٠ ان تأسيس المكتبة فى كل بيت ، يعود ببلادنا الى تقاليدها العريقة فى حب العلم ، ويخلق جوا مناسبا للثورة الثقافية ٠

ان الادباء هم جنود هذه الثورة وطلائعها ، وروادها ، وينبغى ان يقوموا بدور اساسى فى التوعية ٠ وكيف يكون للاديب جمهور يتابع انتاجه اذا لم يكن الشعب متعلما واعيا ؟ ولذلك فالثورة الثقافية قائمة اساسا اولا : على محو الامية بجميع اشكالها وثانيا على مقاومة الخرافات والاباطيل التى الصقتها جاهلية القرن العشرين بالدين وبالتراث القومى ، وثالثا على تصحيح الوضع الثقافى الراهن ، خاصة فى الاقطار التى عرفت ليل الاستعمار ، وتعرضت للغزو الثقافى ونكبت فى اعز شىء لدى الانسان ، الا وهو اللسان ، ورابعا على التفتح ٠٠ واحب ان اشير الى ان التفتح لا يمكن ان يكون سليم العواقب الا اذا حصل فى اتجاهين : تفتح على الداخل وتفتح على الخارج ، وذلك ان كثيرا من الناس يتوهمون ان التفتح عملية شبيهة بفتح النافذة لكى تطل منها على الخارج ، وانا اقول بان عيوننا ينبغى ان تكون مفتحة قبل كل شىء على تراثنا القومى : فكل ما يلهج به الشعب من اغان وامثال وحكايات ، وقصص

تروى البطولات كل ذلك يبتغى أن يعتبر من الروافد الزاخرة التى تصب فى نهرنا الخالد الا وهو لغة الضاد اما موقف الاستعلاء والترفع على التراث الشعبى، فقد استنكره ابن خلدون بعبارات لا تزال الى حد اليوم تحتفظ بجدتها وطرافتها ، فهو يقول دفاعا عن اللغات السائدة فى عهده ٠

« ولا تلتفتن الى خرفشة النحاة ، اهل صناعة الاعراب ، القاصرة مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وان اللسان العربى فسد ، اعتبارا بما وقع فى اواخر الكلم من فساد الاعراب الذى يتدارسون قوانينه٠٠٠وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم وألقاها القصور فى افئدتهم » ان الاديب الحق لا ينبغى ان يكون مقطوعا عن الشعب ٠ ولذلك يجب ان يتفرغ لمهنته ، والا فانه سوف يتناول الموضوعات الادبية من زاويته كموظف او كاستاذ او كطبيب الخ ٠٠ فالاديب الحق لا يتردد اذا اقتضى الامر ، فى الانخراط للعمل فى المصنع ، او فى المزرعة ، او فى اى مكان آخر يمارس فيه مهنة يدوية يمكنه من تلمس الواقع وتحسس الام الشعب وآماله وافراحه واتراحه ٠ بطبيعة الحال يمكن للاديب ان يتخذ موقفا اخر ، هو موقف المتفرج مما يقع حوله ، ولكن ما قيمة الاديب الذى يكتفى بوصف المشاهد اليومية او سرد الاحداث الخاصة او العامة ؟ وما قيمة الاديب الذى يكتفى بالوصف والسرد ويحاول ان يزيد من عنده شيئا من الشرح والتفسير والتحليل ؟ ان كل هذه المواقف تعتبر انهزامية ، وفيها تهرب من تحمل المسؤولية فلا بد اذن من المساهمة فى عملية التحويل الاجتماعى وفى بناء صرح الامة ٠٠

اما التفتح على الخارج ، فهو مكمل للتفتح على الداخل ولا يستقيم بدونه ، وذلك ان الانسياق بدون تحفظ وراء الاتجاهات الامية فيه خطر كبير على تماسك الشخصية القومية ، ان هذا النوع من التفتح له محاذير اهمها ان الخارج هو دائما مصدر لحملات التضليل ٠٠ فمن واجب الاديب ان يفضح بعض الاتجاهات السائدة عندنا ، وخاصة منها تلك التى تدعو الى التبعية الثقافية ، بدعوى اننا متخلفون فى الميدان التقنولوجى ٠٠ وهذا لا يمنع من القول بان التفتح على الخارج شىء ضرورى ، خاصة ان بعض الجوانب من الحضارة ، كالتربية والدين والتقنولوجيا ، انشأت لدى الناس من مختلف الجنسيات ، العديد من المفاهيم الثقافية والحضارية المشتركة ٠ وعلى سبيل المثال ، فان الانسان الافريقى اخذ يخرج من بوتقته الضيقة ، ويدرك ان هناك زنوجة Négritude تربط بين الافارقة السود ، وان هناك عروبة توحد شمل ابناء لغة الضاد ، وانه بعد هذا او ذاك ، توجد افريقانية (Africanité)

ينتمي اليها الافارقة مهما اختلفت اوطانهم ولا شك ان المهرجان الثقافي الافريقي الاول الذي عقد بمدينة الجزائر عام 1969 قد اتى بالدليل القاطع على ان مختلف الفنون التعبيرية ، من ادب ورسم وغناء ورقص وتمثيل ، تكشف عن تراث مشترك من المفاهيم .

وزيادة على هذا ، فان التفتح يفرض على الكاتب ان يتجاوب مع جميع المعذبين في الارض ، فاينما كانت الحرية ذبيحة ، ينبغي ان يرتفع صوت الاديب منددا بالصهيونية والاستعمار والرأسمالية وجميع القوى التي لا تزال الى حد اليوم تطبق اساليب التعذيب الوحشي ، وتستعبد الشعوب ، وتعكر صفو العلاقات بين الامم .

وبعـــــد ،

ان القيم التي ضمنت للغة قريش الانتشار في المكان والديمومة عبر العصور والازمان ، ينبغي ان تكون للادباء العرب خير رائد في مساعيهم للتفتح على العالم بما يعتمل فيه من افكار ، وما يتصارع فيه من مذاهب وعندئذ يمكن لهم ان يقولوا مع الشاعر الذي قال :

نبني كما كانت اوائلنا   تبني ، ونفعل فوق ما فعلوا

ح. بن عيسى
(الجزائر)

مطالب الاديب العربي المهنية

وفد اتحاد الادباء بالعراق

اذا كانت الحرية هى فهم الضرورة ، فاننا هنا لا ننظر اليها بمعزل عن قوانين الطبيعة ، بل فى ضوء معرفة هذه القوانين وامكانية استخدامها فى النشاط العملى . واذا كانت الحرية ، هى المطلب الاساس ، منذ زمن بعيد ، وعلى صعيد انظمة حكم وقوانين واجيال وثورات .. فهى لما تزل تشكل مطلب المطالب . وهى لما تزل النقطة الاولى فى جدول اعمال انساننا المعاصر .وبدونها لا يمكن ان ينظر الاديب العربى الى بقية المطالب ، مهنية كانت ، ام سياسية ام اقتصادية ، نظرة واضحة وعميقة .

ان ضرورة قوانين الطبيعة موجودة قبل ارادة الانسان ووعيه . وقد ظل الانسان قبل ان يدرس الضرورة يخبط خبط عشواء ، الا انه حالما ادركها استطاع ان يستخدمها فى صالح المجتمع وعلى هذه الصورة .. فحرية النشاط الانسانى - ومنه النشاط الادبى - ممكنة فى حالة فهم الضرورة ، ويمكن القول ان الحرية هى الضرورة الموحاة . وقد خضع الانسان فى العصور الاولى من تطور المجتمع لعبودية اجتماعية الى جانب خضوعه للطبيعة ومع تطور الملكية الخاصة وقيام المجتمع الطبقى اصبح الناس عبيدا لعلاقاتهم الاجتماعية الخاصة

لذا فان الاديب العربى ، الذى يطمح ان يجد المجتمع العربى جديدا، معافى ومتكاملا يناضل فى سبيل خلق هذا المجتمع بكل الوسائل ، جنبا الى جنب القوى الطليعية فى المجتمع وهو بهذا لا يفصل حركة الاشياء والظواهر عندما يمتلك وعيا ثوريا جدليا تتحكم فيه نظرية علمية اشتراكية .

اذ ان تطلعات الاديب العربى يجب ان تتخطى الواقع الحالى ، الى الواقع المطلوب عبر فهم الممكن من الامور ، الى تحقيق الضرورى .

من هنا فالاشتراكيون السلميون يصرحون بانه فى ظل الاشتراكية تكف العلاقات الاجتماعية من السيطرة على الانسان ، على ان هذا لا يعنى - من وجهة نظرهم - بان القوانين الموضوعية تختفى فى زمن الاشتراكية ، وانما الذى

يحدث هو ان الناس يستطيعون ان يستخدموا هذه القوانين في بناء حياتهم الجديدة • وهذه النظرة تجد صداها عند الاديب العربي الذي يطمح لبناء مجتمع عربي اشتراكي وانسان عربي جديد •

لذا فالضرورة ـ حسب مفهومنا ـ كل ماله اساس في جوهر الظواهر والعمليات نفسها ـ كل ما ينبع من العلاقات والصلات الداخلية بين الاشياء ، لابد ان يتحقق اثناء توفر ظروف معينة ، عكس المصادفة فهي « كل ماله اساس في غيره • اي انه لا ينبع من العلاقات الداخلية بين الاشياء ، بل ومن اسباب عرضية ، فيمكن ان يقع ويمكن ان لا يقع » •

لذا فليس مصادفة ، اولا ، ان يكون اختيار موضوع « مطالب الاديب العربي المهنية من حصة وفد العراق ، وليس مصادفة ـ ثانيا ، بل بحكم الضرورة ، ان ترتبط المطالب المهنية بوضع الاديب العربي في معركة المصير •

فماذا يريد الاديب العربي في معركة المصير اهم من الحرية اولا ، واخرا ؟ والحرية كما قلنا • هي فهم الضرورة •• اذن • فموضوعنا لا يمكن فصله مطلقا عن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي تمر به الامة العربية بشكل خاص والعالم بشكل عام •• حيث تنطوي الحرية على افق اوسع من قضايا الوطن العربي ، وهي لا تتجزأ في قضاياها وفي ابعادها وفي ساحة تحرك الناس من اجلها • هنا في ارضنا العربية ، او في اي مكان آخر من ارجاء المعمورة ••

اذن فالحديث عن « المطالب المهنية » فقط يدفع الى السقوط في «التبسيطية بمعنى رؤية السطح الخارجي للظواهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي تتعلق بالبحث دون الغوص في اعماقها لاكتشاف العوامل المحركة الداخلية في كل ظاهرة • والتأثيرات التي تتبادلها مع العوامل المحركة في الظواهر الاخرى ـ بكل تعقيداتها ـ واي مفكر جدلي يؤمن بالاشتراكية العلمية يرفض منطق التبسيطية هذا ، في اي بحث يتناول لمشكلات الاديب العربي ومطالبه المهنية • اذ ان فهم البنية الطبقية لواقع المجتمع العربي (الذي لما يزل في اكثر من بقعة من وطننا، مجتمعا وسيطا للامبريالية) بعيدا عن المنهجية التجزيئية والتي تؤدي ـ حتما ـ الى « تركيب ميكانيكي » ـ اي جمع حسابي للظاهرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ـ هذا الفهم التجزيئي سيبعدنا ، حقا ، عن وضع اليد على جرح

القضية • وهو فهم تتبناه البورجوازية الصغيرة المتذبذبة • التى تحاول ان تسقط قيمها على الواقع ، فتبتعد ـ بالتشخيص ـ عن الامراض الحقيقية لهذا الواقع والتى تنجم عنها الثغرات الكبيرة التى تحول دون انسجام واتساق فكر الاديب العربى الثورى ، مع العديد من انظمة الحكم وعقلياتها مما يسبب هذه الغربة القسرية التى يعانى منها الاديب العربى ، ويحس ان الحل فى تلبية مطالبه المهنية دون تلبية مطالبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية عموما • مع الاخذ بنظر الاعتبار ان مطالب الاديب الكاملة لا تتوفر الا فى المجتمع الاشتراكى ، غير ان هذا لا يمنع من النضال من اجل تحقيق ما يمكن تحقيقه فى ضوء الانظمة القائمة •

لذا فان فهم الطبيعة الطبقية لانظمة الحكم العربية (التى تمتلك صياغة التشريعات وتمتلك القوى التنفيذية لها ••) ، وان فهم الطبيعة الاقتصادية لكل بلد عربى وما ينجم عنها من تحرك سياسى واجتماعى وثقافى ، يجب حصره ازاء « معركة المصير » واقعا وتحركا ، ستراتيجية وتكتيكات •• تدفع بالضرورة ـ الى فهم طبيعة العلاقة الانتاجية والثقافية بين الاديب العربى ، وكل هذه التشريعات والانظمة ، التى سببت ـ مع مرور الزمن ـ ازدياد مشاكله بحيث نجم عنها ذلك الاحساس بالمطالبة (المهنية) كجزء من المطالب العامة على جميع الاصعدة •

اذن ستبقى « الحرية » ، وستبقى « الديمقراطية » ، وستبقى طموحات الاديب العربى فى تغيير بنية المجتمع العربى وتثوير الارض العربية كلها ، فى سبيل خلق البديل الاروع ، الذى يحقق انظمة حكم ديمقراطية وجبهات نضال عريضة ، ووحدة مواقف ، واهداف ، وتنظيمات وتحركات ، لردم الهوة العميقة التى تتسع منذ 5 حزيران 67 ـ ولحد الآن ، بين الجماهير وبعض انظمة الحكم العربية بحيث اصبحت قضية انتصارنا فى « معركة المصير » حلما ، فى الذهن والذاكرة •• ازاء هذا المد اليمينى المتسع والعداء المستشرى للديمقراطية والتقدميين فى الوطن العربى عموما •

اذن فحرية النشر والتأليف والتعبير والتنظيم ، والتحرك من ثم ضمان حقوق الاديب فى العمل والعيش والتفرغ•وضمان مستقبله (تقاعد او ضمان اجتماعى) • واشراك ممثلى الادباء فى تشريع القوانين ذات العلاقة بشؤون الادب والثقافة وحل مشاكل النشر والتوزيع وازاحة العوائق (من رقابة

وصعوبات مالية وتشريعية) لاتبدو مشاكل ومطالب منفصلة عن القضيـــة الاساس : الحرية ·

ان مبدأ الصلة ـ غير المنفصلة ـ التى تربط بين طموحات الاديب فى الحرية وفى الانتصار بمعركة المصير · والتى تربط ما بين البناء الثقافى وافاق بناء المجتمع العربى المتطور والجديد · تدفع إلى ادراك كون ان الاديب العربى الثورى ـ خاصة ـ لا يواجه مطالبه المهنية كشىء منعزل «خارج الزمان والمكان» بل يعتبر الثقافة والادب وما ينجم عنهما من مطالب مهنية « غيـر قابلـة قط للانفصال عن سائر وجوه الحياة » والمجتمع والعصر ·

ففى السابق لم يكن الفكر الانسانى كله ، وعبقرية الانسان كلها ليخلقا الا ليعطيا للبعض كل خيرات التكنيك والثقافة ، ويحرما الاخرين من الضرورى الذى لا غنى عنه من التعلم والتقدم ·· « اما الان ، فان انتصار الاشتراكية فى العالم ، وبعد اتساع حركات التحرر الوطنى ، والنهوض الجماهيرى الجبار داخل العالم الثالث ، وازاء هذا الوعى المتصاعد بضرورة تحرير الارض والانسان من كل تبعات التخلف والاستعمار والعبودية والاستغلال والسعى بالانسان وبالمجتمع للارتقاء الى الافضل ، فان المهمة الاساس التى تطرح نفسها على ذهن الاديب العربى هى الاتتحول معطيات الفكر الانسانى وعبقرية الانسان ابدا ، الى « وسائل للعنف والاستغلال » ·· وهذه مهمة تاريخية تواجه كل الادباء التقدميين ، ليس فى الوطن العربى ، وازاء معركة المصير ، فحسب ، بل وفى العالم اجمع ·· « لانهم يحملون بداخلهم الطاقـات الخفيـة العظمى للثـورة والنهوض والتجدد ·· »

ان هذه الموضوعات تحدد بوضوح الفارق الجذرى بين فهمنا للثقافة وللمثقف العربى ، والاديب كواحد من المقاتلين على جبهات العدو ، من اجل انتصـــار امتنا العربية فى معركة المصير ، وبين فهم الثقافة البورجوازية ، التى تسعى لتجزئة الاشياء وحصر السياسة للسياسيين او فيهم ، لذا تبعـد المطـالب المهنية عن مجموعة الظواهر والاشياء التى اوجدتها ·

إن التأكيد على انسانية الثقافة الاشتراكية التى نسعى على تعميمها فى الوطن العربى ، والمعارضة لكل استغلال وعسف ، هو اول مطالبنا السياسية والثقافية ، والتى تتفرع منه كل مطالبنا المهنية ·· بل اننا نعتقد بانايةمطالب مهنية لا توفر الخبز والكرامة والحرية للاديب العربى بحيث يتحول نتاجه الى عمل تعبوى وثورى فى الحركة ، لا تتحقق ما لم يتوفر مناخ الديمقراطية المشبعة

بحرية الاديب فى اطار الالتزام ، لكي يعمق العلاقة والتواصل بينه وبين الجماهير فى الاثر الادبى الفنى ، محققا التلاحم التام بين فكره التقدمى وبين الثورة بمعطياتها اليومية وشمولها الانسانى العام ، بحيث يتاح للاديب العربى ان يخلق الاثارة المطلوبة من خلال اللغة ، ومن خلال ابعاد رؤيته الفنية، ومن خلال فهمه لغنى التراث واستعمالاته الجديدة • ثم من خلال الاستجابات الانية لمتطلبات العصر ، وموقع ادبنا العربى فى هذا العصر ، ثم من خلال استجابات ادبنا المعاصر للتغييرات الحاصلة فى العالم،وتداخل هذه الاستجابات مع استجابات الاداب العالمية والتراث الانسانى لمتطلبات المعركة التى عاشها كل مجتمع من المجتمعات ، وانعكاس ذلك على حركة التجديد فى ادبنا العربى منذ الحرب العالمية الثانية،وما كان يطمح له الاديب من حقوق ومطالب تندرج ضمن نضالاته التى خاضها ولم يزل ، دون انفصال عن مجمل تلك الحركات والاستجابات والتطلعات المشروعة ••

اقول ، ان مطالبنا المهنية لتتحقق ـ حتما ـ ، اذا تحقق لنا هذا التعميق لانسانية ثقافتنا العربية ، والثقافة الاشتراكية التى نطمح ونريد ان تكون فى ارضنا العربية ، لان الاشتراكية ـ من وجهة نظرنا ـ هى البديل الاروع والاوحد التى تحل كافة التناقضات والاشكالات التى عجزت كل انظمة الحكم البورجوازية عن حلها •••

ثم ان الاشتراكية تجد الاستجابة الكاملة من لدن جماهير شعبنا على سعة الارض العربية لان حل معضلات البناء الثقافى والسياسى •• والاقتصادى هى موضع اهتمام وتطلع مشروع وعميق ، لدى هذه الجماهير الواسعة •• التى عانت ولما تزل من العسف والاضطهاد وخنق الحريات وبقايا الاستعمار والمصالح الاحتكارية ومن المؤسسات اليمينية الرجعية ، وقواها التنظيمية والقمعية فى الوطن العربى •

ولان ثقافة اى شعب ، انما تنمو على تربته الوطنية الخاصة ، باشكال متواترة مأثورة ، مع الاستيعاب المتمثل لكل غنى الالوان القومية ، وافضل التقاليد والافكار الطليعية « فاننا » نحب لغتنا ، ونحب وطننا الامر الذى نعمل من اجله اكثر ما نعمل « والذى سيؤدى حتما الى النهوض بجماهيرنا الكادحة الى مستوى حياة واعية ديمقراطية ، حياة اشتراكية •• آنذاك ـ اذا تحقق لجماهيرنا الواسعة كل ما تصبو اليه فسوف لن تتبقى للاديب العربى ـ مطالبه الخاصة • ومن هذا المنطلق فنحن نعتقد بان حركة المجتمع والحياة

والتاريخ ، سوف تضع الاديب ضمن مسارها ، وبذلك لا تتجزأ وتنفصل المطالب المهنية عن المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاى قطاع من قطاعات الشعب ٠

اذن فان الاديب العربى لما يزل يعانى من جملة مشاكل خاصة ، مهنية ، وان المطالبة بحلها اصبحت ـ تقليدا ـ يطرح في المناسبات، لكن الاستجابة لها تسير ببطء هنا وهناك وعلى نطاق ضيق جدا ٠٠ فالاديب العربى لم يزل يشكو من التشريعات المالية والضريبية التى تستحصل على نتاجه الادبى بمعنى ان كل ما ينشره الاديب ـ من كتب خاصة ـ يدخل ضمن ايرادات ارباحه بعرف دوائر « ضريبة الدخل » ـ مثلا ـ

كما ان الاديب العربى لما يزل يعانى من توزيع كتابه المطبوع الى خارج القطر لان العديد من الصعوبات والعوائق والكمارك والمكوس والتحويل الخارجى والرقابة ٠٠ الخ) كل ذلك يحول دون اعتبار الكتاب رسول ثقافة ، بل يعتبر فى عرف هذه التشريعات المالية « والمعوقات » سلعة » ٠ ومن هنا تظل اغلب الكتب المطبوعة داخل كل قطر ، وهذا يتعارض ، اساسا مع قومية الثقافة العربية ، وحركة التفاعل بين اجزاء الوطن العربى ٠٠٠ لذا يمكن للدولة هنا ان تتخذ جملة اجراءات فى هذا الصدد شريطة عدم تحويل الاديب الى تابع لها ، واتاحة الفرصة لممثلى الادباء المشاركة فى تشريع القوانين ذات العلاقة بشؤون الادب والثقافة ٠

والى جانب ذلك ، تظل الخسارة الناجمة عن مجازفة الاديب بطبع كتبه تلاحقه ، لعدم توفر جهات التعضيد والدعم لمطبوعاته ، الا فى نطاق معين فى البلدان العربية ٠

ثم تقف مشكلة عدم توفر اتحادات للناشرين والموزعين تنسق اعمالها مع اتحادات الادباء والكتاب العرب ، تضع حقوق الاديب العربى من مطبوعه فى ايدى التجار المستغلين من بعض اصحاب دور النشر والتوزيع ٠٠ كما لا يزال الاديب العربى يعانى من قيود الرقابة على الكتاب العربى ، ومن زيادة اثمان مواد صناعة الكتاب ، ومن ارتفاع اجور الطباعة واجور التوزيع٠٠ومن مشكلة مجانية الكتابة والنشر ، كما انه لما يزل يعانى من احتياجه الى الضمانات المادية والمعنوية فى حالة الاعتقال والسجن والنفى والمطاردة والمضايقة فى الرزق والعيش ، اذ ان احترام مكانة الاديب ودوره فى المجتمع يجب ان تضمنها

تشريعات وقوانين ، تحقق له الحماية الكاملة ، وتوفر له الحرية ، وتضمن مستقبله وتوفر له الضمانات الاجتماعية ، (كالتقاعد وغيرها) اذا ماذا عملت اتحادات الادباء في الاقطار التي انتهكت بها الحرية ، واعتقل الادباء وسجنوا وشردوا او الذين تعرضوا للفصل من وظائفهم ، او الذين تعرضوا للاعتقال او التعذيب او القتل ، او الصاق التهم ـ بهم ـ جزافا او محاكمتهم بشكل غير عــــادل ؟

ان الاديب العربي لما يزل في مرحلة الدفاع عن النفس ، هو يعاني من هذه الحالة المزمنة،فكيف يتوفر له المناخ للدفاع عن الآخرين دون ان يكون الشاهد والمدان في بلـده ٠

وان الاديب العربي لما يزل يركض وراء الخبز والحرية ، فمتى ينجو مـن هذا اللهاث المزمن ليتفـرغ لمعركة المصير ؟

ان نظام التفرغ لم يتوفر بعد ، للاديب العربي ، فتمنحه الدولة راتبا لهذا الغرض مقابله انجاز عمل معين ، ضمن فكرة معينة٠٠الى جانب شكوى الاديب العربي ومعاناته من امور عديدة كالمسكن والعمل والدراسة والضمانـــات الصحية والبحوث العلمية،وحقوق التأليف٠وضمان المستقبل من العوز والكبر بتشريع قانون لتقاعد الادباء ٠٠ الى غير ذلك من مشاكل تخلـق بالمقابــل ، وبالضرورة ، مطالب مهنية ، يحول دون الاستجابة لها واقع عدم الاهتمام ـ المقصود ـ من قبل بعض البلدان العربية ، باتحادات الادباء والكتاب ، وبتوفير الرعاية ، الكاملة لمنتسبيها ٠٠ الى جانب كون الحكومات التي لم تؤمن بالحرية والديمقراطية منهجا واسلوب عمل ، وحياة ٠٠ تقرب هذا الاديب وتبعد ذاك ، لمجرد اختلافها معه بوجهات النظر او المعتقد او الموقف٠وان لم يتوفر للاديب العربي الظرف الملائم للتعاون المثمر بينه وبين ممثلي الحكم والعلم والعمل ، اي بين ممثلي السلطة وبين جماهير الشغيلة وابناء الشعب وبين رجال العلم والثقافة والتكنولوجيا ٠ فسوف لن يستطيع احد القضاء على البؤس والامية والامراض التي زرعها الاستعمار والتخلف في جسد الامة العربية منذ حقب طويلة من الزمن ، ولم تزل تنخر في هذا الجسد لحد الآن ٠٠

لذا فان وحدة ممثلي العلم والشغيلة والتكنيك « سوف تحقـق المعجـزات وفي مرحلة بناء المجتمع العربي الجديد لا يمكن استثناء دور الاديب التقدمي وطاقاته الخلاقة ٠٠ واذا استمر استغلال الوضع العام في الوطن العربي لغير صالح الاديب فسوف لن يتحقق اي عطاء فعال يخدم بنـاء المجتمـع العـربي الجديد والانسان العربي الجديد ٠

« ان حرية الكاتب والمصور والفنان البورجوازيين ، اللذين يتمتعان بنفوذ كبير » فى ارضنا العربية « ليست سوى نوع مقنع من التبعية لكيس الدراهم ، تبعية للافساد وشراء الذمم والضمائر » ..

وامام نتاجهم البورجوازى ، يقف الادب الحر « الذى ينشأ حرا لأن منابع قواه المتجددة دائما ليست الوصولية ولا التكالب على الربح بل الفكر الاشتراكى والطموح الحقيقى لانتصار الامة العربية على العدو الرئيسى : الامبريالية والصهيونية والرجعية ومؤسساتها التنظيمية المختلفة ، لذا فقد عجلت الثورة العلمية والتكنولوجية بفرز المثقفين وتصنيفهم و « حولت قسما منهم الى شغيلة اجراء ، يقتربون من حيث مصالحهم ومواقفهم من الطبقة العاملة نظرا لانهم ضحايا استثمار ماكر » « كما تندمج فئات جديدة من الادباء الشباب فى العملية الثورية ، لذا تبدى هذه الشبيبة الادبية رد فعل حادا تجاه الازدراء بها وفقدان افق وضعها الاجتماعى ـ لذا فهى « تهب بنشاط اكثر فاكثر للنضال ضد الانظمة التى لم تتحرر بعد تحررا كاملا ، اقتصاديا وثقافيا وسياسيا » والتى اسهمت وتسهم فى صنع نكسات امتنا العربية ، والتى تشارك بفعالية ، يوما بعد يوم فى تنفيذ المخطط الامبريالى لاجهاض حركة التحرر الوطنى والثورة ونضال فصائل المقاومة الفلسطينية الباسلة والقوى التقدمية وتظل هذه الانظمة تسهم فى طرح حلول تصفوية وتساهم فى عمليات ابادة المقاومة والقوى التقدمية ، لتكريس واقع اسرائيل كقاعدة استعمارية وكوجود غير شرعى ، شوفينى وتوسعى واستيطانى على ارضنا العربية .

لذا فاننا نؤكد هنا ان المطالب التى يطرحها الاديب العربى الشاب ومن ثم حركة الشباب التى تهب بنشاط اكثر فاكثر للنضال من اجل استعادة الارض العربية المحتلة ، سوف تناضل ـ مهنيا وسياسيا واقتصاديا وفكريا ـ بقدرات اكثر عمقا وصدقا واصالة ، من الادباء العرب الذين لا يتوانون عن خدمة كل الانظمة ، رغم طبيعتها المتفاوتة والذين يرتدون لكل مناسبة لبوسها ..

اقول ان الادباء العرب الشباب فكرا ، وطاقة ، سيقع عليهم عبء النضال الاعم والاشمل من اجل انجاز المهمات الوطنية والقومية ، الى جانب مهماتهم الادبية والفنية ، فى تلاحمهم الفعلى والواعى مع الطلائع الثورية فى الوطن العربى ، وفى سبيل التقدم الاجتماعى والاشتراكى .

ومن هنا فان اشتراكهم الفعال فى النضال اليومى والعام وتحركهم الواعى فى الساحة العربية والعالمية ، من خلال نشاطاتهم المتنوعة ، ومنها نشاطهم

الادبى والفكرى لا يمكنهم قطعا من النضال الدائب فى سبيل تحقيق مطالب الاديب العربى المهنية لخدمة المعركة ، والتى لا ينظرون اليها بمعزل عـــن نضالهم السياسى والاجتماعى والاقتصادى العام .

فانه « حين تتوفر الظروف الموضوعية لازمة سياسية عميقة ، فان اتفـــه النزاعات والتى تبدو الاكثر بعدا عن مركز الثورة يمكن ان تتخذ اهمية كبيرة، وان تكون زيتا يصب على النار . وان تكون قطرة الماء التى تجعل الكأس يطفح»

من هنا فان عدم توفير الحرية للاديب فى اطار الالتزام وعدم احترام مكانته ودوره فى المجتمع ، وعدم حل مشاكله المهنية ، سيزيد هذه المشاكل تعقيدا ..

ومن هنا فان حل مشكلات الاديب العربى تظل مهمة عاجلة تواجه اتحاداتنا الادبية وحكوماتنا ، والا فلربما تشكل هذه المطالب وغيرها ناقوس الخطر ، الذى يعلن بدء التحرك لاسقاط كل المعوقات ومن يقف وراءها ـ التى تقف بوجه الاديب العربى من اجل خدمة معركة المصير ...

وفد اتحاد الادباء بالعراق

التوصيات

الموضوع الاول :

الاديب العربى بين الحرية والالتزام فى معركة المصير

يوصى المؤتمر بما يلى :

1 ـ توفير حرية التعرف على الفكر العالمى مع الاحتفاظ بمعطيات التراث القومى ٠

2 ـ اشراك الجماهير فى تقييم ادب المعركة المصيرية عن طريق التنسيق بين اتحادات الكتاب وبين اجهزة الاعلام للتوعية الجماهيرية ٠

3 ـ حث الادباء على المشاركة فى الدور التثقيفى الذى تقوم به اجهزة الاعلام ٠

4 ـ الالتزام بلغة فصحى مبسطة تأدية للرسالة القومية وتوخيا لربط الادب بالجماهير ٠

5 ـ الالتزام بخط الثورة العربية التى هى السبيل الوحيد للوحدة القومية ٠

6 ـ اقامة ندوات لعرض المفاهيم الاساسية للالتزام بمعركة المصير وتوضيحها ٠

الموضوع الثانى :

الاديب العربى بين التراث والمعاصرة فى معركة المصير

يوصى المؤتمر بما يلى :

1 ـ ان تكون اللغة العربية هى اللغة الرسمية للتعليم العالى فى الجامعات العربية ٠

2 ـ أن يتبنى اتحاد ادباء العرب فكرة عقد مؤتمر للتراث العربى كل سنتين او ثلاث سنوات لمناقشة ما يجد فيه · وان يخصص كرسى لتدريس التراث العربى بالجامعات العربية فى ضوء ما يجرى من ابحاث مقارنة فى الجـامعات العـالمية ·

الموضوع الثالث :

الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير

يوصى المؤتمر بما يلى :

1 ـ اعتبار ان المسألة الاساسية فى موضوع دور الاداء والتعبير الفنى فى معركة المصير هى تحقيق اكبر قدر من الاتصال مع الجماهير ·

2 ـ اعتبار مهمة النقد الادبى الظاهرات الادبية الجديدة تتعـدى مسألـة تحديد « الخطأ والصواب » فى هذه الظاهرات لتبلغ الاسهام الجدى فى حركة التفاعل والتواصل الضرورى بين الادب والجمهور ·

3 ـ تشجيع الكاتب فى مقاومة الغربة وضغط الواقع المرفوض بالابداع الادبى والعمل من اجل الارتباط بحركة الجماهير ·

الموضوع الاول من المشاكل العملية والتنظيمية :

النشـر والتـوزيـع

يوصى المؤتمر بما يلى :

1 ـ اهتمام الحكومات بمحو الامية وجعله مهمة عاجلة واساسية ·

2 ـ اهتمام وزارات التربية والثقافة بالتشجيع على القراءة والمطالعة بين الشباب عن طريق الدروس والجمعيات والجوائز والحوافز والبرامج الاعلامية ·

3 ـ انشاء مراكز لتبادل المعلومات بصدد الكتاب العربى فى كل قطـر بحيث تنظم عملية الترجمة واحياء التراث ونشره ·

4 ـ انشاء دار للنشر والتوزيع برأس مال عـربى مشتـرك بحيث تكـون تحت اشراف اتحاد الادباء العرب وبحيث تساهم فى تشجيع الادباء والقضاء على عمليات التزوير ·

5 ـ اعتبار تزوير الكتاب من جرائم السرقة المعاقب عليها فى القانون ٠

6 ـ توحيد موقف الدول العربية من اتفاقية برن المتعلقة بحماية الانتاج الفكـرى ٠

7 ـ تخفيض اسعار الاعلان عن الكتاب فى كل وسائل الاعلان وتخفيض اجور نقل الكتاب بوسائل النقل والبريد ٠

8 ـ ايجاد حل لمشكلة تحويل العملة بين البلدان العـربية فيما يتعلـق بتسويق الكتاب العربى ٠

9 ـ اهتمام دور النشر العربية باصدار طبعات شعبية تكون فى متناول قدرة الجماهير ٠

10 ـ الاهتمام باخراج الكتاب العربى ليساير تقدم الطباعة ٠

11 ـ تعميم المكتبات العامة وقصور الثقافة وحث الحكومات على ايجادها ان لم تكن موجودة وتمكينها من أن تخدم اكبر عدد ممكن من المواطنين بواسطة الكتاب والبرامج الثقافية ٠

12 ـ اهتمام الحكومات بتيسير تداول الكتاب العربى بين مختلف الاقطار العربية بشتى الوسائل وتعاون اتحادات الكتاب العربية فى هذا المجال ٠

الموضوع الثانى :

من المشاكل العملية والتنظيمية : الدفاع عن الاديب العربى ومطالبه المهنية

يوصى المؤتمر بما يلى :

1 ـ ان يقوم اتحاد الادباء العرب بتتبـع الاجـراءات التى قد تقـوم بهـا السلطات ضد الكتب أو المجلات او الكتاب والادباء بهدف اضطهاد الكتاب بسبب انتاجهم الادبى والقيام بالدفاع عنهم عن طريق الاتصال بالسلطـات المعنية أو تعيين محامين للدفاع عنهم أن عرضت القضية على القضاء ٠

2 ـ ان تقوم الامانة العامة لاتحاد الادباء العرب ببذل كافة الجهود من اجل الافراج عن الادباء المسجونين بسبب انتاجهم الادبى ورفـع الاضطهاد عنهم

وفى مقدمتهم الاديب العربى عبد العزيز المعرى ومن اجل رفع الحجز عن جميع الكتب التى لم يحكم اتقضاء بمصادرتها ٠

3 ـ ان تعفى الحكومات العربية المثقف العربى من اداء اى نوع من الضرائب المتعلقة بدخله الناتج عن آثاره الفكرية ٠

4 ـ ان تقوم الحكومات العربية بسن تشريعات تمكن الاديب العربى من التفرغ النسبى او الكلى للاعمال الفكرية ٠

5 ـ ان تقوم الامانة العامة ببذل كل الجهود الممكنة فى سبيل نشر الادب العربى على النطاق العالمى بترجمة نماذج منه فى مجلة دورية وفى سبيل سلاسل كتب ٠

6 ـ ان تشجع اتحادات الكتاب فى الوطن العربى ادب الشباب وان تتبنى الانتاج الادبى الجيد منه ٠

7 ـ ان تقوم الامانة العامة بوضع اسس موحدة كمبادىء تسير عليها دور النشر فى الاتفاقات الخاصة بينها وبين الكتاب فيما تنشره لهم ضمانا لحقوقهم ٠

الدفاع عن ادباء الارض المحتلة

يوصى المؤتمر بما يلى :

1 ـ توجيه التحية الى ادباء فلسطين فى الارض المحتلة ، لنضالهم الطليعى وحملهم رسالة الاديب الحقيقية فى اذكاء روح المقاومة ضد الاحتلال الصهيونى الاستعمارى وقوى الامبريالية العالمية التى تقف وراءه ٠ واذ يحيى المؤتمر هؤلاء الادباء الطليعيين ، على حملهم راية النضال داخل الارض المحتلة ، يدعو اخوانهم العرب الى حمل نفس الراية والتفاعل معهم تفاعلا تاما فى كفاحهم من اجل الحرية والتقدم ٠

2 ـ تحديد يوم سنوى للتضامن المعنوى والمادى مع ادباء الارض المحتلة ، ومطالبة الاتحادات والادباء الاحرار بان يقفوا باستمرار الى جانبهم فى نضالهم ، وان يعملوا على حمايتهم من حملات التجريح والتهجم التى يتعرضون

لها احيانا بسبب مواقفهم النضالية النابعة من حملهم لراية النضـال ضـد سيطرة الاحتلال ومذهبيتهم الفكرية .

وبان يكون يوم التضامن هذا على اوسع نطاق عالمي ممكن عن طريق الاتصال بالاتحادات والكتاب الاحرار فى العالم كله ، ومختلف الوسائل الاخرى .

3 ـ حماية الحقوق الادبية والمادية لادباء الارض المحتلة ، لدى نشر انتاجهم بمختلف وسائل النشر ويرى المؤتمر ان يتولى الاتحاد العام لكتاب فلسطين النيابة عنهم فى حماية هذه الحقوق وحفظها ، بالتعاون الوثيق مع الاتحادات العربية المحلية والاتحاد العام للادباء العرب . وبان يعمل الاتحاد العام للادباء العرب والاتحادات الاعضاء فيه على طباعة ونشر ادب الارض المحتلة باللغـة العربية ، وترجمة هذا الادب الى اللغات العالمية بصـورة تتفـق ومستويـات النشر العالمية .

وان يعنى الاتحاد العام والاتحادات الاعضاء بتزويد مراكـز الاستشراق والمؤسسات المعنية الاخرى ، بهذه الترجمات واصولها العربية .

4 ـ ضرورة ضمان الحرية الكاملة للاديب الفلسطينى فى النضال من اجل قضيته ، ودعوة الاتحاد العام والاتحادات الاعضاء ، الى تُبنى هذه القضية ، والدفاع عن حرية كل اديب فلسطينى وعربى يتخذ من قلمه سلاحا للدفاع عن القضية الفلسطينية والعمل على تحقيق اهدافها .

5 ـ تعزيز دور الاذاعات العربية فى خدمة القضية الفلسطينية وان تولى مزيدا من الاهتمام ببرامج فلسطين واركانهـا ، لتعـريف الجمـاهير داخـل الوطن العربى وخارجه بالاسس الصحيحة للقضية الفلسطينية . وان تعمـل دور الاذاعات العربية على ايصال ادب الارض المحتلة الى الجماهير فى الوطن العربى وخارجه ، وايصال الادب العربى التقـدمى من النـاحية الاخـرى الى الجماهير فى الارض المحتلة .

6 ـ تحديد يوم سنوى عالمى للتضامن مـع الشعب الفلسطينى فى نضالـه ودعوة الكتاب العالميين الاحرار الى الاسهام فى هذا اليوم .

دراسة المشكلات العملية والتنظيمية لواقع أدباء العرب

يوصي المؤتمر بما يلي :

1) ألا يوضع أي قيد على حق المؤلف المطلق فى نشر مصنفاتـه الفكـرية والأدبية وتوزيعها على أوسع نطاق ما دام ملتزما بأهداف الأمة العربية .

2 ـ على الكتاب من اى قطر عربى ان يناضلوا من اجل قيام اتحادات تضم شتاتهم وتدافع عن مصالحهم الادبية والمادية ومن اجل وضع تشريعات خاصة برعاية هذه الحقوق ، ولهم الحق فى اقامة مؤسسات تعتنى برعـاية حقـوقهم المـادية .

3 ـ التنسيق بين تشريعات البلاد العربية الخاصة بالمنظمات الادبية الموكل اليها رعاية حقوق التأليف لكى تكون مستوحـاة من واقـع الشعب العـربى مستمدة روحها من ظروفه وملابساته ومعاونة البلاد التى ليس بها منظمات على اقامة هذه المنظمات بتقديم تشريعات نموذجية اليها .

4 ـ تيسير تبادل الزيارات بين رجال الفكر والادب بين البلاد العـربية الشقيقة لتحقيق التعارف المنشود وتوثيق الصلات بين الكتاب .

5 ـ دعوة الحكومات العربية الى المزيد من العناية بشؤون الفكر ورجاله حتى يستطيع الكاتب العربى ان يعيش من انتاجه ولانتاجه وان يقوم بدوره البناء فى ظروف ملائمة للخلق والابداع لا تشغله الشواغل المادية ولا تعرقل مسيرته الحواجـز .

6 ـ دعوة المؤتمر التاسع للادباء العرب الى ادراج موضوع رعـاية حقـوق المؤلفين فى جدول اعماله ليتمكن الكتاب من اسماع صوتهم فى هذا المضمار ولمتابعة ما جاء من توصيات فى هذه اللائحة بكامل الجدية والاهتمام .

أضواء الفكر

• تكريم صاحب « من وحى الفكر » :

انتظمت يوم السبت 25 ديسمبر الماضى أمسية أدبية لطيفة بالنادى الأدبى « عبد العزيز عشيش » احتفل أثناءها جمع من الأدباء والطلبة والمسؤولين بمدير هذه المجلة ومؤلف « من وحى الفكر » .

وألقى السادة : محمد الصغير ومحمد العش والحبيب الشعبونى ومحسن الحبيب ومحمد القطارى وعبد الرزاق نزار وعبد المجيد عبيد وبلقاسم النصيرى والمراكشى والآنسة زينب الحداد كلمات قدموا فيها الكتاب وحللوه أو توجهوا بملاحظات وانتقادات حوله كما ألقى الشاعر محمد الشعبونى قصيدا رقيقا مستوحى من مجلة « الفكر » والكتاب المذكور .

ودامت السهرة حتى الواحدة صباحا وأجاب الاستاذ محمد مزالى على كل الكلمات فألقى الاضواء على حياة مجلة « الفكر » وبين بعض جوانب « من وحى الفكر » .

ونحن نهنىء النخبة الثقافية بصفاقس على هذا النشاط الايجابى المنظم ونشكرها على عنايتها بهذا المشروع الذى لم نزل نرعاه منذ 17 سنة ونرجو ان يواصلوا جهودهم للتعريف بالانتاج التونسى فى نطاق الاصالة وتركيز مقومات الشخصية القومية . ولمثل هذا فليعمل العاملون .

• الوفد التونسى فى مؤتمر الأدباء العرب الثامن :

من المعلوم أن وفدا عن اتحاد الكتاب التونسيين سافر الى دمشق لحضور

المؤتمر الثامن للأدباء العرب الذى انعقد من 11 الى 15 ديسمبر 1971 • ويتركب الوفد من الاساتذة محمد العروسى المطوى ، مصطفى الفارسى ، أبو القاسم كرو ، البشير بن سلامة ، أحمد اللغمانى ، جعفر ماجد ، نور الدين صمود ، الحبيب الجنحانى • وقد تمثلت مشاركة الوفد التونسى فى عدة نشاطات منها ما يتعلق بالمؤتمر نفسه ومنها ما يتصل بمهرجان الشعر وأخيرا النشاط الهامشى من اتصالات وغيرها •

① مشاركة الوفد فى المؤتمر نفسه :

• تقدم الوفد التونسى الى المؤتمر ببحثين :

ــ **الأول** : الأداء والتعبير الفنى فى معركة المصير للاستاذ البشير بن سلامة وقد وزع على أعضاء المؤتمر ووقعت مناقشته فى جلسة يوم الثلاثاء 14 ديسمبر 1971 •

ــ **الثانى** : البلاد العربية وحقوق التأليف للاستاذ مصطفى الفارسى وقد وزع على أعضاء المؤتمر كما أن الاستاذ الفارسى ترأس لجنة تبحث فى حقوق التأليف وقد أحالت هذه اللجنة توصياتها الى رؤساء الوفود فى جلستهم الختامية ليبتوا فيها مع جملة التوصيات الاخرى •

• شارك جل أعضاء الوفد التونسى فى مناقشة البحوث التى تقدمت بها الوفود الاخرى :

وقد كانت موضوعات البحث الاول التى تداول المؤتمر فى شأنه يوم الاحد 12 ديسمبر 1971 :

ــ الأديب العربى بين الحرية والالتزام للأستاذ حنفى بن عيسى من الجزائر •

ـ منطلقات حول قضية الالتزام والأديب العربى للأستاذ صدقى اسماعيل من سوريا ٠

ـ الأديب العربى بين الحرية والالتزام للأستاذ بطرس عودة من فلسطين ٠

وفى نفس اليوم نظر المؤتمر فى مشكلات النشر والتوزيع قدمها الأستاذان منير البعلبكى من لبنان وعلى مصطفى المصراتى من ليبيا ٠

أما موضوعات البحث الثانى فقد ألقيت يوم الاثنين 13 ديسمبر 1971 وهى :

ـ الأديب العربى بين التراث والمعاصرة للأستاذ حنفى بن عيسى من الجزائر ٠

ـ التراث والمعاصرة فى معركة المعاصرة للأستاذ عبد الرزاق البصير من الكويت ٠

ـ الأديب العربى بين التراث والمعاصرة للأستاذ عبد العزيز الدسوقى من مصر ٠

ـ بين التراث والمعاصرة فى معركة المصير للدكتور عباس جرارى من المغرب الأقصى ٠

وفى نفس اليوم نوقش موضوع الدفاع عن الأديب العربى ومطالبه المهنية ٠

أما موضوعات البحث الثالث فقد تداول فيها أعضاء المؤتمر يوم الثلاثاء 14 ديسمبر 1971 وكانت :

ـ الأداء والتعبير الفنى للأستاذ البشير بن سلامة من تونس ٠

ـ فى حرية التعبير الفنى للأستاذ خلدون الشمعة من سوريا ٠

ـ الأداء والتعبير الفنى فى معركة المصير لوفد اتحاد الكتاب العراقيين ٠

ـ نقاط وملاحظات حول الأداء والتعبير الفنى فى معركة المصير للأستاذ محمد دكروب من لبنان ٠

◆ شارك أعضاء الوفد التونسى فى اللجان وفى الجلسات مع كافة أعضاء الوفـود الاخـرى **من الأمانة العامة لاتحاد الأدبـاء العرب** ويرأسها يـوسف السباعى **وجامعة الدول العربية والبحرين والجزائر** ويضم الوفد الأساتذة :

أبو القاسم سعـد اللـه ـ صالح الحرفى ـ وحنفى بن عيسى ومن **السودان ومن العراق وفلسطين** ويرأس الوفد خيـرى حمـاد **والكويت ولبنان** ويرأس الوفد سهيل ادريس ويضم أيضا الأساتذة : منير البعلبكى وأحمد أبو سعد وفؤاد الحشن وغيرهم ومن **ليبيـا** ويرأس الوفد على مصطفى المصراتى **ومصر** ويرأس الوفد الدكتورة سهير القلماوى ويضم الشاعرة ملك عبـد العـزيز **والمغـرب الأقصى** ويـرأسه الأستـاذ عبـد الكـريـم غـلاب **واليمن والـيمن الديمقراطية والمكتب الدائم للكتـاب الافـريقيين والاسيويين والسكرتـارية ومن سوريا** البلد المضيف ويرأس الوفد جـورج صـدقنى ويضم : صـدقى اسماعيل رئيس اتحاد الكتاب العرب بسوريا وغسان الرفاعى وزكريا تامـر وسليمان العيسى وغيرهم كما ضم الوفد السورى الأسـاتـذة : عبـد اللـه عبد الدايم وعمر أبو ريشة ونزار قبانى ٠ وكان رئيس الجمهورية السورية حافظ الأسد افتتح المؤتمر فى يومه الأول :

« وأكد فيه أن لا رقابة على الكاتب سوى رقابة الضمير وما يفرضه الالتزام بقضايا أمته وأن الكتاب والأدباء طليعة من طلائـع الشعب وحـرية الكـاتب مرتبطة بحرية الوطن » ٠

② مشاركة الوفد التونسى فى مهرجان الشعر العاشر :

وحضر الوفد التونسى كذلك مهرجان الشعر العاشر الذى انتظم فى مدرج جامعة دمشق عشية كل يوم من أيام المؤتمر • وكان حقيقة عكاظيات بما فيها من حماس وانشاد واستفزاز للمشاعر وتجاوب مع الجمهور المنكر احيانا والمحبذ أحيانا أخرى وقد غطى المهرجان من الناحية الشعبية أعمال المؤتمر وهو دليل على ان الجماهير السورية بما فيها الطلاب والمثقفون مازالت تولى الشعر المكانة الاولى وتخيره على وسائل التعبير الاخرى • ولكن هذا لا يعنى ان ما قيل جيد بل يمكن أن نجزم أن الجيد قليل وقليل جدا حتى عند كبار الشعراء الذين انتظرتهم الجماهير وصفقت لهم طويلا • وعلى كل فان شعراءنا (أحمد اللغمانى ـ جعفر ماجد ـ نور الدين صمود) نالوا ما ناله الشعراء الآخرون من تصفيق وطلب الاعادة رغم حرصهم على توخى الطريقة التونسية فى الالقاء وهى الهادئة المعتدلة التى لا تستجدى التصفيق وانما تناله باستحقاق •

وهكذا تتابع على المنصة فى اليوم الاول من بين الشعراء ، صالح خرفى من الجزائر وبدوى الجبل وأحمد السقاف وسليمان العيسى وأحمد اللغمانى وغيرهم •

وفى اليوم الثانى جاء دور جعفر ماجد ومحمد حريرى وروحية القلينى وعمر النص ومحمد الماغوط وغيرهم •

وفى اليوم الثالث استهل نور الدين صمود الحفل وتبعه محمد مهدى الجواهرى وفؤاد الخشن ونزار قبانى وملك عبد العزيز ومعين بسيسو وغيرهم •

فكان اليوم الثالث أعنف فيما طرق الاسماع من رغو العبارة وطنينها وانفض القوم وقد شبعوا من الشعر وشبع منهم •

③ الاتصالات على هامش المؤتمر :

علاوة على الاتصالات الفردية فقد قام الوفد التونسي بزيارة اتحاد الكتاب العرب بسوريا وعقد معه جلسة عمل أولى كان فيها تبادل الكلمات واهداء الكتب والنشريات قصد التعريف بجهود الاتحادين في ميدان العمل الأدبي والنشر والتوزيع ونتج عن هذا اللقاء الاول اتفاق على اعداد مشروع وثيقة عمل بين اتحاد الكتاب التونسيين واتحاد الكتاب العرب بسوريا وفي يوم الخميس 16 ديسمبر التقى الوفدان ووقعا على اتفاقية تعاون تقضي بربط الصلة بين الكتاب والادباء التونسيين والكتاب والأدباء السوريين ٠

كما أنه انتظم في نفس اليوم بمدرج الجامعة السورية منبر حر ضم الطلبة التونسيين بسوريا والطلبة والاساتذة السوريين وتناول هذا المنبر قضايا الادب التونسي وكان في سرعته واقتضابه وعفويته فرصة لربط الصلة المباشرة بطلبتنا وبنخبة من الجامعة السورية الكريمة المضيافة ٠

كما انه لم يفت أعضاء الوفد بعد اتصالهم بالجامعة زيارة المجمع العلمي العربي بدمشق الذي يرأسه الدكتور حسني سبح الذي حدثنا عن المجمع في خمسين عاما وزورنا المخطوطات الثمينة بمعية صديقنا الاستاذ شكري فيصل الذي حرص على ان يكون ضمننا في مناسبات عديدة ٠ ولم ينس أعضاء الوفد زيارة جامع الامويين العظيم والانحناء على قبر صلاح الدين الايوبي لما قدمه للأمة العربية الاسلامية من خدمات في الذود على حياضها وصد العدوان٠

وتوج الوفد زيارته بلقاء ودي مع الاستاذ جورج صدقني رئيس مكتب الثقافة القومي بسوريا ورئيس المؤتمر ٠ وكان فرصة للتعبير عن امتنان الوفد لكرم ضيافة البلد الشقيق سوريا وحرصه على العمل في سبيل وحدة كلمة الأدباء والكتاب العرب ٠

والتقى الوفد من ناحية أخرى مع الوفد المغربى الذى يرأسه صديقنا الاستاذ عبد الكريم غلاب وعقد معه جلسة عمل استعرضت فيها امكانيات مزيد التعاون بين اتحاد الكتاب المغاربة واتحاد الكتاب التونسيين كما أن الوفد ربط الصلة بالاخوان الجزائريين ونظر فى وجوه تمتين العلاقات بين الادباء الجزائريين والادباء التونسيين والتعجيل بتأسيس رابطة اتحادات المغرب العربى ٠

الفهـرست

العـدد 4 ـ جـانفى 1972 ـ السنـة السـابعة عشـرة

الفكر

مجلة ثقافية

تصدر بتونس شهريا
مؤسسها ومديرها المسؤول
محمد مزالى
رئيس التحرير
البشير بن سلامة

الادارة : 13 نهج دار الجلد ـ تونس
تليفون : 260.237
الحساب الجارى : 33769 ـ تونس
العنوان : صندوق البريد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهر أوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :
  اشتراك عادى فى تونس د 2 ديناران
  اشتراك الانصار د 5 دنانير
  خارج تونس 2،500د 2 ديناران ونصف
- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بريدية باسم المجلة او يصب فى حسابها الجارى : 337.69 ـ تونس
- الرسائل لا ترد نشرت أم لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :
  مدير مجلة الفكر
  صندوق البريد عدد 556 ـ تونس

EL FIKR - Revue mensuelle culturelle 17• - Année - N•4 - Jan. 1972

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المنجي سليم ـ تونس